الجزء الثاني

الجزء الثاني من كتاب زهر الكمام في قصة يوسف

الصديق عليه الصلاة والسلام تأليف الشيخ الامام

العالم ابو حفص عمر ابن ابراهيم الأوسي

وزاد على كل مجلس سيدنا العبد الى الله

الشيخ الامام العالم العلامة

الحصني رحمه الله

تعالى رحمة

واسعة

امين

الحمد لله
انتقل هذا الكتاب بالشرى الشرعي الى كاتبه الفقير
محمد بن عمر بن ابي بكر ابن ابي بكر الموصلي الشافعي
من تركة الشيخ سعيد المحدث النابلسي رحمه الله تعالى
بثمن مبلغه مائة ثمانية وستين والحمد لله وحده
بتاريخ يوم الجمعة خامس ذي الحجة [illegible]

وقف هذه النسخة [illegible] السلطان الاعظم
السلطان المعظم [illegible]
الغازي محمود خان [illegible]
[illegible]

٢٩٦٦

T. C.
İSTANBUL
Fatih Kütüphanesi
SAYI

٣٩١٤

Süleymaniye Kütüphanesi
Fatih
3914

K 3989

بسم الله الرحمن الرحيم المجلس العاشر في قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة
على السموات والأرض والجبال الآية ٥ الحمد لله فالق الإصباح وجاعل الليل
سكنا. خالق الأزواج ومثمر الأشجار ليها وطنا. القائم بأرزاق العباد فما
لمخلوق عنه غنى. الدائم الذي لا يعتريه الزوال ولا يصيبه الفنا. الشاهد على كل
عبد بما كسب وجنى. الواحد الذي أحاط علمه بالأشيا فسوا عنده من بعد
ودنا. السميع الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويرحمه من الضنا. البديع
الذي ما زال يستر قبيحا ويظهر حسنا. الكريم الذي يقبل توبة العبد وإن أرتكل
من مخالفته ربنا. الحليم الذي لا يعجل على من عصاه ويبلغه الرغبة والمنى. جاعل
السموات على كاهل الاقتدار ولا ينسب إليه الكسل ولا العنا. كلم موسى على جبل
الطور فقال إنني أنا الله لا إله إلا أنا. وعرج بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى العلا فوق سبع
فتناول ثمار القرب واجتنى. ورجع إلى فراشه والليل على حاله وقد ألبس خلعة
التشريف وتوج بتاج الثنا. فقلده رسالته وحمله أمانته. فحاز النعمة والمنى
فطوبى لمن حفظها وحافظ عليها ولم يصحبه الفتور ولا الونا. ويا ويح من ضيعها
وتشاغل عنها بزهرة الدنيا فكان ممن أخبر الله تعالى عنه في كتابه وكرر إنا عرضنا
الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها

الإنسان إنه كان ظلوما جهولا. أراد حيث ضيع عهدنا أخذه سرا وعلنا.
وأشكره على نعمه التي بها عمنا. وأسأله أن يفرج كربنا وغمنا. وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة من تحقق فآمن وصدق ونطق بها مسلما ومذعنا.
وشهد بما اعتقد فما جحد ولا حيد ولا توقف ولا انثنى. وأشهد أن محمدا
صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله. الذي شاد منار الدين والتوحيد وبنى.
وهدم جدار الكفر وكسر وثنا. صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه.
الذين أفلحوا. فما رجحوا غرضا ولا عرضا ولا وطرا ولا وطنا. ونجحوا لما
أصبحوا وقد شغلوا بعبادة الله قلبا وبدنا. وأظهروا سنتنا. وهدوا أسسنا.
صلوة تقوم وتدوم ما اكتحل جفن وسنا. ولزم طائر فننا وسلم كثيرا. شعر
حمل الأمانة حظوة وأمانه ربه على تفضيلها برهان ٥ عرضت على الأكوان
طرا أجمعا فتمنعت عن حملها الأكوان ٥ وبدا عليها العجز فيما حملت والوهن
والإشفاق والخذلان ٥ لو أيدت حملت ولكن لم تكن أهلا لذاك فشأنها
الإذعان ٥ وحبا بها رب البرية آدما فتناكر الأبناء والإخوان ٥ هذا أنه
أبدا الذي لا ينتفي من عقله وأصابه النسيان ٥ هيهات لولا أن يتوب جهله
من أين كان يناله الغفران ٥ لو أن من في الأرض يظهر طاعة ما كان

معنى اسمه الرحمن ۝ لله سر من الخليقة كامن. فانظر بقلبك أيها الإنسان ۝
أنت المدبر لا المدبر ما أحسن والاعتراض على القضاء عصيان. اعلم أن الله
تعالى سبع خزائن كائنة بين حرفين الكاف والنون خزانة المطر من
السماء. وخزانة النبات من الأرض. وخزانة اللؤلؤ من البحر. وخزانة
الذهب والفضة من الجبال. وخزانة النار من جهنم للكفار. وخزانة الرحمة
من الجنة للمؤمنين. وخزانة معرفته من قلوب العارفين. والعرض ينقسم
إلى أربعة أقسام الأول عرض الكرامة. فقوله تعالى ثم عرضهم على الملائكة.
الثاني عرض الخيبة. فقوله تعالى وعرضوا على ربك صفا. الثالث عرض
العقوبة. فقوله تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا. الرابع عرض
الأمانة. فقوله تعالى إنا عرضنا الأمانة. وقيل إن الله تعالى استخلف آدم
في الأرض. وسلطه على الطير والوحش والبهائم. وأمره ونهاه. وأحل
له وحرم عليه. فكان على ذلك إلى أن جاءه الموت. فأمر الله تعالى أن
يعرض ما حمل على من استخلفه بعده. فعرضها على السموات والأرض والجبال
فأبين منها وفررن عنها. فعرضها على ولده بما فيها فحملها. قال الله تعالى
وحملها الإنسان الآية. وقيل الأمانة. الفرائض التي من فعلها الثواب

وفي

ومن تركها العقاب. عرضها الله على السموات والأرض والجبال. وقال
لهن أتحملن الأمانة بما فيها. قلن وما فيها. قال من أداها فله الثواب ومن
تركها فله العقاب. فقلن لا. وهو قوله تعالى فأبين أن يحملنها وقيل
الأمانة. المعرفة بالله وقيل الأمانة. الفعل الصادر من الإنسان إن قال
فعلته بحولي وقوتي فقد خان الأمانة. وإن قال فعلته بحول الله وقوته
فقد أدى الأمانة وقيل الأمانة. الإخلاص في العمل. وما أمروا إلا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين وقيل الأمانة. الحكم بين الناس فمن عدل في
أحكامه فقد أدى الأمانة. ومن جار في أحكامه فقد خان الأمانة. وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تنزل الحدود. ما تقولون في السرقة.
قالوا الله ورسوله أعلم. قال هي فاحشة. وأسوأ السرقة الذي يسرق
صلوته. فلا يتم ركوعها. ولا سجودها وقيل الأمانة. ترك الغش وبذل
النصيحة للمسلمين وقيل إنه ليس شيء أثقل خطبا. ولا أعلى قدرا من
الأمانة. فإن اشتغالها يقرب من الملوك في الدنيا. ويدني إلى مالك الملوك
في العقبى ألا ترى أن الملك ريان بن الوليد لم يجد رتبة يخصص بها
يوسف الصديق عليه السلام إلا الأمانة. فإنه لم يجد أنفس منها.

قال له إنك اليوم لدينا مكين أمين بعد ما ظهرت لي أمانتك حيث
كنت في دار العزيز فلم تخني في أهله وما نسيت ما سلف من إحسانه
وفضله قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه لما تحقق الملك براءته
ويقين أمانته ازداد عنده حظوة وفيه رغبة وكثر شوقه إليه وحنوه
عليه فقال ما أخبر الله عنه ائتوني به أستخلصه لنفسي وأرسل إليه عجلته
التي كان يركب عليها وكانت من ذهب وشدت العجلة على أعناق البغلة
بسلاسل الذهب وأحاطت الفرسان بالعجلة واصطفت الرجال خلف
الفرسان وصفوا له سماطين من باب السجن إلى باب الملك فخرج يوسف
في موكب عظيم وملأ كبير فلما أقبل يوسف في موكبه ونظر الملك إليه
ألقيت الهيبة عليه شعر إذا ما بدا لي تعاظمته فأصدر في حال من لم يرد
جمعت وفرقت عني بهم فعين التواصل فرد العدد فتزحزح عن مكانه
تعظيما لشأنه ولم يتزحزح لأحد قط فأقعده معه على سريره فلما كلمه
يوسف قال إنك اليوم لدينا مكين أي ذو مكانة ومنزلة أمين على
الخزائن وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فأجابه يوسف بكل لسان كلمه به
فلما فرغ تكلم بالعربية وكان الملك لا يحسنها فقال له الملك ما هذا اللسان

يا

يا يوسف قال هذا لسان عمي إسمعيل فازداد الملك عجبا وبهجة
به وأيقن بحكمه وعلمه فقال يا يوسف عبر لي رؤياي فإني أريد
أن أسمعها منك فقص عليه الرؤيا فعجب وقال وأعجب منها قصصك
لها وإلهامك لمعانيها وعلمك بمبانيها وحق لك الفخار وعلو
المقدار فبورك فيك وفي علمك وحفظك وفهمك لقد علمت
ودريت وحفظت وأحصيت فمن أخبرك بها على هذا الوجه
فقال أخبرني بها أمين يأتيني بها من عند ربي عز وجل يقال له
جبريل شعر حق الفخار لمن له جبريل يأتي فعنه يصدر التأويل
علمت مكانته فعز مكانه وبان كم التنزيه والتفضيل فلما رآه عدوه
لم يستطع شيئا وحل القلب منه ذهول لم يغن عنه وتخته سلطانه
وسريره والتاج والإكليل ملك الملوك أعزه فخضع من يلقاه من
هذا الوجود ذليل يا ناظرين له اصحوا واسمعوا وتبصروا إن الكلام
طويل يكفيكم ما قد بدا من صدقه والصدق بالعز المؤبد كفيل هذا
الذي سبق القضا بعلوه وله سبيل لائح ودليل أن الله قدر أن يكون
بمصر كم ملكا له أسد الحجاج نبيل وبعدله يحيي البلاد وذكره يبقى

من الآباد لعبتي يحول فقال له الملك فأتوني من هذا الأمر الذي ذكرت
لنا وكيف يكون الخلاص منه. فقال له يوسف أرى أن تجمع الطعام.
في سنين الخصب وتبني له الأهراء. وتتركه في سنبله لأنه يكون
علف الدواب أي القصب والسنبل وحبه للناس. فقال له الملك
ومن أجمع من ذلك. فقال له يوسف من عبيدك وجندك وأهل مصر.
وما حولها من الآفاق والقرى يمتارون بحكمك لأن سنين القحط
تعم الأرض كلها. فإذا فعلت ذلك لم يوجد الطعام يومئذ إلا عندك.
وجبيت جباية الناس فيكون أمر الناس يومئذ بيدك. ويجتمع لك من
الأموال والكنوز ما لم يجمعه ملك قط. فقال يا يوسف وكيف لي
بهذا ومن القائم عليه ومن يدبره ويجمعه ويحصيه ويبيعه. ولو
جمعت أهل مصر كلهم ما أطاقوه ولا بلغوا منه كل الذي يقولون
ولم يكونوا فيه أمناء. فقال يوسف عند ذلك اجعلني على خزائن
الأرض إني حفيظ عليم. أي حفيظ بما يصل إلي من الطعام. عليم
بجباية المال وكيفية صرفه إلى الناس وصف نفسه بالأمانة والكفاية
اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه. وإنما قال ذلك ليتوصل إلى

امضاء

إمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما
لأجله تبعث الأنبياء عليهم السلام إلى العباد. ولعلمه أن أحدا
غيره لا يقوم مقامه في ذلك. فطلب التولية ابتغاء وجه الله
لا لحب الملك والدنيا. ولإخبار جبريل له بذلك. ولهذا قال للملك
فإن الله قد قضى بذلك وأوحى به إلي وأخبرني أن أكون القائم
بها والمدبر لأمر الناس. فقال له الملك صدقت إني لا أعلم أحدا
هو أحق به منك. فدونك هذا الخاتم والتاج والسرير فبها تقوم
ملكي وبشيئه أثرني فلتعرف أن الذي أعطاك الملك وشرفك به
لأعظم من هذا. وهذا بالنسبة إلى ما أعطاك مولاك ليسير في حقك
وقليل في حضرتك. فأنت الذي تحيي به مصر وأهلها وبلادها.
فقال يوسف عليه السلام أما الخاتم فأشد به أمرك. وأما السرير
فأظهر به سلطانك. وأما التاج فليس من لبسي ولباس آبائي. فقال له الملك
إن لم تلبسه فأنا أضعه عن رأسي حتى يعلم الناس أنك قد وضعته.
إجلالا لك. وأنت قد فضلتك على نفسي وآثرتك بسلطاني. شعر
في المعنى: تأخرت عن حوزتي وأظهرت عاجزي وأبرأت عن ملكي وأزهد

في التاج ٥ وماذا ابتغي التاج والتحريين. واقبح شيء لو تزين غير
محتاج ٥ إذا كان جبار السموات قاضيا. فما أحد مما يريد براج ٥
وهل أحد من بعد عين رأيته. إذا الشمس لاحت أذهبت ظلمة
الداج ٥ ألا فاقض فينا ما تشاء فكلنا. لإظهار ما تبديه في مصر راج ٥
قال فوضع الملك التاج على رأس يوسف وختمه بخاتمه وأجلسه
على سريره. ثم قال له رضينا بك وسمعنا كلامك. وأقررنا بعلمك
وشرفك والخصال الخيرة المجموعة التي لا تحصى. فالحكم حكمك
والقول قولك والأمر أمرك وأنت المقدم ونحن التبع لك.
سامعون مطيعون متبعون لرضاك وقد وليتك ملكي أربع عشرة سنة
قدر أيام السعة والضيق والرخص والشدة. واشارطك على انه إذا
مضت هذه المدة وحسن أمر الناس وعادت الأمور إلى رسومها.
رددت علي ملكي كلها كما وليتك وأعود في ملكي كما كنت فتكون أنت
إذ ذاك أعز أهل ملكي ولا أمنعك شيئا تريده. ولا حكما تنفذه. قال
فشارطه على كل ما تقدم ذكره واستوثق منه وفاء وعهدا. وأشهد الله
عز وجل على ذلك ثم اعتزل الملك عن ملكه وفوض أمره إليه. ونزل

عن

عن السرير وأجلس يوسف عليه السلام عليه. وجلس هو بين يديه.
وقيل كان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة أذرع وعليه
ثلاثون فراشا وستون وسادة. وكان الملك قد عزل العزيز زوج
زليخا فهلك بعد عزله بأيام فزوج يوسف امرأته فلما دخل عليها
قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين. فقالت أيها الصديق إن زوجي
كان عنينا لا يأتي النساء. وكنت أنت من الحسن والجمال بلا يوصف
تعتذر إليه بذلك عن شدة كلفها به وحبها له. فوجدها عذراء. فولدت
له ولدين وروي أنه أحبها أضعاف ما كانت تحبه. فقال لها ما شأنك لا
تحبيني كما كنت في أول مرة. فقالت له لما ذقت محبة الله تعالى شغلتني عن
كل شيء. وكانت قد أسلمت على يديه قبل والملك وخلق كثير فعدل
يوسف عليه السلام في الأحكام. وأحبه الخاص والعام. وكان يركب
في كل سبعة أيام إلى الموكب في مائة ألف من عظماء قوم الملك فدانت له
الملوك وخضعت له الرقاب وذلك معنى قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف
في الأرض أي أرض مصر قال بعضهم ٥ أما في رسول الله يوسف أسوة
لمثلك محبوسا على الظلم والإفك ٥ أقام جميل الصبر في السجن برهة فآل

به الصبر الجميل إلى الملك ٥ وكتب بعضهم إلى صديق له ٥ وراء مضيق
الخوف متسع الأمن. وأول مفروح به آخر المحزون ٥ فلا تيأسن فإن الله
ملك يوسف خزائنه بعد الخلاص من السجن هذه إحدى الروايات. وفي
تزويجه بزليخا. والرواية الأخرى تأتي في محلها إن شاء الله تعالى دو
بيت هذا أمرؤ ببابكم مبسوط هذا أثير بحبلكم مخلوط ٥ هذا أسير في
حبكم مقبوط. ما القلب عليك إن صبا مغلوط دو بيت أبصاه الناس لديك
كلهم قد صاروا. عبدا تبعض لهم باختيار ٥ قالوا والكل منهم قد جاروا بهذا
من نهاية الأقمار دو بيت أبصاه أنت المأثور بالجمال البارع. أنت الموصوف
بالضياء اللامع ٥ إصنع ما أنت بعد هذا صانع. الكل لديك مشتهام خاضع قال
فلما طلع هلال أول ليلة من السنين الصالحة. جمع يوسف أهل مصر دانيا
وقاصيا. وأمرهم أن يفلحوا. ويبذلوا جهدهم في الزراعة ويسعوا. ولا
يتركوا شبرا من الأرض التي تزرع. فاشتغلوا بعمارة الأرض وإصلاحها.
فأنبت الله زرعهم فوق العادة إلى الغاية. وظهر فيه النماء والصلاح والزيادة
إلى النهاية. حتى تعجب الناس منها. فأتت البركات. وتجيء الحركات. فلما كان
أول أوان إدراك الزرع بنيت له من الحواصل والخزائن ما لا يوصف قدره

ولا

ولا يترك عدده. فقدر ما يشبع أهله عامهم ذلك ثم أمرهم بحصادها وتركها
في السنابل وما زالت الغلات تنقل إلى الخزائن من جميع البلدان فتجتمع
فيها وتنفق على أهل البيوت بقدر نفقاتهم وحاجتهم إلى المتعففين وعدد
العيال. وكان النيل يفيض في كل سنة فيضا عاما شاملا. ويوسف
يصنع الأهراء. ويبني المخازن سبع سنين حتى انقضت عدة الخصب
وجاء أوان القحط والجدب ولكل صعود حدور ولا بد من انقلاب
الأمور شعر إذا أمنت النعماء أو كثر البسط. فلا تغترر إن الزمان
أخو سطوة ٥ وشكر المنة الله جل جلاله. فشكرك من إبقاء النعم شرطه ٥
ومن كان من النعماء يعصي إلهه. فذاك الذي للهلك يا وحيه يخطوه ٥ وكم
صاعد يرجو وصول مراده. يعاجله من قبل أن يصل الحطه ٥ وكان كذي
نوم دنا منه حبه. وعند انتباه العين نازله سخطه ٥ هب البعث لم يذكر
ولم يأت وصفه. ولا ثم وعد بالحساب ولا قسطه ٥ أليس خفاء العين أوجب
واجب من الله إذ من فعله الحل والربط ٥ وكم قوة عن أمر سيدها
عتت فأمسك عنها الغيث واتصل القحط ٥ فصارت كذات العقم لم
تدر قطرها. تمزق عنها الستر وانكشف المرط فلما طلع أول هلال من أشهر

الجدب والقحط أوحى الله تعالى إلى جبريل عليه السلام في الثلث الأخير
من تلك الليلة يا جبريل أما تنظر إلى عبيدي وإمائي يأكلون رزقي
ويعبدون غيري ويتركون حقي اهبط فإني قد سلطت عليهم القحط والجوع
سبع سنين قال فهبط جبريل وصاح من الهواء يا أهل مصر جوعوا فإن
الله قد سلط عليكم القحط والجوع فوقع الغلاء واشتد بالناس البلاء
وحصل عندهم من الجوع ما كاد أن يمنع الهجوع فما تنبه الرجال والنساء
والصبيان من منامهم وهم ينادون الجوع الجوع والقحط والجوع حالتا ن
إذا اجتمعا فالهلاك أسرع والعذاب أوجع فيكثر الحرص على الطعام
ويكثر الأكل منه ولا يشبع من الكثير فكان أحدهم يجوع قبل أوان
الجوع ويأكل إذا وجد من الطعام فوق الحاجة ويسرع إليه الجوع
قبل الميعاد والحالة الثانية عدم الطعام وفقده حتى لا يكون لحاجته
سواه ومع ذلك لا يقدر على وجدانه إلا بعد المحنة والجهد ولذلك قيل
إن الطعام إذا أهانه آكله ولم يكرمه استغاث إلى الله وشكا إليه ما يناله
من الآدمي من الأذية والإهانة فيعزه الله تعالى بعدمه وقلة نباته
ولو نظر الآدمي بعين بصيرته للقمة المتصيرة إليه كم اشتغلت

المعدة

المعدة فيها من ملك ينزل ومطر ينسكب وشمس تطلع ورياح تختلف
وأهوية تتعاقب وأزمنة تتردد وأرض تنشق وأنعام تحرث
وآدمي يعالج وزراع يتصرف وحاصد يحصد ودراس يدرس
ومفرق يفرق بين قشره وحبوبه وحامل يحمل وطاحن يطحن
وعاجن يعجن ونار تنضج وخادم يتصرف إلى غير ذلك مما تعجز
الأفهام عن إحصائه وتقف عقول العقلاء عند استقصائه لكان له
في ذلك عبرة يجددها وشكر فضله وخيره حتى ينقطع الصوت ويكل
اللسان وتذهب القوة من كل إنسان وبعد هذا وقبله لا يقدر أحد أن
يشكر إحسان مولاه وفضله ولا يستطيع أن يصل من ذلك إلى غايته
ولا يبلغ من الشكر إلى نهايته لأن العبد لا يحصي ما يسدي الله من النعم إليه
ولا عشر العشير مما من الله به عليه وإذا شكر على ابتداء النعمة بقي
عليه أن يشكر على إلهامه للشكر وهو شكر يزيد على الشكر الأول بأضعافه
ثم إذا ابتلع تلك اللقمة وحصلت في المعدة تفرقت إلى تصرف
أخرى فطبع يمسكها وآخر ينضجها وآخر يفرقها على الأعضاء ويوجه
إلى كل عضو قدر ما يقوم به ولو بعث إلى الوجه كما بعث إلى العجز

لصار مقداره . وطبخ يعرق بين ثقله ولبابه الذي يقوم به البدن ويغتذي
من الباطن . والعجب أن الطعام والشراب يدخلان على فم واحد ومن
الحلق يفترقان فيهبط هذا على مجراه وهذا على مجراه . ثم يجتمعان من البطن يره
ثم يخرجان من سبيلين مختلفين فجعل لكل واحد منهما ما يليق به
من خروجه ودخوله . ثم كل واحد منهما يدخل بشهوة وراحة . ويخرج
بشهوة وراحة . فانظروا يا قوم بأبصار البصائر إلى نعمه وإلى ما هو غائب
وتفكروا في فعل الملك القادر . وليسرع كل منكم إلى القيام بشكر نعمه ويبادر أبدي
شعر أيا غافلاً يبدي الإساءة والجهلا . متى تشكر المولى على ما أولاه ٭ عليك
أياديه تلوح وأنت لا تراها كأن العين عمياء أو حولا ٭ لأنت كمن كوم
حوى الملك جنبه . ولكنه المجروم ما شمه أصلا ٭ أتشبع من عصيان ربك
منتة . أهذا جزاء من منح الجود والفضلا ٭ لأنت كعبد السوء جار
بسيدا . وتابعه بعد الجارية الطولا ٭ وهذا مثل من خلق الإنسان .
وكيفية شكره للإحسان . اعلم أن الله سبحانه وتعالى وتبارك وتقدس
بهاء وكمالا لما أراد أن يبني صورة آدم . من زمن تقادم . ابتناها
على صورة مدينة . محكمة البناء حصينة . وأتقن فيها من الخيار ما
يدل

يدل على قدرة الباري وحركة منها ثالث ومثاني يشير إلى أنه واحد
ليس له ثاني ثم نصب وسط هذه المدينة قصر المملكة . وبث حوله أشراك
المهلكة . وسمى ذلك القصر القلب إذ هو بيت الرب وجعل مدار هذه
المدينة عليه . ومرجع الكل إليه بإشارة فيها العارفون العالمون من
القلب الأول إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت
فسد الجسد كله ألا وهي القلب . ووضع في هذا القصر سرير العز والسلطا
الذي هو جال الأوطان وأجلس عليه ملكا يقال له الإيمان وبث الجوارح من
حوله كالغلمان . فقال اللسان أنا الترجمان . فقال العينان ونحن الحارسان
فقال الأذنان ونحن الجاسوسان . فقال القدمان ونحن الساعيان فقال
اليدان ونحن العاملان . فقال الملكان ونحن الشاهدان فقال صاحب
الديوان وكما تدين تدان . ثم جعل له وزيرا وهو العقل الذي هو أحد
أسباب معرفة فهم النقل . فقال الوزير أيها الملك لا بد لك من خاصة
تصطفيهم لنفسك خلاصة . يؤثرونك على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
فأول ما تحتاج إلى تاج وهو الولاية . وإلى معراج وهو العناية . وإلى
دليل وهو الهداية . وإلى خليل وهو الوقاية . ثم لا بد لك من مركوب

وهو الصدق ومن خليفة وهي السكينة . ومن حاجب وهو العلم . ومن بوّاب
وهو الورع . ومن سيّاف وهو الحق ومن كاتب وهو المراقبة . ومن نجيّ
وهو الخوف ومن ميدان وهو الرجا . ومن سراج وهو الحكمة . ومن نديم
وهو الفكر ومن خزانة . وهو اليقين ومن كنز . وهو القناعة . ومن صاحب
بريد . وهو الفراسة . ثم أيها الملك تنظر إلى رعيتك بعين الرحمة . وتفتح
خزائن النعم فتعدل بينهم في القسمة . وتبعث لكل قسمة . بينهم به رسمه .
فقال له الملك انظر أنت في الرعية . وأزل عنهم الشكية . وتتول تفرقة
الجامكية . فقال البدن على جمع الآلة . وقالت الأسنان نحن نطحن وتتول
النخالة . فقال الريق أنا أعجن وأتول إلى المعدة إرساله . فقالت المعدة .
أنا أطبخ وما أريد على ذلك عمالة . فقالت الكبد أنا آخذ ما صفا وأترك
الحثالة . فقالت العروق أنا أتول تفرقتها وقسمتها بالعدالة . فابعث إلى كل
عضو ما يطيق احتماله . فلما فرقت الجامكية بعد الأحوالة . وصحح الملك
أحواله . قال له الوزير كالمشير ما بعد النفقة إلا العرض وأداء الفرض
فناد في جيشك بالطول والعرض ليتميز البعض من البعض قبل أن تبدل
الأرض غير الأرض فنادى مناديه يا معشر الرعية . إن الملك قد أقسم

بالإلهية . أن من عدل عن الطريق السوية . وكفر نعمة العطية . وأنفقها
في الخطية . فلقد أفسد النية . ونقض البنية . وحالته زرية . وأولئك هم
شر البرية . وإن للملك عدوًا أمة تسكن جواره . يقال لها النفس الأمارة .
وهي تنازعه الإمارة . واستنصرت عليه بالدنيا الغدارة . وظاهرها الهوى
وبعث إليها أنصاره . وجاء الشيطان وكتب له منشور الوزارة . وقد
شنوا في أرض الملك الغارة . فيا خيل الله اركبن ومن الأعداء لا ترهبن .
فهنالك ركب القلب في ميسرة خوفه . وميمنة رجائه . ومقدمة توكله .
وساقة النجابة . متحليات أشغال إياك نعبد . متمسكات بأذيال إياك
نستعين . فلما فصل بجنوده إلى معبوده . بصدق النية . نادى مناديه
من ناحية . إن الله مبتليكم بنهر الدنيا الدنية . فمن شرب منه فليس
مني ومن عول عليه فليتنح عني . فقال أهل الضرورة . لابد من إجابة الصورة .
فجاءت موجة الراحة بإباحة . إلا من اغترف غرفة بيده . وإن زاد
فيقدمه ذخيرة لغده . فأما الذين عدموا الفطنة . ووقعوا في شرك
المحنة . فشربوا وتزودوا حتى أورثهم البطنة . فلما قاتلهم القوم قالوا
لا طاقة لنا اليوم . فقال الذين صبروا ابتغاء وجه الله كم من فئة قليلة

غلبت فئة كثيرة بإذن الله. فالتقيا يجتنبهما من مجمع بحريهما. هذا
عذب فرات وهذا ملح أجاج. والتحم القتال وكثر العجاج. فكان التوكل
موكلا بالحرص. والزهد مجاريا للدنيا. والتواضع مدافعا للعجب. والإخلاص
ماحيا للرياء. والتقوى نافيا للدعوى. والخوف موافقا للهوى. والتسبيح
والتقديس من محاربة إبليس. فتقدم حزب الله وشعارهم اللهم بك
إقدامنا. فثبت أقدامنا. فإنا لا ندري بإقدامنا. فهزموهم بإذن الله. وانتصروا
وما النصر إلا من عند الله. فلم ير منهم إلا مولي دبره. وقاصم عمره. وأصبحت
منازل الهوى والنفس كأن لم تغن بالأمس. وما زالت النفس بأسرها في
أسرها حتى اعترفت بخسرها. واتصفت بكسرها. فناداها من له المنة.
يا أيتها النفس المطمئنة. شعر: يا نفس توبي اليوم من قبل أن تفتضحين
في الغد بين العباد. وخالفي يا نفس حكم الهوى وجاهدي في الله حق
الجهاد. وادرعي درع التقى واصبري وحاربي في حزب أهل العناد
قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه خلق الله القمح والشعير مما خلق
منه الجنة. وجعل لهما من الحرمة مثل ما جعل للجنة. فلولا القمح
والشعير لم يعبد بيت الله الحرام. لأن بهما قوة الظهر وصلاح العباد

وهما أول الدنيا وآخرها. لا يستغنيان إلا بهما. وإن الله خلق القمح
والشعير فأوجدهما من زوج حلال له وجعله زاد كل بركة. وبه ثبت
الأرض أن لا تزول. وقيل لما أنزل الله على آدم إلى الأرض أنزل معه
سنبلتين على ملك فأبلغه إليه. وقال له يا آدم هو نفع لذريتك
ونعمة يسألون عنها يوم القيامة. وفيما أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام
ما من فدان يزرع إلا والله عز وجل ينزل على كل فدان ألف ملك يباركون
في حرثه. فإذا نبت أنزل الله ألفي ملك يباركون في نباته. فإذا استوى
أنزل الله ثلاثة آلاف ملك يباركون في شطاطه. فإذا نضج حصاده أنزل
الله ستة آلاف ملك يباركون في حبه. يهللون لرب العزة ويكبرونه.
ولم يؤكل منه شيء حتى ينزل الله عشرة آلاف ملك يباركون في أكله.
وأنزل الله عز وجل على داود عليه السلام في الزبور إنني أنا الله
رب كل شيء خلقت الدنيا فجعلت قوامها القمح والشعير ولم أخلق شيئا
هو أعز علي منهما وهما أعز ما خلقت. فمن أفسد منهما شيئا فقد برئت منه
ذمتي ومن أفسد زرعا فكفارته صدقة ثلاثة مثاقيل وصوم شهرين
وقيام عشر ليال يبتغي بهن التوبة. فإن لم يفعل ذلك لم أغفر له ذنبه.

حتى ينبت ما أفسد. فاعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين. يا داود
ازرع الزرع بجهدك. فإنه نفع لك ولقومك. فما من رجل زرع زرعا
أو غرس غرسا. إلا كان ما أكله الطير. وأدركته الريح له صدقة. يكفر
عنه ذنوبه. ويوجب له الرحمة. وأنزل الله عز وجل على عيسى عليه السلام آيات
محكمات يذكر فيهن القمح والشعير. ويوصي بهما. وأنزل الله عز وجل من
المائدة القمح. وقال الله لعيسى يا عيسى إن الدنيا لا تصلح إلا بالقمح والشعير
فلا يصلح فسادهما لأنهما أعز خلقي علي. يا عيسى اعلم أن للزرع حرمة
لا تشبهها حرمة أحد من الخلق. وإني أغضب على من أفسده. كغضبي
على من زعم أني ثالث ثلاثة. أو كغضبي على من قال يدي مغلولة. أو
كغضبي على من قال إني فقير. أو كغضبي على من زعم أن ولدت
ولدا حتى يكفر ما صنع. ويتوب مما جاء. فأغفر له. وأنا غفار الذنوب.
وأنزل الله عز وجل على إبراهيم عليه السلام من الصحف فقال يا إبراهيم.
قد خلقت كل شيء. وخلقت القمح والشعير. وخلقت منهما النفع كله. يحذر
قومك فساده. فإن فساده يرفع الغيث عن العباد. وقيل كانت
حبة القمح مثل كلية الثور حين نزل على آدم. وإنما صغر حجمها ونقصت

بركتها لعدم الشكر من العباد. وكثرة ما يتعاطونه من الأوزار. وأول
من حرث الأرض آدم عليه السلام. وأول صناعة تعلمت من الأرض
صناعة الحراثة. فهي سبب الغنى وأداة البناء. وقيل حرث آدم عليه السلام
فنبت قمحا فأدركه من أحر النهار الإعياء والكلل فقال لحواء ازرعي
ما بقي. وكانت الحبة لا تنبت من الأرض إلا والسنبلة قد قامت. فلما
حرثت حواء نبت شعيرا فتعجبت من تغير النبات ورغبت لآدم أن
يسأل عن ذلك رب الأرض والسموات فسأله فقال له هي أول من أطاع
العدو والشيطان فبدلت لها القمح بالشعير. فأهملت حواء دموعها وأطارت
هجوعها. فأوحى الله عز وجل إليه سلها قد غير الحزن حالها. والسائل أعلم
من المسؤول لكن مراده أن يشرح العبد ويقول فعرفها آدم بسؤال من
خلقه. وقد كاد السرور يذهب رمقه. فقالت بكيت خوف البعاد إذ لم
يكن من ما كان بمرادي. فرفع آدم قصتها إلى الله عز وجل وقد أخلته عليها
شفقة. فأوحى الله عز وجل إليه قد رفعت عنها وعن بناتها هم النفقة.
شعر: أكثرة الأشجان والإشفاق مهلا فعنك وظيفة الإنفاق ۝ رفعت
وابنتها عن بناتك فاعلمي هذا اقتضاء الواحد الخلاق ۝ إن كان يترك

قد تبدل خلقه. حتى بدا النواظر الاحداق. فلقد جعلنا في التعبير منا معا.
وخطابنا دلت على الارفاق. على الدواب نعم وانعام الفلا. تجد
الجميع له لذيذ مذاق. وهو الغذاء للانبيا، ومن له زهد يوصله لقرب
الباقي. فلنتبع بخطابنا وبحكمنا. فلكم ظلام مر بالاشراق. ولما كان في
الزرع غذاء الاشباح. وبقاء الارواح. وكان عند الله بهذه الرتبة
المنيفة. والمنزلة الشريفة. كان اطعامه لمن احتاج اليه وسيلة
للمتوسلين وفضيلة عظيمة عند رب العالمين. ولذلك قيل ان ابرهيم
عليه السلام لما بنى البيت وسواه. صلى في كل ركن من اركانه الف ركعة.
فاوحى الله اليه يا ابرهيم الا ادلك على ما هو افضل عندي مما صنعت
قال بلى يا رب. قال هو ان تطعم جائعا او تغيث لهفانا. فبنى له بيتا.
وجعل له بابين وجعل فيه طعاما دائما وثيابا معلقة. وامر ان لا يغلق
الباب ولا يرد احد من قصده. فيدخل الضيف من الباب جائعا عريانا.
فياكل من الطعام ما اشتهاه. ويلبس من الثياب ما اراده. ويخرج من
الباب الثاني وارسل الله له ملائكة في صفة الضيفان وقيل كانوا.
جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام فقدم اليهم الطعام فامتنعوا

من اكله. وقالوا انا لا ناكل طعاما الا باجرة. فقال لهم نعم ان له اجرة.
تذكرون الله في اوله وتحمدونه في اخره. فنظر جبريل الى اسرافيل
وقال حق لمثل هذا ان يتخذه الله خليلا. وروي ان ابرهيم عليه السلام
استضافه مجوسي. فقال له ان اسلمت اضفتك. فذهب المجوسي
عنه. فاوحى الله عز وجل الى ابرهيم عليه السلام لم تطعمه الا بتغيير
دينه ونحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره. فلو اضفته ليلة ماذا عليك.
فمر ابرهيم عليه السلام خلف المجوسي ورده واضافه. فقال المجوسي
ما السبب فيما بدا لك. فذكر له القصة. فقال المجوسي اهكذا يعاملني.
اعرض على الاسلام. فعرضه عليه فاسلم هذا لطفه باعدائه. فكيف
لطفه باوليائه. قيل ان ادم عليه السلام اول المتوكلين على الله تعالى
لانه كان يزرع الحب في الارض ويقول الهي سلمت اليك وتوكلت
عليك. فبقي التوكل في اولاده سنة الى يوم القيامة. وقيل الندامة
اربعة. ندامة يوم وندامة سنة وندامة العمر وندامة الابد. فندامة
يوم. ان يخرج من منزله قبل ان يتغدى ثم يعرض له عارض فلا يقدر
على الرجوع الى منزله فيبقى نادما في يومه كله. واما ندامة سنة فهو

أن يترك الزرع من وقته فيبقى نادما إلى آخر سنته. وأما ندامة العمر
فلو أن يتزوج امرأة غير موافقة فيبقى من ندامته إلى آخر عمره. وأما
ندامة الأبد فهي والعياذ بالله أن يترك أمر الله تعالى ويعصيه إلى أن
يأتيه الموت بغتة فيموت على غير توبة واستقامة فهو أبدا في ندامته.
وقيل ليس شيء من أعمال البر أقرب برهانا ولا أعزب إحسانا
ولا أدوم منفعة ولا أظهر نجاحا في الوقت من الطعام. أفضل من إطعام الطعام
قال الله تعالى منبها على حسن المعاملة والقرض يا أيها الذين آمنوا أنفقوا
من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض يعني الزرع والثمر
الذي يقتات ويدخر. روى أبو داود والترمذي أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله تعالى من خضر الجنة.
وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة. وأيما مسلم
سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم. وقال صلى الله عليه وسلم
من أطعم جائعا فأشبعه فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء.
ويروى من أطعم أخاه المؤمن حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه باعده
الله من النار مسيرة خمسمائة عام وقال صلى الله عليه وسلم ما من

عمل أفضل من إشباع كبد جائع. وقال صلى الله عليه وسلم إن موجبات
المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم إشباع جوعته وتنفيس
كربته. وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم
الأيادي فإن لهم دولة. قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال إذا كان
يوم القيامة يقول الله لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة
أو كساكم ثوبا فخذوا بيده وامضوا به إلى الجنة. وأشد من ذلك
لا تعدو عيناك متجنبا بلا غنية فإنما هي أقسام وأرزاق وكن مجالسه
ترجو شفاعته فالمساكين يوم الحشر أسواق. وقال صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى للرجل يوم القيامة وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا
عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامات والفضائل.
اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف فمن أطعمك أو كساك يريد بذلك
وجهي فخذ بيده فهو لك. ويروى من حفر بئرا كان له حسنات بعدد
شعر من ورد عليها. ولمسألة في العلم أفضل من ذلك وللقمة
تهوي في بطن جائع أفضل من ذلك وذلك وقال صلى الله عليه
وسلم من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا

عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنان جنة الفردوس وجنة عدن

وجنة الخلد **وقال** صلى الله عليه وسلم من ختم الله له عند الموت بإطعام مسكين
يبتغي به وجه الله دخل الجنة **وقال** صلى الله عليه وسلم من أطعم مؤمنا حلوى
صرف الله عنه مرارة الموقف **وقال** صلى الله عليه وسلم من أنفق على مريض
حتى يكشف ضره كتب الله له بكل حبة عبادة مائة سنة **وقال** صلى الله عليه
وسلم لأن أجمع إخواني على صاع أحب إلي من عتق رقبة **ويروى** لأن
أطعم أخا في الله لقمة أحب إلي من أن أتصدق بعشرة دراهم **وقال**
صلى الله عليه وسلم أيما رجل مات جوعا في محلة قوم سألهم الله به يوم
القيامة **ولإطعام** الطعام خمس كرامات أحداها يزيد ويزداد إلى
يوم القيامة قال الله تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات الثانية
يطهر من المرض والوجع قال صلى الله عليه وسلم داووا مرضاكم بالصدقة
الثالثة يحرس النفس والمال قال صلى الله عليه وسلم حصنوا أموالكم بالزكوة
الرابعة الخلف في الدنيا بعشرة أمثاله وفي الآخرة بسبع مائة ضعف
الخامسة يدفع سبعين بابا من السوء **كما قيل** إن رجلا من البدلاء بلغه
أن بمدينة كذا وكذا أحدا إذا يدخل يده في النار ويأخذ الحديدة المحماة
بيده فلا تعمل عليه النار فقصد الرجل تلك البلدة فلما دخلها سأل

وبابا جميعا فلم ير له أثر صيام ولا عبادة فقال لعله يتنفل من
قيام عنده ثانية وثالثة فرآه لا يزيد على المفروض إلا اليسير
ولا يقوم من الليل إلا القليل فقال له يا أخي إني سمعت ما أكرمك
الله تعالى به ورأيتك زاهدا عابدا ثم نظرت إلى اجتهادك فلم أر
عليك ما تظهر عليه الكرامات فمن أين لك هذا فقال نعم أنا أحدثك
وذلك أنه كانت لي جارية وكنت بها مولعا فراودتها عن نفسها
كثيرا ولم أقدر عليها قط لاعتصامها بالورع فجاءت سنة قحط
وشدة وعدم الطعام وعم الجوع البلدان فبينا أنا في يوم من
الأيام قاعد إذا بقارع يقرع الباب فخرجت فإذا بها واقفة فقالت
لي يا أخي أصابني جوع شديد فرفعت إليك رأسي لتطعمني لله
فقلت لها أعلمت ما كابدته من حبك وما قاسيته من أجلك وأنا لا
أطعمك إلا أن تمكنيني من نفسك فقالت الموت ولا معصية ربي
فرجعت فلما كان بعد يومين عادت وقالت لي ما قالت في المرة
الأولى فجاوبتها بمثل جوابي الأول فدخلت وقعدت في البيت
وقد أشرفت على الهلاك فلما جعلت الطعام بين يديها ذرفت

قامت وتركت الطعام وخرجت من البيت ولم تأكله وهي تقول **شعر**
أبا واجدا إحسانه شمل الخلقا بتعطى ما أشكو بحبك ما ألقاه فقد
صدمتني شدة وخصاصة ونازلني ما بعضه يمنع النطقا كأني ظمآن
ترى الماء عينه فلا غلة تروى ولا شربة تسقى تنازعني نفسي إلى نيل أكلة
لذاتها تفنى وغصتها تبقى أأعصيك فيما بعد ما منك لمته وكيف
وبالطاعات أستجلب الرزقا **قال** فلما كان بعد يومين إذا بها تقرع
الباب فخرجت إليها وهي واقفة قد قطع الجوع صوتها فقالت إني لقد
أعيتني الحيل ولا أقدر على إبداء وجهي لأحد من الناس غيرك فهل
تطعمني لله فقلت لا إلا أن تمكنيني من نفسك قال فدخلت وقعدت
في البيت ولم يكن عندي طعام حاضر فقمت وأضرمت النار وصنعت
طعاما فلما نضج الطعام وجعلته في القصعة تداركني الله بلطفه وقلت في
نفسي ويحك هذه امرأة ناقصة عقل ودين تمتنع من طعام لا قدرة لها
على الصبر عنه لما نالها من الجوع وهي ترده المرة بعد المرة وأنت
لا تنتهي عن معصية الله اللهم إني أتوب إليك مما خطر بنفسي فقمت بالطعام
ودخلت عليها وقلت كلي ولا روع عليك فإنه لله تعالى قال فرفعت طرفها

إلى الله تعالى فوقع في نفسي أن دعوتها قد أجيبت فأخذت الجمرة
بكفي فلم تحرقني فدخلت عليها وقلت أبشري فقد أجاب الله
دعاءك فرمت الطعام وتجردت وقالت اللهم كما أريتني مرادي
فيه وأجبت دعوتي فاقبض روحي الساعة فقبض الله
روحها في تلك الساعة رحمة الله عليها **شعر** دعت فأجاب مولاها
دعاها وتاب على غوي قد دعاها أرادا سوءا لها فيه امتنانا وآتاها
كما شاءت مناها أتته لبابه ترجو نوالا وتنصره لكرب قد دهاها
فمال إلى الغواية واهوى لشهوته وأمل منتهاها ولم يعلم مراد الله
فيه وتوبته أتته وما نواها فطابا الله أرزاق من لم يجر له ثانية
أتاها **آخر الحكاية الثامنة** وأسأل الله ذا الجود الوافر أن يوفق
لإتمام ما بعده فإنه العدة من كل شدة والحمد لله وحده وأسأله دوام
العافية وتمام المنة ومتابعة الكتاب والسنة وتوبة من الذنوب عاصمة
منقصة إلى حسن الخاتمة وصلى الله على سيدنا محمد النبي الجليل والحبيب
الخليل وعلى آله وصحبه من كل بكرة وأصيل فإن الله تعالى بالجمال
الأوفى لمن اعتمد على كرمه يجمل وهو حسبي ونعم الوكيل

وغفر له ولوالديه وذويه وأقربيه ولمن نظر فيه ودعا لهم بالرحمة والمغفرة
والتنزيه يوم الفضيحة ولجميع المسلمين آمين بتاريخ نهار الاثنين سابع عشرين
شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثمانمائة أحسن الله خاتمتها بمنه وكرمه

من نظم المرحوم شهاب الدين بن حجر العسقلاني الشافعي عند موته رحمه الله

قرب الرحيل إلى الديار الآخرة ۝ فاجعل إلهي خير عمري آخره ۝ وارحم
مبيتي في القبور ووحدتي ۝ وارحم عظامي حين تبقى ناخره ۝ فأنا المسكين
الذي أيامه ۝ ولت بأوزار غدت متواتره ۝ فلئن رحمت فأنت أكرم راحم
فبحار جودك يا إلهي زاخره ۝

بسم الله الرحمن الرحيم **المجلس الحادي عشر** في قوله تعالى ولنبلونكم
بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات الآية
الحمد لله الذي رفع علامات الآيات على أبراج معالم الإدراكات وأطلع
أقمار الولايات من مطالع آفاق العنايات وأدار دوائر الكرامات في
أفلاك تفاوت المقامات وحمل حوادث السموات على ظهور رواحل
الرياح الذاريات ونشر طي الأسرار المودعات على بساط أصناف
المصنوعات وأجرى خزائن دقائق الأقدار المقدرات في حقائق عاج
الأنوار وأبنوس الظلمات وأضحك ثغور البقاع الجامدات بنقض دموع
السحائب المسخرات وأنشب في المواقف الرياح العاصفات أظفار
مخالب الطير الصافات وضرب قباب الجبال الراسيات على بساط تلاطم
أمواج البحار الزاخرات وعلق بشائر أوراق الأغصان النضرات على
وجوه قضبان الورق الغانيات وقطع وصائل الأشتات بحسام البتات وصال
وخلص شبكة المخلصين على نار الاختبار ونزول الرزيات وجعل ذلك
طهور اللهم من السيئات فقال تعالى من محكم الآيات البينات ولنبلونكم
بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات

أحمده

أحمده كثيرا على ما منح من العطيات والهبات وأشكره شكرا أستكثر
به من القربات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي قامت
بأمره الأرضون والسموات وهو سبحانه مجيب الدعوات وأشهد أن
محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والمخصوص
بالفضائل والبركات صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المخلصين
بالوسائل الطيبات والموصوفين بقوة العزم في الجهاد والثبات
صلوة تزيد على عدد المخلوقات وتدوم وتقوم على تتابع الساعات
وتوالي الأوقات وسلم كثيرا **شعر** أتشكو ما تبدو وتنشر الذي تخفي
وتطمع ما بصبر وتطلب أن تشفيه وتعص طبيبا ما صحا لك في الدوا
وتشكو الجفا منه فقل لي من أجفه ولما أمنا من عذاب الهنا ولم
نبد خوفا منه ألزمنا الخوف وضيق ما قد كان أوسعه لنا وصيرنا
من بعد نقد بهما خلفاه فلا تنسبوا للغير فعلا فكلما تبدى منا أصله لم
يزد حرفاه فيا أيها العاصون توبوا لربكم وبدوا الذي في وقت
عسركم كفاه وقولوا بأصوات الضراعة كلكم أتيناك يا ذا الجود
نسألك العطفاه ترى حالنا فامنن بتفريج كربنا فما زلت للاجين

يا ربنا كفنا واعلم أن الله تبارك وتعالى يميز الأولياء من الأعداء في
سبعة مواضع. الأول في الدنيا بالشدائد. قوله تعالى ولنبلونكم بشيء
من الخوف والجوع الآية. الثاني في حال النزع. وهو قوله تعالى
ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة. الثالث في القبر وهو قوله
تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة وفي الآخرة. الرابع الدنيا
في حال البعث وهو قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. الخامس
عند أخذ الكتب وهو قوله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه الآية. وأما
من أوتي كتابه بشماله الآية. السادس عند الفراغ من الحساب. وهو
قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد. السابع عند الفرقة إلى دار الإقامة.
وهو قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير. فإن قال قائل
فما الحكمة في ابتلاء الشدائد للمؤمنين. قيل لأربعة أشياء. أحدها
ليتبين الخاص من العام. الثاني ليكفر الذنوب. الثالث ليهيئ لهم
به العمل الصالح. الرابع ليكثر دعاؤهم ورغبتهم إليه تعالى كما كان
بعض العلماء يقول سبحان من يستخرج الدعاء بالبلاء. وقيل الخوف
سوط الله يقوم به أنفسا قد شردت عن بابه. والجوع عذاب الله.

يسلط

يسلطه الله على من كفر بنعمه وغفل في الدنيا عن شكره وخدمته. كما
سلطه الله على قريش حين تمادى بهم الصد عن الإسلام حتى كان
الرجل منهم إذا نظر إلى السماء حيل بينه وبينها بدخان من شدة
تحيير رأسه وفراغ أعصابه. وقيل من شدة القحط وعدم المطر
حتى علا الأرض الغبار وحال بين الناظرين وبين السماء بدخان وإليه
الإشارة بقوله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس
هذا عذاب أليم. وإنما سمي الجوع عذابا لأنه يشغل العباد عن العبادة
والقلب عن الله. ويعذب به أهل النار في الآخرة. كما قال كعب يسلط
على أهل النار الجوع حتى يأكلون مناكبهم وأطراف أصابعهم وهم لا
يشعرون. ونقص من الأموال والأنفس والثمرات قيل هو رفع البركات
من الأموال والمتاجر. والأنفس هو الوهن وعدم القوت. والثمرات
هي العقوبات بعدم نبتها. قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا أيها الناس إذا علمت سنعاجل
بكم سبع. إذا كثر فيكم الزنا ظهر فيكم الموت والسر في ذلك أن الزنا
لما كان سببا للوجود من لا يستحق الوجود عاقب الله عز وجل بإعدام

الموجود. وإذا جرتم في الحكم تحبط القطر. وإذا أخفرتم الذمة كانت
الدولة لغيركم. وإذا منعتم الزكوة ماتت الماشية. وإذا فشت شهادة
الزور كثر الخراب. وإذا طففتم المكيال والميزان تنتصب البركة. وإذا
غللتم دخل الرعب في قلوبكم. ذكره ابن حبيب وقال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب ولا
فشا الزنا في قوم إلا فشا فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان
إلا قطع الله عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم ولا
نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم العدو. ذكره مالك في موطائه وقال
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا تزال هذه الأمة في حرز الله وتحت
كنفه ما لم يمار قراؤها فسقاها وما لم يزك صلحاؤها فجارها فإذا
فعلوا ذلك سلط الله عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب ثم ضربهم
الله بالفاقة والفقر. شعر: بذنوب قوم تذهب البركات وتغير النعماء
والخيرات. ويزول عن أهل الضلال نعيمهم فعقابهم أن تنقب الأزمات
لا تنكروا ما حل فيه قومنا بذنوبنا حلت بنا الآفات قيل لما غضب الله
على أهل مصر أوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام إن أهل مصر

يأكلون

يأكلون رزقي ويعبدون غيري اهبط فقد سلطت عليهم الجوع فانتبه
الرجال والنساء كلهم ينادون الجوع الجوع وانتبه الملك وهو ينادي
الجوع الجوع وكان الملك قد أمر الحاجبين أن لا يفتحوا عن الحجر ليلا
ولا نهارا فكانوا على ذلك وكل ذلك بقضاء الله وقدره أن تلك القاعة
غفل الحاجزون بأجمعهم فلم يحجزوا شيئا فدعا الملك يوسف عليه السلام
وشكا إليه أمر الجوع فجعل يوسف عليه السلام يده على بطنه ودعا له
فسكن ما به واحتبس المطر من السماء وتعقمت الأرض عن الزراعة فلم
تنبت شيئا قال وفرغ الطعام من بيوت الناس حتى لم يبق في بيت من
بيوت مصر ولا نواحيها شيء من الطعام فأصبح الناس يحجبون قد
داخلهم لهف وأصابهم تخبت لأنهم عاهدوا البلاء يستطيبون دفعه
بحيلة شعر: حبس الغمام عن الأنام لجاوزوا حد البهائم وراغب الأبشاره
لم يغن عنهم جمعهم وعديدهم أبدا ولا الأتباع والأنصاره ما الفعل
إلا للمهيمن وحده وله القضاء والحكم والأقداره فهو الذي يقضي
ويحكم ما يشاء وبأمره تتنزل الأمطار قال فتح التوبة أبواب خزائنه
وجعل عليها الأمناء والتهادية وأهل النظر والإحصاء وبادي

ينادي ألا من أراد الميرة وشراء الطعام فليصل إلى باب الصديق
فاشتروا منه في العام الأول بما كان في أيديهم من الدراهم والدنانير
والذهب والفضة حتى لم يبق عند أحد من أهل مصر دينار ولا درهم
ولا ذهب ولا فضة إلا صيرت إلى يوسف عليه السلام وأحضرت في
خزائنه وباعهم في السنة الثانية بما في بيوتهم من الأثاث والفرش
والأواني ثم باعهم في السنة الثالثة بالحلي والجواهر واللآلي
حتى لم يبق في مصر حلي ولا جوهر ولا لؤلؤ إلا في خزائنه ثم
باعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء والدواب والمواشي حتى
صار الكل إليه ثم باعهم في السنة الخامسة بالعقار والدور والحوانيت
والضياع حتى احتوى على الأملاك جميعها ثم باعهم في السنة السادسة
بنسائهم وبنيهم وبناتهم حتى صاروا كلهم أرقاء له ثم باعهم في
السنة السابعة برقابهم فأقروا له بالعبودية والرق حتى لم
يبق بمصر حر ولا حرة إلا صار مملوكا عنده قال كعب أصاب
الناس في العام السابع شدة وجوع حتى إن الرجل يأتي يوسف
عليه السلام فيبيع نفسه بملء بطنه فلما ملكهم صار ينفق عليهم على
قدر

قدر مراتبهم ويعطي لكل أهل بيت ما يقوتهم على حسب عددهم كلهم
يقومون إليه إذا بدا ويشيرون نحوه إذا غاب وصار الناس كلهم وما
ملكوه تحت يده وحكمه وقهره إكراما من الله عز وجل وجزاء لما
أقيم في سوق الرقيق ينادى عليه من يشتري ويزيد وجزاء الصبر
عن محارم الله تعالى واتقى مولاه في سره وجهره وعسره ويسره
فعوضه الله في الدنيا خيرا من ذلك حتى ملكه الله مصر ونواحيها
وصارت مملكة بما فيها وصاروا أرقاء له لا يخرجون عن حكمه ولا
يصدرون إلا عن رأيه وهو قوله تعالى إنه من يتق ويصبر أي [margin: [illegible]]
يتق الزنا ويصبر على الغربة فإن الله لا يضيع أجر المحسنين
الصابرين القائمين بطاعته وقال بعضهم فإن الله لا يضيع أجر
المحسنين الصابرين في بلائه الراضين بقضائه قال بعضهم لما
صاروا عبيدا ليوسف عليه السلام هم وأولادهم وحريمهم وما
ملكت أيديهم من المال والمواشي والحلي والأملاك والضياع وما
ملكوه أوحى الله تعالى إليه كيف رأيت يا يوسف زعموا أنك عبد
لهم جعلناهم كلهم عبيدا لك فخر يوسف عليه السلام ساجدا لله تعالى

وقال يا رب لك الحمد على ما أنعمت علي وتفضلت وسقت الخير إلي سبوح
قدوس رب الملائكة والروح وروي أن يوسف عليه السلام كان لا يشبع
في تلك السنين من الطعام فقيل له أتجوع وفي يدك خزائن الأرض
فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع وكان يأمر طباخ الملك أن
يجعل غذاءه نصف النهار حتى يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع
فمن ثم جعل الملوك غذاءهم وسط النهار وقيل كان يوسف عليه السلام
يأكل خبز الشعير ولا يشبع منه أسوة من يأكله ولا يشبع منه فقيل له
أنت على خزائن الأرض وتأكل خبز الشعير ثم لا تشبع منه فقال أخاف
أن أشبع فأنسى الجائع شعر يا من يملأ البطن يغزر دائما ويظل بالشهوات
صبا هائما ه أيقظ عيون القلب من سنة الكرى فلرب منتبه ويحسب نائما ه
كم جاءك المسكين يسأل رحمة فرددته عذرا ولم تك راحما ه وتبيت
شبعانا وجارك جائع يذري من الأوصاب دمعا ساجما ه أنظر إلى
الصديق كم من ليلة قد بات جيعانا وأصبح صائما ه جعل الشعير غذاءه
وهو الذي ملئت خزائنه طعاما سالما ه خوفا بأن ينسى الفقير لأنه
من شأن أهل الفقر يخلد آثما ه ولأنه الراعي وحق لمن رعى أن

يبذل

يبذل النصح الصحيح الدائما قال وخاف الملك أن يستعبده يوسف عليه
السلام مع من استعبد من أهل مصر لما شاهده من سلطانه وعظم شأنه
ثم قال الملك إنه وعدني وعاهدني وحاشاه أن لا يفي بوعده أو أن
يغدر بعد عهده فقال يوسف عليه السلام للملك ما رأيك أيها الملك
فيما خولني ربي من مصر وملكني رقاب أهلها أشر علي برأيك
فقال الملك يا يوسف رأيك فيهم نافذ وحكمك جائز فقال أيها الملك
إني ما أصلحتهم لأفسدهم ولا أعتقتهم من الموت لأستعبدهم ولا أنجيتهم
من الجوع لأكون عليهم بلاء وما أنا الذي أحييتهم بنفسي ولكن الله أحييتهم
هو الذي أحياهم وأحياني فقال الملك يا يوسف وأنا أيضا عبد من
عبيدك ورجل من خولك وما أنا بالذي أخرج عن ذلك ولا أستنكف
عنه لأن الذي يدبر أمرك سلطان عزيز لا يرام وملك قادر ركنه
لا يضام فقال يوسف عليه السلام أيها الملك دع هذا الكلام كيف
تقول إنك عبد من عبيدي وما دبرت هذا الأمر إلا بإذنك نيابة عنك
وبشرط رد ملكك عليك وإني من أهل بيت لا نغدر وعلى نكث العهد
لا نقدر فقال الملك وهل الدائر إلا ذلك يا من صلحت سيرته بسر أبيه

الممالك. فقال يوسف عليه السلام: أيها الملك إني أشهد الله ثم أشهدك
أني قد أعتقت أهل مصر كلهم. وتصدقت عليهم بجميع أموالهم. ورددت
عليك ملكك. وتاجك. وسريرك. وخاتمك الذي تزعم أنه خطك.
وحالك. فقال له الملك: جزاك الله عنا خيرا يا يوسف إني لأعلم أن
هذا صنيع عظيم العظماء إله الأرض والسماء. فاعل وجه الأرض من
يصنع ما صنعت. ويصبر على ما صبرت. ويضع ما وضعت. ويؤلف ما
ألفت. ويتكلف ما تكلفت. فبارك الله لك في علمك وعقلك. وأنا
بين يديك كما كنت في أول أمرك. فاقض ما تشاء نسمع ونطيع. شعر
لك الحكم والسلطان والنهي والأمر وأنت رجاء الخلق إن عمهم عسره
تحكم بما تهواه فينا فكلنا. سميع مطيع قد علا وجهه بشره. لأنت الذي
رب السماء أمده. بسلطانه والنصر يتبعه النصره. وتسعدك الأكوان
طرا بأسرها. وتسعى لك الشمس المنيرة والبدره. كأنك مغناطيس
البلاد فإن تلح. بهم تك إذ تنبو وله العبد والحر من صدق من باطنه
ذا ربا أحسنه من ظاهره. الصدق منذ لا يشبه مركوم. والأعمى لا يرى
السحاب المركوم. نظر عزيز مصر إلى يوسف بعين الفراسة.
فأجلسته

فأجلسته على عرش الكرسي شواه. ورأته زليخا بعين الأمل فشغفها
حبا. فراودته لما لم يرد به. فأوقدها هواها نيران ولقد همت به.
فحمى حماه بحراسته لولا أن رأى برهان ربه. فمدت له كف من غير
ذراع فيها مكتوب خطاب الرحمة. لأنه لا يحل له أن يحل عصام العصمة.
فنهضت به العناية الربانية. وجددت لمن ربته. فلما أضرمت
نيران الهوى وقويت وهجها وشوب صب عليها ماء. كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء. فجد جواد عزمه من حزن واستبقا الباب
فانبسطت به العدوان واشتدت فقدت قميصه. فلما بانت حجته.
من آيات وشهد شاهد. أخذت تزري مضرات الأضرار على مرام ما
رامت بيمين وإن لم يفعل. فاختارت ذرة فهي صدقة السجن
محمد لسان الآن قد يقول: رب السجن أحب إلي. فكان يؤانس المسجونين
بنفسه. يفتش تأوين لهم يتعبير تأويلهم. ويعزي حزينهم ويعود لكنه شفيق
المرضى بالمواساة حين يعودهم. وإن كان فيهم لا يحبه. لكن شفقة
على من يصحبه. ويعطف قلوب الأخيار على كل مبتل. لا سيما من امتحن
بالغربة والقلة والعلا. شعر خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا

من الأموات فيها ولا الأحياء إذا جاءها الشبان يوماً لحاجة عجبا وقلنا
جاء هذا من الدنيا ○ فلما ضاق قفص السجن على بلبل الطبع ترنم بصوت
اذكرني عند ربك فعوقب بإبطاء بابه عليه. فلبث في السجن بضع سنين
فلما جاز عقبة العقوبة رأى الملك في صحيفة منامه إني أرى سبع بقرات
سمان فغاب فيه جواب فتاه فتى من ملائه يخبر أنا أنبئكم. فطلبه
الملك فلم يخرج من سجن التهمة حتى سطرت براءته في صحيفة منشور
الآن حصحص الحق فخرج من ضيق السجن إلى سعة اجعلني على خزائن
الأرض هذا ويعقوب مقيم في بيت الحزن على فراش الأسى وهو ناد
القلق لا يتلذذ بنوم ولا سنة ثلاثين سنة حتى نحل البدن وذهب
البصر شعر لم يبق إن بعدكم رسم ولا طلل إلا وللشوق من جفافيه
عليه ○ بنتم فأوحشتم الدنيا ببينكم منا فلا عوض منكم ولا بدل ○ تحملون
على ضعفي لبعدكم ما ليس يحمله سهل ولا جبل ○ إذا شممت نسيما من
دياركم فقدت عقلي كأني شارب ثمل ثم إن البلاء والقحط والجوع
انتشر من البلدان إلى أن وصل إلى أرض كنعان فكان أهل النواحي
يقصدون مصر بأموالهم وبضائعهم فيمتارون الطعام ويشكرون يوسف

ثم

ثم أخرجت سنين من عنبر الكلام فوصل نشر الصدق إلى يعقوب عليه السلام
وبنيه وظهر ذلك على كل من يليه. وكان يجتمع ليعقوب عليه السلام
تحت نفقته سبعون رجلاً وامرأة فشكوا إلى يعقوب عليه السلام
ما نالهم من الجدب والمجاعة وسألوه أن يدعو الله لهم حتى يفرج
عنهم أو ينظر لهم نظراً يعتمدون عليه ويرجعون إليه. فقال يا بني
إنه بلغني أن بأرض مصر ملكاً من أكرم الملوك وأنصحهم لعباد الله
وأحسنهم خلقاً وأوسعهم فضلاً وأسخاهم كفاً وعنده طعام كثير
وقد توجه إليه الناس من البلدان ببضاعات وأموال فيجدوا بشره
ويشكروا إحسانه. وقد استخرت الله تعالى في أن أوجهكم إليه لشراء
الطعام فقالوا نحن مطيعون لك سامعون لقولك متبعون لرأيك
فحضر عشرة منهم وأعدوا الأهبة جيدة وأظهروا [illegible] وحملوا
ما أمكنهم ولم يحضر معهم قوم أحسن حالاً منهم ولا أبهى منظراً ثم
أخذوا في الأهبة والمسير وتجهزوا في زمن يسير وهم لا يعلمون
ما يريد بهم الملك الكبير وما أذخر لهم من خزائن علمه العليم الخبير
شعر دعوا ما كان قبل من التشهي وجدوا في المسير وفي التذوق ○

لكم بشر البشرا وبكم يهش عظيم الملك مع الحكم الوجيزه وان طرديكم
جبار عنيد طريح الحجة عن بالعزيز قال وكان يوسف عليه السلام
قد نصب قهرمانين احدهما قبطي والآخر مصري وامر احدهما ان
يبيع الطعام من اهل مصر وياخذ الثمن ولا يبالي عن اسم الرجل ولا
عن اسم ابيه ولا نسبه وامر القهرمان الآخر ان لا يبيع من الغرباء
شيا الا قليلا ولا كثيرا حتى يعرف ما اسمه وما نسبه ومن اي بلد فاذا
عرف ذلك لا يبيع له شيا ولا يا حبة ساعة حتى يعرف يوسف
عليه السلام بذلك وياخذ اذنه في البيع فكان الغريب اذا ورد على
القهرمان وسأله وعرفه تركه واقفا وسار الى باب يوسف عليه السلام
فعرف البواب وعرف البواب الحاجب ويبلغ عنه الحاجب الاول
ويبدي من الخضوع ما يبدي لدي الملك فيستأذن عليه ثم يتوجه الحاجب
من حاجب الى حاجب حتى ينتهي الى الحاجب الكبير القريب من الملك
فيعرفه فيذهب الى الملك ويقف بين يديه ويثني عليه ويقول ايها
الملك انه ورد قوم من ارض كذا وكذا وعددهم كذا وكذا ويريدون
من الميرة كذا وكذا فيهتز الحجاب فيكون هذا الحجاب علامة القبول

والانعام

والانعام عليهم بالنعمة والقبول ولم يكن ابتداء هذا الحجاب تكبرا من
الصديق عليه السلام ولا تجبرا على الرعية بل كان اشد الناس
تواضعا في نفسه وتذللا لربه وانما كان ذلك ازدها بالقلوب اعادية
وتحفظا من يريده بالسوء ويؤذيه واعانة لناموس الملك الذي يدفع
عن الرعية الهلك لان الدنيا لا تستمر على حال ولكل زمان دولة
ورجال فلو انبسط اليهم وظهر في كل وقت عليهم لادى ذلك الى
استخفافهم به ورجوعهم اليه وازدرائهم له وجرأتهم عليه وانما بعث
الانبيا عليهم الصلوة والسلام بنصرة دين الاسلام وتجريد
الشرايع وسد الذرايع قال ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بوصية نوح ابنه قالوا بلى قال اوصى
نوح ابنه قال اوصيك باثنتين وانهاك عن اثنتين اوصيك
بقول لا اله الا الله فانها لو وضعت في كفة والسموات السبع في كفة
لرجحتهن ولو كانت حلقة لقصمتهن حتى تخلص الى الله واوصيك
بقول سبحان الله وبحمده فانها عبادة الخلق وبها ترزق ارزاقهم
وانهاك عن اثنتين انهاك عن الشرك وعن الكبر فانهما يحجبان عن الله

تعالى قالوا يا رسول الله من الكبر أن يلبس الرجل قميصا نضيفا أو
يتخذ الطعام يكون عليه الجماعة قال ليس ذلك من الكبر إنما الكبر
أن يسفه الحق ويغمص الناس ذكره البزار منبعا للمتكبرين والويل
كل الويل للمتجبرين قال الله تعالى أليس في جهنم مثوى للمتكبرين
روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل الكبرياء ردائي
والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار ومعناه
أن العظمة والكبرياء من الصفات المختصة به تعالى لا يشاركه فيهما
أحد ومن أسمائه سبحانه المتكبر وهو المتكلم عباده وحيا وعلى
ألسنة الرسل قال الله عز وجل وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا
أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء وقال
أبو هريرة وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل العز إزاري والكبرياء ردائي
من نازعني شيئا منهما عذبته أخرجه مسلم عن أحمد بن يوسف
السلمي عن عمر بن حفص ومن الآثار أن الله سبحانه وتعالى يوقف

المتكبرين

المتكبرين في موقف الذل يوم القيامة ويأمر جبريل عليه السلام أن
يناديهم يا معشر الأشقياء ما شغلكم الكبر في الدنيا لقد شقيتم
وحجبتم عن ربكم فطال عذابكم يا معاشر الأشقياء من أي شيء خلقتم
فيقولون من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة فيقول
هذه صفاتكم فما لكم أظهرتم الكبر على عباد الله فيقول الله تعالى
من أنا فيقولون أنت الله الذي لا إله إلا أنت فيقول الله تعالى
إني حرمت كلامي على من تكبر على خلقي وأكل رزقي وضيع حقي
شعر عجبت من متعجب بخلقه وكان بالأمس نطفة مذره ٥ وفي غد بعد
حسن يعجبه يصير في الأرض جيفة قذره ٥ وهو على تيهه وغيته
ما بين جنبيه يحمل العذره وللشيخ فخر الدين محمد جابي زاده النحوي
ومعتقد أن الرياسة في الكبر فأصبح ممقوتا به وهو لا يدري ٥ يجر
رداء الكبر طالب رفعه ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر يا هذا
لينبئك صفتان متوثنان انهماك في الشهوات وامتناع عن
الطاعات فإذا انهمكت في الشهوات فازجرها بلجام التقوى وإذا
امتنعت عن الطاعات فسقها بسوط المجاهدة وإذا غضبت فاطف

نار غضبها بماء الحلم. وإذا نظرت إلى نفسها بعين العجب فذكرها خساسة
أصلها. وأنشدها: يا نافش ذا الكبر يا من أبت النسب من مخرج السبيلين
أبوك بالأمس كان من حمأ، وجيفة أنت بعد يومين. فما جوز أن يحقر
أحدا من الخلق. قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم
عسى أن يكونوا خيرا منهم. الآية. وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال: حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. بل ينبغي
للإنسان أن يكون للكبير كالابن وللنظير كالأخ وللصغير كالأب
وللوالدين وللأستاذين كالمملوك. شعر: فلا تمش فوق الأرض إلا
تواضعا، فكم تحتها قوم هم منك أرفع. فإن كنت في عز وحرز ومنعة
فكم مات من قوم هم منك أمنع. واعلم أن الكبر داء عضال ومرض
قتال. قال الله تعالى: فاستكبر وكان من الكافرين. وأقل ما يهيج على
أصحابه أربع آفات: حرمان الحق. قال الله تعالى: سأصرف عن
آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق. الآية. وعمى القلب.
قال الله تعالى: كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار. والمقت
والبغض من الله. قال تعالى: إنه لا يحب المستكبرين. وورد أن

موسى عليه السلام قال: يا رب من أبغض خلقك إليك؟ قال: من تكبر
قلبه وغلظ لسانه وصفق عينه وبخلت يده وساء خلقه. ويحصل
للمتكبرين الحزن والنكال في الدنيا. قال حاتم الأصم: اجتنب الكبر
والحرص والعجلة، فإن المتكبر لا يخرج من الدنيا حتى يريه الله
الهوان من الناس، والحريص لا يخرج من الدنيا حتى يحوجه إلى
كسرة وشربة، والعجلان لا يخرج من الدنيا حتى يمرغه بوله وقذره.
وقيل: من تكبر بغير حق أورثه الله ذلا بحق ولد الذات من العز.
وفي الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول: يأخذ الجبار تبارك وتعالى سماواته وأرضه
بيده جميعا، فجعل يقبضها ويبسطها، ثم يقول عز وجل: أنا الجبار
أنا الملك، أين الجبارون وأين المتكبرون. فيميل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من
أسفل شيء منه حتى إني أقول ليسقط برسول الله صلى الله عليه وسلم.
وفي الحديث أن الله سبحانه إذا أباد المخلوقات وأعدم الموجودات
يقول: أين الملوك، أين الجبابرة، أين الفراعنة، أين الأكاسرة، أين

المتكبرون أين المتجبرون يا عبادي لمن الملك اليوم فلا يجيبه
أحد فيقول ثانية لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيقول ثالثة
لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه بنفسه ويقول لله
الواحد القهار تجلببت بالعزة واحتجبت بالعظمة وبالغت
في الحكمة وأتقنت الصنعة ودبرت الملك فاستنار بنور رب
المعبود وأنا الرب الواحد الصمد المعبود شعر هذا البحر من نحو
حسنك يشرق وعليه من بحر جمالك رونق ◦ يعجز الوصاف فيك
وكيف لا والوصف حسنك غاية لا تلحق ◦ فما آخر تستر من جلالك
هيبة فالنطق أخرس والإشارة تنطق ◦ يا من لمن يدور حيرتك
منع بعض اليد وما هو يتشوق ◦ الا هيم بك القلوب صبابة وعليك
أكباد الرجال تمزق ◦ وصفات حسنك كلها معشوقة ما فيك وصف
حسنه لا يعشق ◦ حسن الحبيب إذا كان بأنه شوقا الكشف حجابه
يتمزق قال بعض العلماء من كان أصل ذنبه الشهوة يرجى غفرانه
ومن كان أصل ذنبه التكبر لا يرجى غفرانه لأن الشهوة صفة العبد
المفتقر إلى رحمة ربه والعبد ضعيف عاجز عن كسر شهوته إلا بتوفيق

ربه فإذا طاوع شهوته فقد اتصف بشيء هو صفة له مع اعترافه بتقصيره
وضعفه وعجزه وافتقاره إلى رحمة ربه واعتذاره بين يديه وهو
أكرم من قبل العذر من عبده الضعيف المعترف بالعجز والتقصير
وأما التكبر فهو صفة الله ذي الجلال الموصوف بصفات الكمال فإذا
اتصف به العبد العاجز الناقص فقد تعدى طوره واتصف
بشيء لا يليق به وليس أهلا له وليس بمقام افتقاره الذي هو سبب
نيل الكرامة والرحمة فلا يرجى غفران ذنبه والدليل على ذلك
أن آدم عليه السلام كان أصل ذنبه الشهوة وهي الطمع في الخلود
في الجنة التي هي دار النعيم المقيم في جوار الرب الرحيم فتاب الله
عليه وغفر له وإبليس كان أصل ذنبه التكبر لقوله أنا خير منه
فطرده الله تعالى عن بابه ولم يغفر له شعر خل التصنع أيها المتكلف
إن التواضع في القلوب يكون ◦ ما تصنع الأطمار فيمن صنعه يا ابن
القميص وقلبه مفتون ◦ فتراه يرقع ثوبه ليقول من يلقاه هذا
ناسك وتكون ◦ فإذا خلا أبدا القبيح كأنما في الصدر من خبث الخلال
كمون ◦ ولرب ذي ثوب نظيف أبيض تأتيك عند اللقاء ظنون ◦

[illegible]

[illegible]

يا أيها الرجل المزكي نفسه. أقلل كلامك فالجنون فنون. إن السريرة
ليس تخفى بالأخرى من يكتم الشكوى عليه تبين. والله يلبس عبده ما قد نوى
والكل بالفعل القديم رهين. يا ساعيا لنفسه في المهالك. دنا الرحيل
وأنت غافل عن ذلك. وبعيد عزمك بارك. وأنت للتزود تارك.
من تذكر وحشتك بعد إيناسك. من تغيرت من باسك بناسك.
كأنك بك قد ضعف قوى جلدك. وخرجت من أهلك وولدك. وانفردت
عن مددك. وعددك وعددك. وقتلك سيف الندم ولم يرك. ورحلت
ولم تحصل بيدك إلا عض يدك. يا من يذنب ولا يتوب. عملك عليك
مكتوب. حتى الأمل الكذوب. وتب من جميع الذنوب. فربما ترادفت
الكروب. ورب شروق بلا غروب. والهفوات المطلوب والأشغا
لات القلوب. بعد ما تفرقت بالهوى في شعوب. يا من هؤلاء لعوب
تدعوك الصلاحية ولا تتوب. واعجبا الناس صرفت عن تنبيه
لخلاصك أيها الناعس من تطلب الآخرة. يا من هو على الدنيا بالفتن
من تذكر وحدتك إذا انفردت عن مؤانس. يا من قلبه قد قسا
وجفنه يابس. يا من تجدد له الآمال مع هذه الدنيا وتم ابن الجبابرة

الأكاسرة الشجعان الفوارس. أين الأسود الضوارب والظباء الكوانس
أين من اعتاد سعة القصور حبس في القبور في أضيق المحابس.
أين الرافل في أثوابه عري من ثوابه عن الملابس. أين الغافل
من المنية عن أجله تسلبه كف العظم الدارس. أين حارس المال
غير منفك من المال أخذ المحروس والحارس. شعر الدنيا جنية
قد أراحت ومن كونه الغفلة لا يدري. كم قالت لطلابها وأحبابها
احذروا نكرتي وغدرتي. لله در أقوام دموعهم صببت وقلوبهم
مملوءة بذكر الحبيب. ليس منها سعة لغيره. لا يفترون عن طلب
خيره. إن نطقوا فبذكره وإن تحركوا فبأمره. وإن فرحوا فلقربه
وإن حزنوا فلعتبه. يرومون تلاوة الهدى وحفظه ولا يتكلمون
في غير رضى الله بلفظة. أجسادهم كم تدارس وما تدرس أن طواهم
الفناء. لقد نشرهم الثناء. لو سمعتهم في الدجى يضجون لو رأيتهم
في السحر يبكون. شعر يا من عن وصلك أضطباني. إليك من هجرك
الفرار. كان في بني إسرائيل رجل من العباد المجتهدين من العباد
الموصوفين بالزهادة. وكان إذا دعا ربه أجابه. وإذا سأل أعطاه

وأتاه، وكان تياها في الجبال صواما في الهواجر قواما في الليالي وكان
الله سبحانه قد سخر له سحابة تسير معه حيث توجه وتسكب عليه ماء
منهمرا فيتوضأ ويشرب إلى أن اعتراه فتور في بعض الأوقات فأزال
الله عنه سحابته وحجب إجابته فكثر لذلك حزنه ونحيبه وطال كمده
ووجيبه وما زال يشتاق إلى زمن الكرامة الممنون بها عليه حتى بلغ
مرامه فيبكي ويتأسف ويتحسر ويتلهف فنام ليلة من الليالي إذ أتاه
طيف خيال وقال له في نومه إن شئت أن يرد الله عليك سحابتك
وتنال من الله بغيتك فصل إلى الملك الفلاني في بلدة كذا وكذا
واسأله أن يدعو لك وبا جيدا فإن الله يسوقها إليك ويردها
عليك شعر اقصد إلى الصالح الأمين في خطبك الواقع الكبير فإن
دعا الله جا بما قد سألت من وابل بمره لقد سما في الملوك قدرا وجل
منهم عن النظير وسوف تلقى لديه أمرا يؤذن بالبشر والسرور
لعل وقت الحصول يقضي ويعقب العسر بالتيسير قال فسار الرجل
يقطع الأرض حتى وصل البلدة التي ذكرت له في المنام فدخلها وسأل
عن الملك فأرشد إلى قصره فإذا عند باب القصر غلام قاعد على

٣٠ كرسي عظيم وعليه كسوة هائلة فوقف الرجل إليه وسلم عليه فرد عليه
السلام فقال ما حاجتك قال أنا رجل مظلوم غريب جئت لأرفع
للملك قصتي قال إنه لا سبيل لك إليه لأنه قد جعل لأهل المسائل
يوما من الجمعة يدخلون عليه فيه وهو يوم كذا وكذا فانتظر راشدا
حتى يأتي ذلك اليوم فأنكر الرجل عليه احتجابه عن الناس وقال
كيف يكون هذا وليا من أولياء الله تعالى وهو على مثل هذا الحال
قال فلما كان اليوم الذي ذكر لي البواب وصلت فوجدت عند الباب
أناسا ينتظرون الإذن لهم بالدخول قال فوقفت إلى أن خرج
وزير عليه ثياب هائلة وبين يديه حشمة وعبيد فقال ليدخل
أرباب المسائل قال فدخلت من الجملة فإذا الملك قاعد وبين يديه
أرباب مملكته على مقاديرهم ومراتبهم فوقف الوزير وجعل
يقدم واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة إلي فلما قدمني الوزير
نظر الملك إلي وقال مرحبا بصاحب السحابة اقعد حتى أتفرغ لك
قال فتحيرت من قوله واعترفت بمرتبته وفضله فقضى الملك بين
الناس ثم قام فقام الوزراء وأرباب المملكة وأخذ الملك بيدي

وأدخلني إلى قصره فوجدت عند باب قصره أسود عليه ثياب وفوق
رأسه أسلحة وعن يمينه وعن شماله دروع وبرانس فقام إلى البواب
وفتح باب القصر فدخل الملك وبيده يد صاحب النجابة فإذا بيت
بابه قصير غلق بال ففتحه الملك ودخل إلى دار خربة وبناء مائل ثم
دخل إلى بيت ليس فيه شيء إلا سجادة وقدح للوضوء وشيء من
الخوص فجرد الملك ثيابه ولبس جبة خشنة من الصوف الأبيض
وجعل على رأسه قلنسوة لبد ثم قعد وأقعدني بجانبه ونادى يا فلانة
قالت لبيك فقال لها أتدرين من ضيفنا في هذا اليوم قالت نعم
هو صاحب النجابة فقال اخرجي لا عليك منه فإذا امرأة كأنها
الخيال وكأن وجهها الهلال عليها جبة صوف فقال الملك يا أخي
أتريد أن تعرف خبرنا أو ندعو لك وتنصرف فقال بل أنا إلى سماع
خبركما أشوق فقال يا أخي إنه كان لي في هذا الأمر آباء كرام تداولوا
المملكة وتوارثوها كابرا عن كابر إلى أن ماتوا ووصل الأمر إلي
فبغض الله إلي الدنيا فأردت أن أسيح في الأرض وأترك الناس
ينظرون لأنفسهم فخفت عليهم من دخول الفتنة وتضييع الشرائع

وتشتيت جمع الشمل فبايعوني وأنا مكره فتركت أموره على ما
كانت عليه وجعلت لكل راتب منهم أو عامل جرايته بالمعروف
ولبست ثياب الملك وأقعدت العبيد على الأبواب إرهابا
لأهل الشر وردهم عن أهل الخير وإقامة الحدود فإذا فرغت
من ذلك كله دخلت إلى منزلي وأزلت هذه الأثواب ولبست
ما لا أسأل عنه وهذه ابنة عمي وافقتني على الزهادة
وساعدتني على العبادة ونحن نعمل من هذا الخوص بالنهار
ما نفطر عليه بالليل منذ أربعين سنة فأقم معنا يرحمك الله
حتى نبيع خوصنا وتفطر معنا وتبيت عندنا ثم تنصرف بحاجتك
إن شاء الله تعالى فلما كان آخر النهار وإذا بغلام خماسي قد دخل
فأخذ ما عملا من الخوص وسار به إلى السوق فباعه بقيراط واشترى
به خبزا وفولا وجاء به قال فأفطرت معهما وبت عندهما فقاما
من نصف الليل يصليان ويبكيان فلما كان عند السحر قال الملك
اللهم إن هذا يطلب منك سحابة وأنت على كل شيء قدير
اللهم أره إجابته واردد عليه سحابته قال وأمنت الزوجة

على دعائه فإذا أنا بالغمامة قد نشأت من السماء فقال إني لك البشارة
بسحابتك قال فودعتها وانصرفت والسحابة تتبعني كلما كنت
فما بعد ذلك لا أسأل الله تعالى شيئا يحزنها إلا أجابني شعر
وإن لربي صفوة من عبيده قلوبهم في روض حكمته تجري وأبدانهم
قد أنهكت حركاتها لما في صدور القوم من خالص البرة تراهم موتى
خاشعين لربهم وأنفسهم بحومة الوهم والفكرة فهم حجة المولى
على الخلق كلهم لدعوتهم تهمي السحابة بالقطرة كساهم إله العرش
من نسج وده ثيابا وأغناهم عن القصر للغيرة بنص ظلام الليل
حسن وجوههم فأنوارها تعلو على الأنجم الزهرة لله در أقوام
تركوا الدنيا فأصابوا وسمعوا منادي والله يدعو إلى دار السلام
فأجابوا وحضروا مشاهد التقى فما غابوا واعتذروا إلى مولاهم
ثم تابوا وقصدوا بابه فما ردوا إذا والله ولا خابوا إخواني التوبة
التوبة قبل أن تصل إليكم النوبة الإنابة الإنابة قبل أن يغلق
باب الإجابة الإفاقة الإفاقة ما دام لكم على العمل طاقة اصبروا على
الفاقة فالصبر مر مذاقة إنما الدنيا سوق البخس ونوق النحس

ومجلس وعظ للزجر وليل صيف قريب الفجر فما أحقها بالهجر لمن
طلب مضاعفة الأجر نعيمها كخيال طيف ونحو لها كرحلة صيف
وعزها نقد زيف فلماذا تعشق الدنيا وكيف وهي دار الكدر والحيف
فالبدار البدار فالوقت سيف لا تؤخر التوبة من الصيف إلى الشتاء ومن
الشتاء إلى الصيف وكن من التائبين فما أقبل لباب من وأخيف يا هذا
سبقك أهل العزائم وأنت من اليقظة نائم قف على الباب وقوف
نادم وتذلل تذلل الخادم ونكس رأس الافتقار وقل ظالم
وناد في الأسحار من هو بحالك عالم وتشبه بالقوم إن لم تكن منهم
وزاحم وقل إلهي أنا عبد مذنب وأنت راحم ثم في الدجى نادبا
وقف على الباب تائبا يستر لك معايبا ولا يردك خائبا واستدرك
من العمر ذاهبا ودع اللهو والهوى جانبا إن رمت أن تكون غالبا
وطلق الدنيا إن كنت للآخرة طالبا ويحك أتدري ما صنعت بنفسك
دخلت دار الهوى التي هي دار محنتك فقامرت بعمرك وخالفت
أنبياء جنسك فمضى يومك في البطالة كأمسك ولم تغتنم خمسك
قبل خمسك ولا تزودت من التقوى لحلول رمسك لا جرم لك العاقبة

فهمت كأنك ما فهمت. فلو علمت بخداعها سلمت. ما أنالت إلا وحالت.
فأصبح الموهوب وهو بيدها منهوب. وما نوالت إلا ومالت عن المرغوب
إلى المرهوب. وما أقالت إلا وقالت لا عثرة عليكم الشدائد والكروب.
لقد كشف حالها أولو الأفكار. وعلموا ما تحويه من العيوب. وعرف
مآلها ذوو الاعتبار. وأصحاب البصائر والقلوب. الذين اعتبروا لما
أبصروا ما فعلته بمثلهم. وازدجروا لما نظروا ببصيرتهم وعقلهم.
وتحققوا أن الذين سبقوا كانوا على زيهم وشكلهم. وأن الذين لحقوا
لو وفقوا لاقتصروا عن غرورهم وجهلهم. ولو عرفوا لانصرفوا عن
قبيح فعلهم. قبل تفريق شملهم. قبل تزييف وصلهم. قبل أن يزعجوا فيخرجوا
من وطنهم وأهلهم. وينقلوا فينزلوا بموضع إقامتهم ونزلهم. ويجذبوا
ليجدوا بمحل محلهم. ويجدوا ما وجده الأولون من حزنهم وثكلهم. فهم
سائرون على مثل لهوهم وهزلهم. وسائرون على سيرهم في سبلهم
فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم. يا من يظن أنه
مقيم وهو راحل. قد دنت معابر العبور وأنت تلهو على الساحل. أكثر
العمر قد غبر. ولبث عندك منه صبر. ترجح الفاني على الباقي وما تعلم

ما ذا تلاقي. يا من يعظه الدهر ولا يقبل. ويبدره التنبيه ثم يرحل.
وينقض العمر إلى الشيب. ويبين ما يفعل. كن كيف شئت فإنما تجازى
بما تفعل. يا من عوّل على نجائبه وهو يتوانى. ما هذا الفتور والرحيل قد تدانى.
يا مقبلاً على الأمل لا تطمع بقيانا. كأنك بالدموع تجري عند الموت
غدرانا. وبحرقة التلف قد أوقدت من شعل الأسف نيرانا. وأنت
تبكي على تفريطك حتى قرحت أجفانا. احذر زلل قدمك. وخف
حلول ندمك. واغتنم وجودك قبل عدمك. واقبل نصحي ولا تخاطر
بدمك. شعر. إذا ما نهاك امرؤ صالح عن الفاحشات انزجر وانتهِ
وإما علوت إلى رتبة فكن حذرًا بعدها أن تهي. وإما نزلت بمهجة
في الذنوب فلا تغترر بالمنى أنت هي. يا مخدوعًا قد فتن. يا مغبونًا قد
غبن. من لك إذا سوّي اللبن في بيت قط ما سكن. العاقل فطن
والجاهل عطن. أنت في دار شتات فتأهب لشتاتك. واجعل الدنيا
كيوم صمته عن شهواتك. ولكن فطرك عند الله من يوم وفاتك.
إياك والدنيا فإن حبل الدنيا مبتوت. واقنع منها باليسير من
القوت. فالقوت يغني عن الياقوت. واحذر منها فإنها أسحر من

هاروت وماروت لبس للماء من قبضة منك تبوت وإنما وهن
البيوت لبيت العنكبوت أين من جمع المال وملأ التخوت تناوب
تحت اللحود العبيد والسادات والسنوت ما منعه أن حال من الناس
حالوت ولا رده عنه أن طال من الناس طالوت ولا منع أصحابه جلول
التابوت لقد أخرج الموت من قعر البحر الحوت كم من مسؤول عن
عذره من قبره مبهوت لقد أنطق الوعظ الصخور الصموت أما يكفيك
زجرا أنك تموت يا دارعا في كل يوم ينعوت قل أنا تائب إلى كم
ذا السكوت إخواني العمر قدر يسير وهو يسير بل يطير وهو
أنفاس معدودة وأوقات محدودة الأمل منام لا يرى فيه إلا الأحلام
هذا سيف الموت قد دنا فإن ضرب قدنا خذوا الأهبة بالجد فقد
دنا الرحيل ولا زاد عندنا إخواني تفكروا في مصارع الذين سبقوا
وتدبروا مصيرهم وأين انطلقوا واعلموا أن القوم انقسموا
فرقتين وافترقوا فمنهم قوم قد سعدوا ومنهم قوم قد شقوا
شعر عجبت والدهر لا تفنى عجائبه للراكنين إلى الدنيا وقد صدقوا
بالرحيل لمخدوع بزخرفها بعد البيان ومغرور بها يثق أين

الذين إلى لذاتها ركنوا فقد كان فيها لهم عيش ومرتفق أمست
مساكنهم قفرا معطلة كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا يا أهل لذات
دار لا بقاء لها إن اغترارا بظل زائل حمق

آخر المجلس الحادي عشر

وأسأل الله خالق البشر أن يوفق الأيام بما
بعده فإنه القدير من كل شدة والحمد لله وحده وأن يرزقنا
دوام العافية وتمام المنة ومتابعة الكتاب والسنة وتوبة من
الذنوب عاصمة مقتضية إلى حسن الخاتمة وصلى الله على سيدنا
محمد النبي الجليل والحبيب والخليل وعلى آله وصحبه في كل
بكرة وأصيل فإن الله بالمجال الأوفى لمن اعتمد على كرمه
يكفل وهو حسبي ونعم الوكيل علقه لنفسه ولمن شاء الله
من بعده أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحصني الحنفي عامله الله
بجميل لطفه الخفي وغفر له ولوالديه وذويه وأقربيه ولمن
نظر فيه ودعا لهم بالرحمة والمغفرة والستر يوم الفضيحة
ولجميع المسلمين بتاريخ عشية السبت ثاني جمادى الأول سنة
أربع وخمسين وثمانمائة أحسن الله خاتمتها بمنه وكرمه

كان لحنظلة التميمي ابن عاق يقال له مرة. فقال له يا مرة إنك لمر. فقال أعجبتني
حلاوتك يا حنظلة. فقال إنك خبيث كاسمك. فقال كيف وأنا من حنظلة شجرة خبيثة.
فقال كأنك لست من الناس. فقال من أشبه أباه فما ظلم. فقال ما أحوجك إلى أدب.
فقال من زمان أحوج من إليه. فقال عقمت أم ولدتك. فقال إذا انتجت من مثلك.
فقال لقد كنت مشوما على إخوتك دفنتهم وبقيت. فقال لقد أعجبني كثرة عمومتي
قال لا تزداد إلا خبثا. قال لا يجتنى من الشوك العنب. قال ما أظلمك. وقد سلطك
الله علي. فقال كأنكم تواثبون عليكم. قيل شر المال ما لا تميل النفوس إليه. وشر بلاد
لا ينبت فيه كل عشب. وشر شجرة لا يوجد به كل ثمر. وشر شباب لا يتشبث
به أن يعلق. قال عمرو بن العاص لمعاوية ما أشد حبك للمال. فقال ولم لا
أحبه. وقد اشتد به أزري واستغنيت به عن أمثالي واستعبدت به أمثالك.
وابتعت به مروءتك. ودينك. وتوسلت به إلى آبائي دنيا ودينا. قال
الثعالبي من ملك الصفراء ابيض وجهه واخضر عيشه. وقال من جمع البيض
والصفر صالح البيض والسمر. قال سفيان الثوري المال في زماننا هذا سلاح المؤمن.
وقال الثعالبي الدراهم مراهم لجروح الدهر. وقال الأصفر المنقوش يصير
الحجارة كالذهب المنقوش ويصرفه. قوله صلى الله عليه وسلم. الدينار والدرهم.

هما خاتم الله في أرضه من جاء بخاتم مولاه قضيت حاجته. قال [illegible]

قوله [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم المجلس الثاني عشر في قوله تعالى ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ٥ الآية.
الحمد لله الذي رفع السماء رفيع جسيم سر امر قدرته وامسكها بلا عماد.
وبسط الارض على سنام ركام اكام امواج البحر العجاج ووضعها كالمهاد.
وارساها على كرائم رواسي صم صخر قواعد جلامد جبالها وجعلها كالاوتاد.
العزيز الذي عصم خواطر العارفين بجسام تمام ارادته من حلول نزول حصول
وصول جيوش التغير والفساد. وانطق قماري النسيم على افنان اغصان
افئدتهم في روضات جنات جنانهم بانواع اسجاع سجاع بدائع صنائع
عجائب غرائب الحكمة والسداد. الغريب الذي اقفل على ابواب الباب اهل
الشرك باغلال اثقال اقفال اجمال احمال الكفر والعناد. يعطي من يشاء ويمنع
من يشاء. ويضل من يشاء. ويهدي من يشاء. ومن يضلل الله فما له من هاد. فتق
ورتق وقال وصدق وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وهو الكريم الجواد.
ينعم للعباد فيفتح منهجا ويجعل للمتقين مخرجا. ويهون عليهم الامور الشداد.
اما سمعته يقول وهو لا يخلف الميعاد. ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب. فيا لمن يعتمد بعد هذا على احد من العباد. فسبحان من يقهر

الملوك

الملوك. ويجبر الصعلوك. ويغني المملوك. ويجمع بين الاضداد. أحمده على نعمه
المنزهة عن الحصر والتعداد. واشكره شكرا دائما على مر الاباد. واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تتكرر بتعداد. واجد بركتها في يوم
المعاد. واشهد ان محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله. وحبيبه وخليله
وامينه ودليله. المخصوص بالرحمة والوداد. والحكمة والسداد. صلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله الحنفاء الامجاد. وعلى اصحابه النجباء الانجاد. صلوة تدوم
وتفوح نفحاتها مندل ومسك وزباد. وناح بلبل فاطرب وزاد. وسلم كثيرا
شعر تصد عن العصيان يا غافلا اخطا. فتبكي قد وافى وتوبك قد ابطا
وتقواك لا تبقى وعهدك لا يبقى كانك لا تدري الحساب ولا القسطا اتجنح يا
بطال للهو والصبا. وهذا ابيض الدهر في الراس قد خطا حروف بياض طال ما
اسود لونها. فالبسها الموت الملم بها مرطا كان غراب البين ترك خلفه.
حمام حمام فالنفوس له لقطا وتطلع من اشطان دار بها البلا. وشيعه
عهد والرحيل غدا شرطا هلكت لقد املك بالامال. الطمع مجنونا سقاه
الهوى قسطا الست ترى مكر الزمان باهله. وانت كمن اعطاه من مكره
قسطا تستدري اذا ما جئت في الحشر مفردا. ورائك من اجل المعايب

قد حفظه فإن كنت ترجو أن تنال من التقى نصيبا ويمحى عنك ويحك ما خطاه
فقم من ظلام الليل واسأله توبة فلم ينج المقبوض من رقه بخطاه فلا أحد
ينجي سوى الله مانح وليس له إلا الذي ربه أعطى. اعلم أن الله تعالى أعطى
المتقين اثني عشرة خصلة من خصال أهل السعادة. أولها القبول
وهو قوله تعالى إنما يتقبل الله من المتقين. كان عامر بن قيس رحمه الله يصلي
كل يوم وليلة ألف ركعة فلما حضره الموت بكى فقيل له ما يبكيك مع كثرة
عبادتك فقال قوله تعالى إنما يتقبل الله من المتقين. الثانية العاقبة
وهو قوله تعالى والعاقبة للمتقين. الثالثة النجاة من النار وهو قوله تعالى
ثم ننجي الذين اتقوا. الرابعة الجنة. قوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم
جنات الآية. تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا. الخامسة
جوار الله في الجنة. وهو قوله تعالى إن المتقين في جنات ونهر في مقعد
صدق عند مليك مقتدر. السادسة نصرة الله لهم وتأييده وهو قوله تعالى
إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. السابعة محبة الله تعالى وهو
قوله تعالى إن الله يحب المتقين ولو لم تكن في التقوى إلا هذه لأغنت
عما سواها. الثامنة الكرامة والإكرام والإعزاز وهو قوله تعالى إن أكرمكم

عند الله أتقاكم. قال صلى الله عليه وسلم من شاء أن يكون أكرم الناس فليتق الله.
التاسعة اليسر قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا. العاشرة
التكفير وعظم الأجر وهو قوله تعالى ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم
له أجرا. الحادية عشر إصلاح العمل وغفران الذنوب وهو قوله تعالى
يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم. الثانية عشر المخرج وهو النجاة من
الشدائد والرزق من الحلال وهو قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب. قال الربيع بن خثيم مخرجا من كل أمر
ضيق على الناس أو من كل ما ضاق على الناس. وقال ابن عباس
مخرجا من شبهات الدنيا وغمرات الموت وشدائد الآخرة. وزاد بعضهم
على هذه الاثني عشرة خصلة خصالا أخر من أسباب السيادة وأصناف
السعادة. قال المحزونين والثالثة عشر ركوب النوق من القبور إلى
القصور وهو قوله تعالى يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا. والوفد
لا يكون إلا ركبانا. ومنها الرحمة والثناء. قال تعالى وإن تصبروا وتتقوا
فإن ذلك من عزم الأمور. ومنها الحفظ والحراسة من الأعداء. قال
الله تعالى وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا. ومنها البشارة عند

الموت قال الله تعالى وكانوا يتقون لهم البشرى ومنها حفظ الاخوة
والصداقة اي عدم انقلابها عداوة قال الله تعالى الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين ومنها الخلود في الجنة قال الله تعالى
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
اعدت للمتقين ثم الكلام على حقيقة التقوى جملة وتفصيلا اما جملة
فهي عبارة عن امتثال المأمورات واجتناب المنهيات واما تفصيلا
فاعلم ان التقوى في الكتاب العزيز على ثلاثة اقسام احدها بمعنى
الخشية والهيبة قال الله تعالى واياي فاتقون واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله الثاني بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس اطيعوا
الله حق طاعته وقال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر
فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر الثالث بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب
وهذه هي الحقيقة في التقوى الا ترى قوله تعالى ومن يطع الله
ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة
والخشية وهي تنزيه القلب عما ذكرناه وقال الشافعي رحمه الله

منازل

منازل التقوى ثلاثة تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي
وقد ذكرها الله سبحانه في اية واحدة وهي قوله عز وجل ليس على الذين
امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات
ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين فالتقوى الاولى
عن الشرك والتقوى الثاني عن البدعة والتقوى الثالث عن المعاصي قال
انس بن مالك الانصاري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الاسلام علانية والايمان في القلب ثم يشير صلى الله عليه وسلم
بيده الى صدره ويقول التقوى هاهنا التقوى هاهنا ثلاث مرات ذكره
مسلم وقال عطية السعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد
ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس ذكره الترمذي
وقال الغزالي رحمه الله ورد التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال كما
جاء في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي
المتقون متقين لتركهم ما لا بأس به حذرا لما به بأس قال الحسن
البصري رحمه الله ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من
الحلال مخافة الحرام وسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن

المتقي. فقال هو الذي لطعامه يتقي. وتاب عما مضى وأصلح ما بقي. وقال
أبو سعيد الخدري رضي الله عنه. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم.
يقول لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي. ذكره الترمذي.
وقال أبو ذر رضي الله عنه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. اتق الله
حيث ما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها. وخالق الناس بخلق حسن.
ذكره الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم. لرجل وهو يوصيه. عليك
بتقوى الله. فإنها جماع كل خير. وعليك بالجهاد فإنه رهبانية كل مسلم.
وعليك بذكر الله فإنه نور لك يوم القيامة. وقال صلى الله عليه وسلم.
من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله. وقد تقدم. لكن في تلك الرواية.
من شاء. وفي هذه من سره. وقال مسعود لسعيد من أفقه أهل المدينة.
قال أتقاهم لله. وكان شريح يدور في المجالس وينادي من سره أن
تدوم له العافية. فليتق الله. وأما اشتقاقها وتصريف لفظها. فنقول.
والله الموفق قال العلماء. التقوى مشتقة من الوقاية. بكسر الواو.
وقد تفتح. والوقاء والوقاء ما وقيت به شيئا. ومن ذلك قولهم فرس
واق إذا كان يهاب المشي من وجع يجده في حافره. فأصل تقوى.

على

على هذا وقوي أبدلت الواو تاء. كما أبدلت في تراث وتخمة وتكاة.
فالأصل وراث ووخمة ووكاة. وكذلك اتقى يتقي أصله اوتقى على
افتعل فقلبت الواو تاء. لانكسار ما قبلها. وأبدلت منها التاء وأدغمت.
فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء من أصل الحرف.
فجعلوه تقى يتقي. مثل قضى يقضي. ويقول من الأمر اتق وللمرأة اتقي.
ومن ذلك قوله زيادتنا نعمان لا تقطعنها. تق الله فينا والكتاب
الذي تتلوه بنى الأمر على المخفف فاستغنى فيه عن الألف بحركة الحرف.
من المستقبل. والتقوى والتقا واحد. والتقاة والتقية اسمان. تقول
اتقى يتقي تقاة. قال الله تعالى إلا أن تتقوا منهم تقاة. والتقي المتقي
قد جعل بينه وبين المعاصي وقاية تحول بينه وبينها. من قوة عزمه
على تركها. وتوطين قلبه على ذلك. سلك الله بنا إليه أحسن المسالك.
حكى ذلك الشيخ. الإمام. العلامة. الورع. الزاهد. العابد. العدل. الخاشع.
تاج الدين لسان المتكلمين أبو حفص عمر بن الشيخ أبي الحسن علي
اللخمي المالكي المعروف بابن الفاكهاني رحمه الله. في كتاب الغاية له.
وقد بين الله تعالى صفة المتقين في كتابه المبين فقال وهو أصدق

الصادقين. وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. خرج البزار في مسنده
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم. ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وادخله الجنة
برحمته. قالوا وما هي يا رسول الله. قال تعطي من حرمك وتصل من
قطعك وتعفو عمن ظلمك. قال الله تعالى وان تعفوا وتصفحوا
وتغفروا فان الله غفور رحيم. وقال عز من قائل وليعفوا وليصفحوا
الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم. وقال سبحانه فمن عفا
واصلح فاجره على الله. وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاعف
عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر. وقال سبحانه خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين. لما انزل الله تعالى هذه الاية قال
النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام يا اخي يا جبريل ما هذا
قال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من منعك
وتبذل لمن حرمك وتعفو عمن ظلمك. ومن الحديث عنه صلى الله عليه
وسلم

وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش من كان
له عند الله عهد فليقم. فيقوم العافون عن الناس فيعفى عنهم. ومن الاثر
انه يؤتى يوم القيامة برجل فيحاسب فلا تبقى له حسنة. فيقول الله
عز وجل يا عبدي هل تجد شيئا من الاعمال الصالحة تنفعك من عذابي
فيقول لا يا رب لم تترك الشهوات ولم تبق لي اللذات شيئا من الاعمال
الصالحات غير اني كنت في الدنيا اعفو عمن ظلمني. فيقول الله عز وجل
صدقت يا عبدي هكذا كنت تفعل وانا اليوم احق بالعفو عنك والجود
على مقترك وما فيك اذهب فقد غفرت لك. واولى الناس بالعفو
اقدرهم على العقوبة. شعر فهبني مسيئا كالذي قلت ظالما فعفوا جميلا
كي يكون لك الفضل. فان لم اكن للعفو منك لسوء ما اتيت به اهلا
فانت له اهل. طلب بعض ولاة الامر رجلا زمنا طويلا فلما مثل بين
يديه. نظر اليه نظر المغضب عليه. فقال له الرجل اذكر وقوفك غدا
بين يدي من وقوفك بين يديه اذل من وقوفي بين يديك. فدمعت
عيناه وخلى سبيله. شعر اقبل معاذير من ياتيك معتذرا. ان بر عندك
فيما قال او فجرا. فقد اطاعك من ارضاك ظاهره وقد اجلك من

يستعبد بشرا ومن لطائف الحكايات من هذا المعنى ما روي عن أحمد
ابن أبي داود القاضي أنه قال جيء بتميم بن جميل إلى المعتصم أسيرا
وكان قد خرج عليه بما رأيته جلا عرض على الموت فلم يكترث به
سواه ثم دعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر إليه فأعجبه
حسنه وقده ومشيه إلى الموت غير مكترث فأطال الفكر فيه ثم
سأله ليستنظر أين عقله ولسانه من جنانه فقال يا تميم إن كان لك
عذر فأت به فقال أما إذا أذن لي أمير المؤمنين في الكلام فإني
أقول الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان
من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يا أمير المؤمنين
جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين وأخمد بك
نار الباطل وأنار بك سبل الحق إن الذنوب تخرس الألسنة
وتصدع الأفئدة وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة
وساء الظن ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك وأنت إلى العفو
أقرب وهو أشبه بك وأليق ثم أنشد أرى الموت بين النطع
والسيف كامنا يلاحظني من حيث ما أتلفت وأكبر ظني أنك

اليوم

اليوم قاتلي وأي امرئ مما قضى الله يفلت ومن ذا الذي يأتي بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه مصلت يعز على الأوس بن تغلب موقف
يسل علي السيف فيه وأسكت وما جزعي من أن أموت وإنني
لأعلم أن الموت شيء موقت ولكن خلفي صبية قد تركتهم وأكبادهم
من حسرة تتفتت كأني أراهم حين أنعى إليهم وقد لطموا حر
الوجوه وصوتوا فإن عشت عاشوا في سرور ونعمة أذود الردى
عنهم وإن مت موتوا فكم قائل لا يبعد الله داره وآخر جذلان يسر
ويشمت قال فبكى المعتصم ثم قال إن من البيان لسحرا كما قال صلى الله
عليه وسلم يا تميم كاد والله أن يسبق السيف العذل قد غفرت لك
الصبوة ووهبتك للصبية ثم عقد له ولاية على عمله وأعطاه خمسين
ألف دينار حكى سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان أن المعتصم ولد
سنة ثمانين ومائة في ثامن شهر منها ومات لثمان عشرة ليلة خلت من
رمضان وهو ثامن الخلفاء من بني العباس وفتح ثمان فتوح ووقف
ببابه ثمانية ملوك وقتل ثمانية أعداء وكان عمره ثمانية وأربعين سنة
وخلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وخلف ثمانية بنين

وثمانية آلاف ألف دينار، وثمانمائة ألف ألف درهم، وثمانين ألف فرس،
وثمانين ألف جمل وبغل ودابة، وثمانين ألف خيمة، وثمانية آلاف عبد،
وثمانية آلاف جارية، وبنى ثمان قصور، ونقش خاتمه: الحمد لله، ثمانية أحرف،
وكانت غلمانه لا تزال ثمانية عشر ألفا، وطالعه الثامنة من كل شيء، ونعت
بالمثمن، والثامن. ومن غريب ما اتفق للمعتصم هذا أيضا: أنه كان قاعدا
في مجلس أنسه، والكأس في يده، فبلغه أن امرأة شريفة من بني العباس
عند علج من علوج الروم في عمورية، وأنه لطمها على وجهها يوما، فصاحت:
وامعتصماه. فقال لها العلج: ما يجيء إليك المعتصم إلا على أبلق. فختم المعتصم
الكأس، وناوله الساقي، وقال: والله لا شربته إلا بعد فك الشريفة وقتل
العلج. فلما أصبح نادى بالرحيل إلى غزوة عمورية، وأمر عسكره أن لا
يخرج أحد منهم إلا على أبلق، فخرجوا في سبعين ألف أبلق. فلما فتح الله
تعالى عليه بفتح عمورية دخلها وهو يقول: لبيك لبيك، وطلب العلج صاحب
الأسيرة الشريفة، وضرب عنقه، وفك قيود الشريفة، وقال للساقي:
ائتني بكأسي، فأتاه بها، وفك ختمها، وشربها، وقال: الآن طاب الشراب.
كان لميمون بن مهران جارية، فأتته يوما بمرقة برسم غدائه، فعثرت

فصبت

فصبت المرقة على رأسه، فغضب لذلك، وأراد أن يضربها، فقالت
له: يا سيدي، والكاظمين الغيظ. قال: كظمت غيظي. فقالت: والعافين عن
الناس. فقال: عفوت عنك. قالت: والله يحب المحسنين. فقال: أنت حرة
لوجه الله. وكان ميمون بن مهران هذا يقول: لا يكون المتقي متقيا
حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك لشريكه. وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه: من اتقى الله وخافه لم يشف غيظه، اتق الله يصنع لك ما
تريد. وكان رضي الله عنه يقول لكعب الأحبار: حدثني عن التقوى. فقال
له: هل أخذت طريقا ذا شوك؟ قال: نعم. قال: فما عملت فيه؟ قال:
حذرت وتشمرت. قال: كذلك التقوى. وكان رضي الله عنه يقول لنفسه:
والله لتتقين الله يا ابن الخطاب أو ليعذبنك. وكان من شدة تقواه
لمولاه، وخوفه من الله، في وجهه خطان أسودان من البكاء. وكان
يدني يده من النار ثم يقول: يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر؟ هذا حال
عمر وقد عمر من ربع التقوى يا عمر، فكيف بك يا من لا صبر وليس عنده
من التقوى خبر. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: اتقوا ما نهاكم عنه
فاجتنبوا وامتثلوا ما أمروا به. وقال بعض الحكماء: التقوى نور في القلب

يعرف به بين الحق والباطل. وقال وهب بن منبه رحمه الله: الإيمان عريان
لباسه التقوى وزينته الحياء وماله الفقه وثمرته العفة. وقال
الأعمش رحمه الله: من كان رأس ماله التقوى كلت الألسن عن وصف
ربحه، ومن كان رأس ماله الدنيا كلت الألسن عن وصف خسرانه. كما
قال الحطيئة: ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا ... وعند الله للأتقى مزيد. لغيره: إذا أنت لم ترحل
بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ... ندمت على أن لا تكون
كمثله ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا. أتى الحسن يوما فرقد وعليه
جبة صوف مرقعة، فأخذ الحسن بتلابيبه وقال: يا بن أم فرقد
ليس التقوى بأكل الغليظ ولا بلبس العباءة، إنما التقوى ما وقر في الصدر
وصدقه العمل. شعر: ليس التصوف لبس الثوب ترقعه ... ولا بكاؤك إن
غنى المغنونا ... ولا صياح ولا رقص ولا طرب ... ولا تغاش كأن قد صرت
مجنونا ... بل التصوف أن تصفو بلا كدر ... وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن ترى خاشعا لله مكتئبا ... على ذنوبك طول الدهر محزونا. وقال غيره
لله دره: إن التصوف من تصفو سريرته ... حاوي فصوص فأمسى عال

اللهم

اللهم. ذاك الذي محبب في الحب أرشده ... لكنه من اللباب ثابت القدم
واعلم أن أرزاق العباد تنقسم إلى ثلاثة أقسام: مضمون ومقسوم
وموهوب. فالمضمون ما يشترط في أمر الحاجات، والمقسوم ما يتوصل إليه
بأنواع الأسباب، والموهوب ما وعد الله به المتقين حلالا من غير
حساب. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله. ذكره الترمذي. وقال عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أنكم
تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح
بطانا. ذكره الترمذي. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابني خالد:
لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما، فإن العبد تلده أمه أحمر
ليس عليه قشر ثم يرزقه الله. ذكره ابن أبي شيبة. وقال ابن مسعود
رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس من عمل يقربكم
إلى الله إلا وقد أمرتكم به، ولا من عمل يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه،
فلا يستبطئن أحدكم رزقه، فإن جبريل، وفي رواية: فإن روح القدس
عليه السلام نفث في روعي أن أحدكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل

رزقه فاتقوا الله ايها الناس واجملوا في الطلب فان استبطا احدكم
رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فان الله لا ينال ما عنده بمعصيته ذكره
ابن عبد البر وقال موسى عليه السلام يا رب كيف تمت بارزاق خلقك
على اختلاف صورهم وكثرة عددهم وعدم تناهيهم فاوحى الله اليه
يا ابن عمران الخلق في قبضتي كحبة خردل ملقاة بارض فلاة وان
احاطتي اكثر من احاطة الفلاة بالحبة ارزق البعيد والقريب
والكبير والصغير والمؤمن والكافر ولا يتعذر ذلك علي لقوة
الاحاطة واتصال الغنى قال يا رب وكيف ترزقهم ولا تنقص خزائنك
قال اني اضرب لك مثلا في ذلك اذا جاء الليل مر بني اسرائيل
ان لا يطفؤا نارا ولا يوقدوا مصباحا ثم احمل مصباحا على باب
خيمتك ومرهم ان يقتبسوا منه ففعل موسى ذلك فجعل هذا يوقد
مصباحه وهذا شعلته وهذا ما يحتاج اليه من نار او قد الكل من سراجه
وبقي سراجه كما كان فاوحى الله اليه يا ابن عمران انقص من سراجك
شيء قال لا يا رب قال اذا كان هذا حكم سراجك فما حكم خزائني
امدها بالعطاء واحوطها بالحفظ فقال سبحانك لا اله الا انت لا تنقص

خزائنك

خزائنك ولا ينفد سلطانك شعر يا من يجود على العباد ويرزق ويتيح
ما سأل العبد ويشفق ويجيب دعوة من دعاه لحاجة ويبذل اللطف
الجزيل ويرفق أنت العزيز بلا خلاف والذي يؤتى الجبار وانا
الذليل الملق اتعلقت طرقي بالذنوب وانني لأنجح من تعلق القبض
والغلق ومن العجائب ان اريد جرائما ويريد احسانا الذي يخلق
هذا دليل غناك عن تبدل ان الغني بجوده يتصدق فالبر ليس
يزيده في ملكه وكذا الفجور شناء لا يخلق فله الفضل والتطول
والغنى وله العزة والكمال المطلق قال والله قد ظهر افتقارك للذنب
تعينه فاسأل منه ما هو اوفق فاجبهم ومدامع منهلة خرس اللسان
وان دموع تنطق في بعض كتب الله المنزلة يقول الله تعالى عبدي لما
كنت في بطن امك ولم تعرفني ولم تعبدني ما ضيعتك وجعلت لك
دم الحيض غذاء يصل اليك في بطنك من سرتك فلما ان خرجت الى هذا
الوجود وعرفتني وعبدتني اضيعك ما يليق ذلك بكرمي وانا الغني
لما اريد عبدي لا تستغل على فوت رزقي فاعرفني عندي عليك اداء مرتين
وعلي اداء رزقك فان عصيتني ولم تؤد ما ابتغي لم اعصك في اداء

رزقك. عبدي إن رضيت بما قسمت لك أرحت نفسك وبدنك وأدخلت
عليها السرور وأنت عندي مشكور. وإن لم ترض بما قسمت لك لأسلطن
عليك الدنيا يركض فيها كركض الوحش في الفلاة وما ينالك إلا ما قسمت لك
وأنت عندي مذموم. فاعلم أن الرزق بالقسمة لا بالجهد والتعب. ألا ترى
أن يعقوب عليه السلام كان حريصا على رؤية يوسف والإخوة كانوا
فيه من الزاهدين فرآه الزاهد قبل الحريص. ليعلم أن لكل شيء وقتا.
والأرزاق بالتقدير لا بالتدبير. وكيف تغير الحيل والأسباب. وربنا
عز وجل يقول لكل أجل كتاب. وذلك أن إخوة يوسف عليه السلام
طلبوا الميرة. فدخلوا الطريق وعزموا على الوصول إلى مصر. وحملوا معهم
زادا ظنوا أنه يوصلهم إلى مصر. فنفد الزاد قبل وصولهم بمرحلتين
فأثر الجوع فيهم أثرا ظاهرا. وعلاهم الشعث وبدا بهم التغير. فلما
دخلوا مصر سألوا الناس عن بائع الطعام فدلوا عليه. فلما وصلوا إليه.
ووقفوا لديه سألوه بيع الطعام فقال إنكم قوم غرباء. وليس أمر الغرباء
بيدي ولكن انطلقوا إلى موضع كذا وكذا فإن فيه حاجتكم. قال فتقدموا
إلى القهرمان الذي وكله يوسف عليه السلام ببيع الطعام من الغرباء. شعر

يا نسيما هب من وادي قبا. خبريني كيف حال الغرباء. وأخبرني عنهم كيف
حال بعدهم. لم أزل من بعدهم معذبا. كم سألت الدهر أن يجمعنا مثل
ما كنا عليه فأبى. فوقفوا بين يديه وسألوه بيع الطعام. فقال لهم.
من أي بلدة أنتم. قالوا من أرض كنعان. قال ما أسماؤكم. قالوا فلان.
وفلان وفلان. قال لمن تنتسبون. قالوا نحن بنو يعقوب نبي الله.
ابن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله. قال فدخل القهرمان على يوسف
عليه السلام وأخبره بما قالوا له. قال أيها الملك ورد قوم من كنعان
يطلبون الميرة صفتهم كذا وكذا. وأسماؤهم فلان وفلان وفلان.
حتى عد عشرة. وأبوهم فيما يزعمون يعقوب نبي الله بن إسحاق ذبيح الله.
ابن إبراهيم خليل الله. وأن الجوع قد أثر فيهم. وقد تغيرت ألوانهم
ونحلت أبدانهم. فاهتز يوسف عند سماع الخبر. وبان عليه من السرور
أبين أثر. شعر ورد البشير مبشرا بقدومهم. فعلمت من قول البشير
سرورا. تالله لو قنع البشير بمهجتي لبذلتها ورأيت ذاك يسيرا. فكان
يعقوب من فرحه به إذ عاد من شم القميص بصيرا. فقال يوسف عليه
السلام للقهرمان أنزلهم منزلا حسنا. وابعث لهم بطعام حسن كثير.

درّفهم توقها يجب لهم. فعجب الفتيان من ذلك وكان لا يفعل ذلك
أحد من قبل فخرج وأمر لهم بما أمر به يوسف عليه السلام فدخلوا دار
الضيافة والتفضيل والكرامة والتبجيل واشتد سرور يوسف عليه
السلام وجعل يشكر مولاه على ما أولاه من إنجاز وعده التالية وهو
من الحب حيث يقول وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون
فبات تلك الليلة بأغبط ليلة فلما أصبح لبس أحسن ثيابه وقعد على
سرير ملكه وجعل على وجهه برقعا من الديباج منظوما بالجوهر
واللؤلؤ يرى الناس من داخله ولا يرى هو من خارجه وأقام على
يمينه ألف جارية بزينتهن وحليهن وعلى يساره كذلك بأيديهن
أعمدة الذهب والفضة ثم أمر قواده أن يلبسوا دروعهم وأسلحتهم
ويحضروا جموعهم وأجنادهم ففعلوا ذلك واصطفوا صفوفا
ركبانا عن يمين الكرسي ويساره وأمر الرجال والغلمان فاصطفوا
من خلف الفرسان بأيديهم الحراب والمقامع وأظهروا زينة لم ير
قط مثلها عندهم فصاروا يتعجبون من ذلك ويقول بعضهم لبعض
ما بال الملك فعل اليوم ما لم يكن فعله قبل ذلك شعر يا سائلين عن

الأمر الذي أمروا كفوا أما عندكم من قصتي خبر ۝ بيني وبين أحبابي
مطالبة حرب بها ومحن بها وتحكم قدر ۝ اليوم ينجز لي ربي مواعده
حين أرى كلما قد كنت أنتظره ۝ ومدة البين قد فلت كتائبها وجندها
بجيش الوصل قد هزموا ۝ وللعادي بأسرار إذا ظهرت تعجب الخلق
منها حين تنتشر ۝ وكل شيء له حد سيبلغه فيذهب الكرب والظلم
ينحسر ۝ قال ثم أمر بالصواع فأحضر بين يديه وكانت عادته
أن من دخل عليه وعرفه قضى حاجته ومن لم يعرفه دعا بالصواع الذي
ذكره الله تعالى وكان إناء من ذهب مرصعا بأنواع الجواهر واليواقيت
وكان الله تعالى أوصل إليه من ذلك الإناء علما من الغيب يعرف به
الخبايات فإذا دخل عليه من لم يعرفه نقر الإناء وأدناه من أذنه
فيعرف بذلك صدق المتكلم من كذبه فكانت هذه العادة تعرف منه
وتذكر بين الناس وكان يكتال بذلك الإناء الطعام لعظم قدر الطعام
وقيمته عند الأنام فجيء بذلك الإناء إليه فجعله في حجره ثم أذن لهم
بالدخول عليه فدخلوا فعرفهم وهم له منكرون قال فلما دخلوا عليه رأوا
ملكا عظيما وملكا جليلا كريما ذا هيبة وزينة حسنة ونظروا إلى الرجال

والقهارمة والفرسان والعبيد والجواري والوصائف والغلمان والحلي
والحلل والهيبة والخول والأستار والكلل فرأوا ما لم يروه قبل ولا
سمعوا به من الزمان فتلطفوا عليه بتحية الأنبياء وقاموا وقوفا قد طأطؤوا
الأعناق وغضوا الأحداق ونكسوا الرؤوس وكل منهم ينتظر ما يؤمر
به ويحكم فيه وجعل يوسف عليه السلام يطيل النظر إليهم ويتأملهم
واحدا بعد واحد ويعرفهم بأسمائهم من حيث لا يرونه فجعل يطيل
النظر إليهم ويتشاغل عنهم وينظر إلى جهة أخرى ويكلم وزراءه
بما يريد من أمره ولا يكلمهم فلما كان بعد ساعة قيل لهم اعتزلوا
حتى يتفرغ لكم الملك فخرجوا إلى مواضعهم ولم يكلمهم بكلمة فبقوا
ثلاثة أيام لم يؤذن لهم من الدخول ولا من الانصراف وكان كثيرا
ما يشتغل بصرف من يرد عليه لاحتياج الناس لما في يديه من الطعام يشتغ
قال فلما اعتزلوا وقعدوا ثلاثة أيام لا يؤذن لهم وقعت التهمة
عندهم وتشوشت خواطرهم من نظره إليهم أكثر مما كان ينظر إلى
غيرهم فقال يهوذا يا إخوتاه إن الملك نظر إلينا نظرا لم ينظره
إلى غيرنا فإما أن يكون نظره إلينا على وجه الغبطة لنبوة آبائنا

وأنبيائنا وإما أن ينظر إلينا متعتبا وحلوما وقعنا فيه الآفة بما
علم عنا من أعدائنا أو شيء ظهر من شرور وإما أن يكون تهيب مثلنا
بأخينا يوسف فيريد بنا الفضيحة والعار والعقوبة والتهمات وهذا
هو المصرع الذي كنت أخوفكم والوقت الذي كنت أحذركم فما حيلتنا
ويا شؤم ما أتينا وكانوا مع ذلك في غم حزين وكرب عالٍ ومصائب
كاملة لم يكونوا بها عهدوا من قبلهم وكانوا يبكون عليه ويتوجعون وهو يعرض
عنهم ويظهر التجهم لهم فكانوا يتحيرون ويتعجبون من الحجب إكرامه
لنا وبره بنا وتجهمه إذا رآنا ويريدون مخاطبته بالكلام فإذا
رأوه داخلتهم الهيبة وبان لهم الجلد شعر أعد أشواقي إليكم
لقاكم لأشكو الذي ألقاه من ألم الوجد فحتى إذا ما غبتم ولقيتكم
تحيرت حتى لا أعيد ولا أبدي فواعجبا حتى لبان يجوبني وحتى
حقيق بمن في الهوى نقضت عهدي يواصلني حتى أقول ملكته ويهجرني
حتى أمل من الصد فوالله ما طابت حياتي بعدكم فرب أنتم طابت
حياتكم بعدي قال فلبثوا على ذلك حينا فأذن لهم بالدخول عليه يوما
من الأيام فدخلوا فأكرم مجلسهم وجعل يسألهم ويكلمهم بترجمان

بينهم وبينه لما فضله الله وبهر مؤنته فكان الصواع موضوعا بين
يديه مكانا كلما يقول لهم الترجمان ويجيبون عنه ينقر الصواع ويدنيه
من أذنيه ويريهم أن الصواع يخبره بصدقهم أو كذبهم إلى أن قال
لهم الترجمان إن الملك يقول لكم أراكم ذوي هيبة وقوة فأخبروني
من أنتم ولمن أنتم ومن أي البلاد جئتم فقالوا نحن الأسباط أولاد
يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله نحن أبناء
وبنو الأنبياء وأخبروه بنسبهم وأحوالهم وأغنامهم ومطاعمهم
لإبلهم فنقر الصواع نقرة وأدناه من أذنيه ثم قال لهم صدقتم في
قولكم ثم قال لهم هل لوالدكم ولد غيركم أو كان له قبلكم أو خلفتموه
عنده أو هو حاضر أو غائب فأجابوه إلى أن وصل إلى حديث
بنيامين ويوسف فقالوا نعم كان له ولد فقده ولا يدري كيف صار
أمره وله أخ شقيق أنس به بعده واستراح به من غيبته قال فنقر
الصواع نقرة حتى خرج طنينه عاليا ثم قال للترجمان قل لهم إن
الصواع يخبرني أنكم تكذبون في هذا الواحد المفقود وأنكم
لتعرفون خبره قال فتغيرت ألوانهم وتلجلجت ألسنتهم

وارتعدت فرائصهم ثم قال لهم كيف كان سبب فقده حتى لم تعلم
حقيقة أمره فقال واحد أكله الذئب وقال آخر أسره العدو
وقال آخر غرق في البحر فهز يوسف عليه السلام رأسه ونظر إلى
الأرض مليا ثم رفع رأسه وقال ماذا قال والده حين فقده وكيف
هو بعده فقالوا هو لفقده باكي العين قريح القلب حليف الأسى
لا يشتغل بهجوعه ولا يشرب إلا ماء دموعه قد اعتزل الناس من
شدة البأس وهجر الأخدان والبنين وجاور الأحزان والأنين وظهر
من الوجد ما كان يخفيه واتخذ لنفسه غارا تحت الأرض ودخل فيه
وأضناه ألم البعد والجفا وبكى حتى ابيضت عيناه من البكا وليس
له نوم ولا قرار في ليل ولا نهار فتقلقل يوسف عليه السلام تقلقل
الواجد عند سماع أخبار الوالد شعر أعندكم علم بما فعل الوجد
بهيمان أغنته الصبابة والبعد فتوتم عليه لا خبرتم بفعلكم وقد
رق إشفاقا له الحجر الصلد تقلقله الذكرى فيصبو إلى الكلم ويرجو
نداكم وإن قدم العهد فقال لهم يوسف عليه السلام أما ذكرتموه
من حيرة أبيكم فإني لا أعلم اليوم أحدا على وجه الأرض أعظم

حزنةً ولا أعلى قدرًا ولا أوجب حقًّا منه. فلو مشى على ظهري مقبلًا
ومدبرًا ما قضيت حقه ولا أنكرت سبقه. فأخبروني ما الذي أحزنه
وهو نبيٌّ من الأنبياء؛ البيت الجنة نصب عينيه ينالها ويرجوها. وقد
أمنه الله من عاقبته. فما الذي يحزنه بعد هذا. ولعل حزنه من كثرة سفههم
عليه وعقوقهم المتواصل إليه. فقالوا أيها الملك كلا ما نحن سفهاء ولا
عاقين ولا أتاه الحزن من جهتنا ولا بأبيه. وإنما هو ما ذكرناه لك.
لما فقد يوسف ابنه وحبيبه وحليته. وكان أصغرنا سنًّا وأحبنا
إليه. خرج معنا إلى المراعي فأكله الذئب. قال فما الذي حمل أباكم على
أن وجههكم جميعًا هلا حبس واحدًا منكم: فقالوا أيها الملك إنا كنا
اثني عشر ولدًا فأكل الذئب الواحد. وحبس الشيخ الولد الثاني.
وهو شقيق المفقود يتسلى به ويستريح إليه. وهو أصغرنا سنًّا.
وأحبنا إلى الأب بعد أخيه. فقال لهم يوسف لولا أني أخشى أن
تكونوا صادقين وأني حبستكم عن أبيكم لحبستكم. ولعذبتكم
عذابًا شديدًا. ولكن إن كنتم صادقين فارجعوا إلى أبيكم وأقرؤه
عني السلام وقولوا له يكتب لي كتابًا يشرح لي فيه حاله. ويخبرني

من الذي أكربه وأحزنه. وأعمى بصره. وأتوني منه بشرح هذا كله.
وبابنه الأصغر الذي زعمتم أنه أحبسه. فإني علمت أنه لم يحبسه
إلا وهو أحبكم إليه وأعزكم عليه. وهو قوله تعالى ولما جهزهم
بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم: ألا ترون أني أوفي الكيل
وأنا خير المنزلين فقالوا له أيها الملك إنا نرغب إليك من تعجيل
سراحنا. فإن أبانا يعول ستين عائلًا. ونخاف أن يطول مكثنا
عندك. فيهلك الجوع من وراءنا. فقال لهم إن الصواع يخبرني
أنكم إن انصرفتم لا ترجعون إلا بعد تمام الجراية. والقتال وقد
قويت تهمتكم عندي كثيرًا. فكيف أسرحكم: وأنا أخاف على رعيتي
منكم: فاخرجوا عني فلا سراح لكم عندي. فخرجوا وقد أحاطهم
الإياس وبان لهم الكذب وكثر البكاء. وعز العزاء. وأيقنوا بالأعذر
وتفرق الأحباب شعر عزلٌ وبينٌ وتوديعٌ ومرتحلٌ أي الدموع
على ذا العيش تنهمل ◦ تالله ما بليت من بعدكم بلدٌ ولا أخضوان دموعي
بعدكم بخلٌ ◦ وحرمة الود ما أضحت من كمدي قلبي للقياك مشتاق
وتندبك ◦ وددت أن البحار السبع لي مددٌ ◦ ومن جفوني ميازيب

[في الهامش: بهم]

لفاعله وإن يدلا من كل جارحة يوم اللقا تقل ه
فيقولوا أيا ما يتململون ثم قال لهم يهوذا يا إخوتاه إن هذا الكرب
لا يزيل عنكم إلا أنه للحكم لهذا الملك ورجوعكم إليه فلعله أن يرحم
صبابتكم ويكرم غربتكم فيعطف عليكم وينظر بعين البصيرة إليكم
قال فرجعوا إليه ودخلوا عليه وأظهروا إليه الذل والتململ وأخذوا
في التضرع والتوسل فقال لهم أما أنا فلا أترككم للسفر إلا أن
تتركوا عندي واحدا منكم وتعطوني مواثيقكم وعهودكم أن ترجعوا
إلي برسالة أبيكم وبأخيكم الأصغر المذكور فقال له يهوذا أيها الملك
نقترع فمن أصابته القرعة تركناه عندك رهنا حتى نرجع من
عند أبينا ونأتيك بأخينا وبما ذكرت لنا قال نعم فاقترعوا فخرجت
القرعة على شمعون الأصم وهو الذي خلع قميص يوسف يوم ألقي في
الجب شعر الخير مصنوع بصانعه فمن صنعت الخير أعقبكاه
والشر مفعول بفاعله فمن فعلت الشر أعطبكا قال فتركوه عنده
وأمر لهم يوسف عليه السلام بجهازهم وكيل طعامهم فلما أوقروا
دوابهم ودخلوا عليه للوداع قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا

ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين يقول فقد رأيتم كيف أضيف
الضيفان وأكثر الإحسان فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا
تقربون أي لا حق لكم عندي ولا آذن لكم في دخول بلدي فلما
شرط عليهم هذه الشرائط ووعدهم بهذا الوعد في المستقبل أجابوه
بقوله تعالى مخبرا عنهم سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون قالوا سنحتال
في أخذه من أبيه وننظر كيف نسوقه إليك ونقدم به عليك وإن
كان هذا يشق على أبينا ويعز على من يليه لكنا نبذل في ذلك جهدنا
ونستفرغ فيه وسعنا وقصدنا ونعلم أن هذا على أبينا شديد وفراقنا
عنده غير شديد ولا يقدر على فراق هذا الولد الموجود لأنه أنيسه
بعد الولد المفقود لكنا لا نقصر أيها الملك في ابتغاء أمرك وطلب رضاك
وخيرك فلما استوثق منهم وعلم أنهم لا يخلفون وعده ولا يخالفون
أمره أمر فتيته برد بضاعتهم إليهم وقال اجعلوها في رحالهم
من حيث لا يعلمون ولا تجعلوها كلها في رحل واحد بل اجعلوها مفرقة
في الأحمال حتى لا يمكنهم يجحدها وهو قوله تعالى وقال لفتيته اجعلوا
بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون

قيل إنما فعل يوسف ذلك لأنه علم أن أمانتهم وديانتهم تحملهم على
رد البضاعة ولا يستحلون إمساكها فيرجعون لأجلها وقيل لأنه
رأى أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته مع حاجتهم إليه لؤما فرده
إليهم قال وزاد من إعطائهم وأبلغ من الإحسان إليهم وقال هذا
يؤكد رجوعهم لأنهم قد رأوا إكرامي وكرامتي وإحساني وتفضلي
عليهم وامتناني ولو أخذت بضاعتهم ثم لم يجدوا شيئا يرجعون به
واعتذروا بالفقر وقلة ذات اليد فلما قضى ذلك كله وأرادوا المسير
أمرهم فادخلوا عليه فأقبل عليهم بكلمته وأمر ترجمانه فقال لهم
إن الملك قد فعل بكم فعلا جميلا وأولاكم طولا جليلا وإنه
يودعكم ويقول لكم أبلغوا سلامي لأبيكم وإذا أتيتموه فقولوا له
إنا نسعى بهمك وغمك فعليك بالصبر الجميل الذي قلبك إليه يميل
فإن النصر مع الصبر واليسر مع العسر والجزع يؤذن للعدو بنفث
أكباده والله لطيف بعباده شعر يا غائبين وعين الله تراعيهم
ما لو تحمله ثهلان لانفطرا الله يعلم أن بعد غيبتكم لا أمتع الناس
لا سمعا ولا بصرا قد كنت بالأمس مسرورا برؤيتكم واليوم أصبحت

لا أدري لكم خبرا ولست أشتغل إلا بأنباء عنكم فالآن بعدكم
أشتغل الشعرا ما حال من بات مغرورا على ثقة طي الضرورة
بعد البين وانتظر الأخبار ولو في النوم يبعثه بالنجم يتبع من
لا يدرك القمرا هذا كتاب الكل عاد من دينه ردوا الجواب فقد
أصبحت منتظرا إخوان تلاشت قوة إخوة يوسف عليه السلام
واضمحلت حججهم وانقطع الكلام لما عاينوا سلطانه وجلالته ونظروا
ملكه وكماله فبعد الإدلال أصابهم الإذلال وبعد الشرور واللهج
اضطربت من خوف العتاب الأكباد والمهج كذلك يوم القيامة
يعز الله فيه رسله يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا
تحير أفهامهم وتخبل جوابهم وكلامهم من التحير والدهش
ينسون جواب الأمم ويستقبلون السائل والزمن فإذا كان
هذا حال الرسل من القيامة فما يكون حال من فزع لكثرة ذنوبه
سر الندامة شعر يا خجلتي منه إذا جئته والعبد مطلوب بما
قدمه ولم يكن لي عذر ولا حجة وكيف والفعل خبيث ذميمه
أنا الذي يطلبني قد درى أني محتاج فقيد عديمه ولست أحتاج

إلى عاصيه لأنه تولاه بحاله عليم. وروي في بعض الأخبار: يوقف شيخ بين
يدي الجبار فيقول له: يا شيخ ما أنصفتني، غذوتك بالنعم صغيرا فلما كبرت
عصيتني، أما إني لا أكون لك كما كنت لنفسك، اذهب فقد غفرت لك يا من
من أمتك. فيا أيها الشيخ قد شدت خطاياك، فأقلع عن خطاياك. قال الإمام
القرطبي: من الآثار النبوية: من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا
يوم القيامة، فأكرم بها من منة. ورئي بعض الكرام في المنام فقيل له: ما فعل
الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه فقال لي: يا شيخ السوء جئتني مع خطايا
كثيرة. فقلت: يا رب ما هكذا حدثت عنك. فقال: وما حدثت عني؟ قلت:
حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عنك جل جلالك أنك
قلت: إني لأستحيي أن أعذب ذا شيبة شاب في الإسلام، وأنا شيخ
ضعيف. فقال الله تعالى: صدق عبد الرزاق، وصدق معمر، وصدق الزهري،
وصدق عروة، وصدقت عائشة، وصدق النبي، وصدق جبريل، أنا قلت
ذلك، اذهب فقد غفرت لك. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يجمع الله
الخلائق في صعيد واحد، وتمد الأرض ويزاد في سعتها كذا وكذا

جل ربنا وهو آت. قال: فيحدقون بالخلائق، ثم تنشق السماء الثانية
وينزل أهلها وهم أكثر عددا من أهل الأرض وأهل السماء الدنيا
بأضعافهم، ثم تنشق الثالثة والرابعة إلى أن تنشق السماء السابعة
وهم أكثر عددا من أهل الأرض والسموات بأضعافهم. قال: فيبتدرهم
الخلائق فيقولون: أفيكم ربنا؟ فيقولون: جل ربنا وهو آت. ويا هيك
من انشقاق أجرام السموات العليات سمكها، الشديدات بناؤها،
وما يصيب القلوب من الذعر الشديد عند سماع القعقعة وعظم الصوت،
ثم ما يصيب القلوب والأجرام والصور والأجسام من كثرة الازدحام
وقوة اللهب والاضطرام وشدة الذهول والهيام، فعندها يكشف عن
ساق، وتطير القلوب، وتشخص الأحداق، وينادي منادي الملك الخلاق:
يا معشر الخلائق ستعلمون اليوم من صاحب الكرم، أين الحامدون الله
على كل حال؟ فيقوم ناس قليل فينطلقون إلى الجنة بغير حساب،
ثم ينادي ثانية: أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية،
فيقوم ناس قليل فينطلقون إلى الجنة بغير حساب، ثم ينادي ثالثة:
أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا

وكلت اليوم بمن زعم أن مع الله إلهاً آخر فلتلتقطهم من الصفوف كما تلتقط الحمامة حب
السمسم فتلقيهم في النار ثم تخرج فتنادي ثانية إني وكلت بكل جبار عنيد فلتلتقطهم
فتلقيهم في النار ثم تخرج فتنادي إني وكلت بالمصورين فإذا حصل هؤلاء في الجنة
وهؤلاء في النار علقت الموازين ونشرت الدواوين وتجلى الله عز وجل للفصل بين
العباد شعر مثل وقوفك يوم الحشر عريانا ۝ مستعطفا قلق الأحشاء حيرانا ۝ والنار
ترفو من غيظ ومن حنق على العصاة ورب العرش غضبانا ۝ هناك لا شيء ينجي من
لهيب لظى إلا إذا كنت قد قدمت إحسانا ۝ فلا عذر لك من يوم الحساب إذا جئت الملك
الذي سواك إنسانا ۝ وقال أتيت الذي بالذنب جاهرنا عمدا وجهلا وإسرارا وإعلانا ۝
مدوا إلى الصحف كي يقرأ جنايته فلي عليه شهود بالذي كانا آخر المجلس الثاني عشر وأسأل
الله رب البشر أن يوفق ويمن بدوام العافية وتمام المنة ومتابعة الكتاب والسنة وتوبة
من الذنوب عامة مقتضية الحسنى الخاتمة والإتمام ما بعده غاية الغدوة من كل شدة
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الجليل والحبيب والخليل وعلى آله وصحبه
في كل بكرة وأصيل غفر الله بالجميل الأوفى لمن اعتمد على كرمه بجميل وهو حسبي ونعم الوكيل
علقه لنفسه ولمن شاء الله من بعده أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحيصري الحنفي عامله الله
بجميل لطفه الخفي وغفر له ولوالديه وذويه وأقربيه ولمن نظر فيه ودعا لهم بالرحمة والعفو

تمت

والستر يوم الفضيحة ولجميع المسلمين آمين بتاريخ نهار الخميس سابع جمادى الأولى من سنة أربع وخمسين وثمانمائة أحسن الله خاتمتها بمنه وكرمه

بسم الله الرحمن الرحيم **المجلس الثالث عشر** في قوله تعالى ومن
الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله الآية
الحمد لله الذي عقد أزمة أزرار ثوب الوجود بحكمة وإتقان خالق
الخلائق وقاسم الأرزاق ومقدر رزق الكبير والصغير والرضيع
والوضيع والرفيع والمحروم والمخدوم لا عن وجوب واستحقاق
مولج الليل المدلهم بسدفة ظلمته في ضوء نهار ذي إشراق ومولج
النهار بضيائه في بهيمة ظلمة ليل قد مد من الظلمة رواقا فوق رواق
يحن قلوب العارفين المحبين ببلابل عليل نسيم ينسم رجاء الوصل
والتلاق مضحك رياض روض بارق بريق المزن المنسكب من غمام
دمع عين بلا آماق فإذا خاطب الغيم الروض بصوت رعد زاجر
وإبراق تكلكلت دموع السحاب كدمع صب والمشتاق وجاوبه
الورق على أغصان دوحة مخضرة الأفنان والأوراق بصوت
مطرب ونحو معرب يهيج المحبين والعشاق وتشققت كمائم الورد
والنرجس عن معاقد أزرار وأطواق وقام خطيب البنفسج فوق
منبره يخطب قائما على ساق **شعر** فالجو يغضبنا حينا ويبسمنا

حينا

حينا ويبدو بالإظلام إشراق والزهر يرفل من أثواب حلته شبه
المولد للأحباب مشتاق فانظر بدائع ما أبدى بحكمته رب العباد
ومن للخلق رزاق ترى حدائق زهر الروض شاهدة بما عليه له
عهد وميثاق فالغيث يكتب والأكوان أسطره والوابلات لما يمليه
أوراق رق الزجاج ورق الماء فاشتبها يا شرب قد تيك راح الغيث
رقراق **فسبحان** من زين وجه سماء قلوب المحبين بزاهرات نجوم
مكارم الأخلاق وطيب أنفاس نعت نعوتهم بعد أنق حقائق التسليم
في البشر والإملاق وشهد لهم بالمحبة في كتابه الكريم وهو العزيز الخلاق
حيث يقول تعالى وهو الصادق الدائم الباق ومن الناس من يتخذ من
دون الله أندادا يحبونهم كحب الله فحصر الصدر عن حصر فضائلهم
وضاق **أحمده** حمد عبد شكر من حبه وحظي بدنوه وقربه فتاه في
ميدان السباق وأشكره شكر من رضي عنه مولاه لما غاب عن سواه
وشكر الله على ما أولاه فتقوت من حضرته بألطاف واشتياق وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من ذاق من شراب
المحبة والتوحيد أعذب مذاق وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم

لها

عبده ورسوله وحبيبه وخليله وأمينه ودليله. المؤيد بالفطنة والعلم
والشفقة والحلم والتأني في الحكم. والمجد بالشفاعة في يوم التلاق
صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه. المؤمنين بالعهد والميثاق
والموصوفين بالثبات وعدم الانطلاق. صلوة تدوم وتقوم ما أقلت
ناصية الفلاة ما نسم ركبان الرفاق. وغنت على كراين الأغصان
ذوات الأطواق. وسلم كثيرا شعر: إذا طلعت شمس المعارف أشرقت
حنادس أغصاني وطابت كلامي ٥ وإن دار كأس الوصل ثمت
بذكركم على منبر المنبر فجل مقامي ٥ وشيدت بنيان الثناء عليكم
فدام أماني ثم زال سقامي ٥ وزخرفت جنات الوصال فهاكم سنام
سناها فادخلوها بسلام ٥ ونادت بأرباب القلوب إشارة على
رسيلكم إن رميت سهامي ٥ ألا فاشهدوا أن نكون من النسا
بكائي دوائي لا بكائي مدامي ٥ إذا كان حب الحب يخفى جلدة
وعشرا مجد الحب الذي حسامي للمحبة عشرة أسماء. المنية ثم
المودة ثم الخلة ثم المحبة ثم الشوق ثم التوق ثم العشق
ثم الومق ثم النزاع ثم الصبابة. أما المنية فهي ابتداء الملاحظة

والمودة

والمودة ميل الطبع بالعصبية. والخلة الداخلة في خلال القلب
والمحبة هي لذة في بعضها ومواضع الحنين دهش والشوق
إرادة الرؤيا. والتوق توق النفس للمحبوب والعشق مجاوزة الحد
في المحبة. والومق ميل القلب كأن الرمق ميل العين والنزاع
قلع الشيء من أصله والصبابة ذهاب الشيء من محله قيل لبعضهم
بأي شيء تعرف أن محبة المؤمن لله تعالى أشد من محبة الكافر للصنم
قال بستة أشياء. أحدها أن الكافر إذا أصابته شدة تبرأ من
معبوده. والمؤمن لا يعرض عن الله في الشدائد والمحن فقوله تعالى
الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. الثاني
محبوب الكافر ومعبوده كثير ومحبوب المؤمن ومعبوده واحد.
الثالث أن الكافر أظهر محبته لمعبوده بتقريب نفسه والمؤمن
كتم في نفسه محبة مولاه. الرابع أن محبة الكافر لمعبوده من جهة
واحدة وهي حبه له ومعبوده لا يحب ولا يبغض لأنه جماد.
ومحبة المؤمن من جهتين يحبه مولاه ويحب مولاه. فقوله تعالى
يحبهم ويحبونه. الخامس أن معبود الكافر يغيب عنه ويحتجب ومعبود

المؤمن ومحبوبه معه في كل حال قال الله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة
إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر
إلا هو معهم أينما كانوا. قال تعالى وهو معكم أينما كنتم. قال الله تعالى
والذين آمنوا أشد حبا لله قال أبو حفص النسفي في التيسير من علم
التفسير له أشد حبا لله أي أدوم محبة لله من الكفرة لأصنامهم لأن
عابد الوثن يعبده في حالة الرخاء فإذا أصابه البلاء ولاه ظهره
ودعا غيره والمؤمن إذا مسه الضر فزع إلى ربه وزاد في دعائه
لكشف كربه ولزوم بابه وطلب قربه وذلك من كمال حبه وقال الصادق
رضي الله عنه محبة المؤمن مع خوف ورجاء ومحبة الكافر للطمع وهو
مستدرجا فإنه إذا رأى حجرا فاستحسنه اعتقده وعبده ثم يرفضه إلى
غيره بعد ساعة أو يأكله كما أكلت باهلة إلههم حيس عام المجاعة
وحب المؤمن عقلي وحب الكافر نفسي وحب المؤمن خالص وحب
الكافر مشترك وحب المؤمن غيبي وحب الكافر عياني وحب
المؤمن بلا واسطة ولا علة وحب الكافر بواسطة وعلة بواسطة
قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وبعلة قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله

زلفى

زلفى والمؤمن يرى ربه صانعه والكافر يرى صنمه مصنوعه والمؤمن
لا يتبرأ من معبوده يوم القيامة والكافر يتبرأ عن الصنم والمؤمن
يعبد الله وحده والكافر يعبد أصناما فلا يخلص لواحد فمحبة
المؤمنين أشد وطريقتهم أسد قال الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله
محبة المؤمنين تخرج على الثناء والعبادة والطاعة والتعظيم والرغبة
والرهبة إذ علموا النعم كلها من الله وعلموا أن السلطان والعز لله
ولا أحد ينال شيئا من ذلك إلا بالله فأوجب ما عنده من النعمة
الرغبة وما له من العز والسلطان الهيبة وحب الكفرة هو
الحدثان الذي يولده الشهوة ويستحسنه البصر وحب الله من
المؤمنين على هذا الوجه فأشد بل حبه في الحقيقة في تعظيم
أموره وحسن صحبة نعمه ومعرفة حقوقه ولذلك قال لرسوله
صلى الله عليه وسلم قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وهو أن من أحب آخر محبة الجلال والرفعة عظم رسوله وأتباعه
لما يدعوه إليه وإن كان في ذلك هلاكه تعظيما لأمره فكيف فيما
فيه نجاته وفوزه وقال وهب بن منبه قال حكيم من الحكماء إني

لا أستحي من ربي أن أعبده رجاء ثواب جنته. فأكون كالأجير
السوء. إن أعطي أجرا عمل وإلا لم يعمل وإني لأستحي من ربي
أن أعبده مخافة النار فأكون كعبد السوء. إن رهب عمل.
وإن لم يرهب لم يعمل ولكن أعبده بما هو له أهل. وقال أيضا
ولكن يستخرج من حب ربي ما لا يستخرج حب غيره. والمحبة على
لسان العالم هي الإرادة لأنه ما أراد أحب وما أحب أراد. وهذا
من حق العبد. أما من حق الرب فلا. فإنه سبحانه أراد من عباده
أفعالهم القبيحة. ولم يحبها. وقال قوم المحبة صفة الإرادة. وأما
في اللغة فقال قوم. المحبة اسم لصفاء المودة. لأن العرب
تقول لبياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان. وأما أهل التصوف
فقالوا فيها أقوالا. تمنع من استيفائها مخافة التطويل. وقد أفردت
لها في كتاب الشمس بفائدة المتعلم وبغية المتكلم بحثا يلمح
الألباب سماعه. ويبهج القلوب اطلاعه. قال أبو الحارث
المحاسبي المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك ثم إيثارك له على
نفسك وروحك. ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا. ثم

اعترافك

اعترافك بتقصيرك من حبه. وقال الكتاني جرت مسألة في المحبة
بمكة. من أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها. وكان الجنيد أصغرهم سنا.
فقالوا له. هات ما عندك يا عراقي. فأطرق برأسه ودمعت عيناه.
ثم قال هو عبد. ذاهب عن نفسه. متصل بذكر ربه. قائم بأداء
حقوقه. ناظر إليه بقلبه. أحرق قلبه أنوار هدايته. وصفا شربه.
من كأس وده. وكشف له الحق عن أستار غيبه. فإن تكلم فبالله.
وإن سكت فلله. وإن نطق فمن الله وإن تحرك فبأمر الله. وإن
سكن فمع الله فهو لله. وبالله ومع الله. فبكى الشيوخ. وقالوا ما على
هذا مزيد. جبرك الله يا تاج العارفين. قال أنس رضي الله عنه.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد بهن
حلاوة الإيمان وطعمه. أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما
سواهما. وأن يحب في الله ويبغض في الله. ومن كان أن يلقى
في النار أحب إليه من أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله
منه. ذكره مسلم. والنسائي. وقال أنس رضي الله عنه. قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم. ما تحاب اثنان في الله. إلا كان

أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه. ذكره البزار وقال أبو هريرة رضي الله عنه.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. زار رجل أخا له في قرية أخرى فأرصد
الله على مدرجته ملكا. فلما أتى عليه قال له أين تريد. قال أريد زيارة أخ
لي في هذه القرية. قال هل لك عليه من نعمة تربها. قال لا. غير أني أحببته
في الله. قال فإني رسول الله إليك. فإن الله قد أحبك كما أحببته فيه. ذكره
مسلم. وقال أبو هريرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. والذي نفسي بيده
لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا. أولا أدلكم على
شيء إذا فعلتموه تحاببتم. أفشوا السلام بينكم. ذكره أبو داود وقال
أبو هريرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. سبعة يظلهم الله في ظله
يوم لا ظل إلا ظله. فذكر منهم رجلين تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه.
ذكره البخاري وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه. قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم. قال الله تعالى. وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في
والمتباذلين في. ذكره مالك في موطائه. قال أبو هريرة. قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم. إن الله عز وجل يقول يوم القيامة. أين المتحابون
بجلالي. اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي. ذكره مسلم وقال

معاذ

معاذ بن جبل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الله تبارك وتعالى.
المتحابون بجلالي لهم منابر من نور. لا يخافون إذا خاف الناس ولا
يحزنون إذا حزن الناس. ثم تلا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ألا
إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ذكره الثعالبي وقال
أبو مالك الأشعري رضي الله عنه. أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الناس بوجهه لما قضى صلاته. فقال يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا
واعلموا أن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء. يغبطهم الأنبياء
والشهداء على منازلهم وقربهم من الله. قال فجثا رجل من الأعراب
من قاصية الناس وألوى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
يا رسول الله. ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء. يغبطهم
النبيون والشهداء. على منازلهم وقربهم من الله. انعتهم لنا صفهم
لنا. جلهم لنا. فسر النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الأعرابي فقال
هم ناس من أبناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة.
تحابوا في الله وتصافوا فيه. يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم
عليها. فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا. يفزع الناس وهم لا يفزعون

وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون نخبته من عصبة
هاموا بحبهم. والمحدوثون وخصوا بما رووا بقربهم. فقلت والشوق حق لوجد
لحزنهم. يا أخا في القوم من أسرار ربهم كانت الشئون الملك بينهم تمدح
عندي وعيني للأسرار مزدوعة بين الضلوع وللأسقام مذ دعة.
وللهوى إن خطا شيئًا ومنقعة. كمن يعلم أنه في الخاطر مشرعة.
بحرنه الراحل إلى التي يشرح. مطلع للأنس حتى كان مقتربا. والمهو
إليهم شرًا كان محتجبا. وغبت بالليل الليالي ممتنبا. وعلل الصب إن
الصب قد طربا. وحن ثياب فاتوا اليوم مختلج. من الهم مطلوب
بلا سبب. من يا شاهد يحجبت بلا عجب. من أكون مع الأشواق من تعب
من أنه على الأكوان من قرب. من أكون بدعو الحب أقسم. من
أمعن بيوم منك يطرب من أنامه وحقا منك يتعجب من أزل
الشكر بين الناس يعلمني. يا صاح بيني وحمى ثوب بلا ثمن إذا رأت
تعلني من كنت أقترح. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي
عن ربه تبارك وتعالى أنه قال ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل
حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به. وبصره الذي يبصر به.

ويده التي يبطش بها. ورجله التي يمشي بها. وإن سألني لأعطينه. وإن
استعاذني لأعيذنه. محبة الله للعبد قبول دعائه. وتأهله لاصطفائه.
وإرشاده إلى طاعته وحمايته عن معصيته بحيث أنه لا يشغل جوارحه
إلا فيما يجوز استعمالها فيه شرعًا. فحينئذ يكون عبدًا شكورًا لأن حقيقة
الشكر أن لا يعصي الله بنعمه. والعبد الشكور يكون سعيدًا ولا يكون
شقيًا. قال زيد بن أسلم إن الله عز وجل يحب العبد حتى يبلغ من
حبه إياه أن يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك. وقال أبو محمد
الجريري. سمعت أبا إسحاق الداري يحكي قال رأيت بعض العارفين
فقال إلهي لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك. ولئن طالبتني
بمعصيتي لأطالبنك بكرمك. ولئن أدخلتني النار لأخبرن أهلها
أني أحبك. فنام فقيل له في النوم قد غفرنا لك وعفونا عنك. ولا
ندخلك النار حتى لا تذكر محبتنا بين الأعداء والأجانب بل ندخلك
الجنة حتى تتحدث بمحبتنا بين الأحبة والأجانب. كان أبو يزيد البسطامي
رحمه الله يقول في مناجاته إلهي لست أتعجب من حبي لك وأنا عبد حقير
إنما أتعجب من حبك لي وأنت ملك قدير. وكان يحيى بن معاذ الرازي

يقول من مناجاته ليس العجب من عبد ذليل ذليل يحب ربا جليلا جليلا.
العجب من رب جليل جليل يحب عبدا ذليلا ذليلا. ومحبة الله تعالى للعبد.
كانت أولا. قال الله عز وجل فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه. فقدم
محبته لهم على محبتهم إياه. قال ذو النون المصري رحمه الله. أحبك
من قبل أن خلقك. وإنما أحببته أنت بعد ما خلقك. فمن حب الله لك
قديما تولد حبك له سبحانه وتعالى فله الفضل دائما. شعر أخلص محبة
ربك قد اصطفاك قديما. واحفظ شروط محبة وكن عليها مقيما. ومحبة
الله تعالى لعبده. علامات أن يوقن حق يقين أن المعطي والمانع.
والضار والنافع. والهادي والمضل والمعز والمذل هو الله سبحانه
وتعالى وليس أحد واجب الوجود إلا هو. وهو الباقي لا إله إلا هو.
وأن يستوي قلبه ولسانه في الذكر. ويمتلي عروقه وجوارحه وأعضاؤه.
من محبة الله تعالى وذكره ولا يرى لنفسه قيمة. ويبغض الدنيا وطلابها.
ويحب الموت ولقاء الله تعالى ويختار الخلوة والعزلة. ويفر من الناس
ويستوي عنده المدح والذم. والعطاء والمنع. والخير والشر بحيث
إنه إذا فعل معه أحد خيرا أو شرا الكل عنده سواء. ويستوي عنده

الذهب

الذهب والتراب ويخاف من عاقبة معصيته. ويبكي في الليل والنهار على
تقصيره. ويكون في الدنيا بالقالب وفي الآخرة بالقلب ويصحح اعتقاده
وإيمانه بالله تعالى ويحترز من عقائد أهل البدع. ويخشى من الفوت ولا يجري
على لسانه إلا ذكر الحق والموت أو حصول المطلع أو شيء من صفات الجنة
أو النار. ويكون أقرب الأشياء منه الموت وأبعد الأشياء منه الأمل
وينقطع العلائق من تأميل الخلائق. فهذه علامات محبة الله وإقباله على
عبده الضعيف ووصول العبد إلى باب سيده ومولاه اللطيف. وقال
بعضهم. نعت الفقير الصادق الذي يحبه الخالق. أن يكون زاده التقوى
وبضاعته الإفلاس وترك الدعوى وسفره الآخرة. وأنفاسه المراحل
ومنزله القبر. وقرينه الصبر. وصاحبه اليقين وسلوكه سبيل المتقين
ونديمه العجز. وحركاته السكون. وبيته الخلوة. وطعامه الجوع. وشرابه
الدموع. ولباسه الفقر. ونزهته مجانبة الخلق. وعبادته ذكره. ومجلسه
المسجد. ووردته الحكمة. ونظره العبرة. ورغبته التوفيق فإنه نعم الرفيق
وثمنه حسن الخلق. وحرفته القناعة. وصلاته الوداع. وصومه الصمت.
وهمه النار. وفرحه الجنة. وحجته اليأس من الناس ومرضه الطمع.

ومذكرة المقابر، وواعظة الأنام، ومطرية الحزن، ونتاج ذكر الموت، وبغض
رفض الدنيا وأذاها، وسلاح الوضوء، ومركب الورع، ومخصمة الشيطان
وعداوة النفس، وبغض الدنيا، ونجاة الهوى، ولذة التضرع، وزيادة
الاستغفار والاستعداد والتورع، وحصن الدين، وشعار الشرع،
ومحبة كتاب الله تعالى، ورأس ماله حسن الظن بالله تعالى، وشغله
الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعادته الدعاء لجميع المسلمين
وأمنه إخلاص العمل الصالح، وخوفه رد العمل وسوء الخاتمة، وغاية
منيته هيبة الله سبحانه وتعالى، فهذا نعت الفقير وصفته الذي يحصل له بها
بفضل الله قربه ومحبته، وينال من الآخرة الفوز والسرور، وما عدا ذلك
فأماني وغرور، فإذا اتصف العبد بهذه الصفات عاش حرا ومات برا،
وقام من القبر إن شاء الله تعالى آمنا، ودخل الجنة سعيدا مخلدا في جوار
الله فاطمئنا. قال أبو حازم رحمه الله: إن الدنيا غرت أقواما فعملوا فيها
بغير الحق فعاجلهم الموت فخلفوا أموالهم لمن لا يحمدهم، وصاروا إلى
من لا يعذرهم، وقد خلفنا بعدهم، فينبغي لنا أن ننظر إلى الذي كرهنا
منهم فنجتنبه، والذي غبطناهم به فنستعمله. ~~وأنشد الإمام أبو الفتح~~

[illegible]

من شروط المحبة أن لا يحب معه سواه، كما قيل لأبي بكر الشبلي
رحمه الله: ما أشبه المحبة؟ فقال: أن تمحو عن قلبك ما سوى المحبوب. أوحى الله
تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، إن كنت تحبني فأخرج حب
الدنيا من قلبك، فإن حبي وحبها لا يجتمعان. وأنشد الإمام أبو إسحق
إبراهيم بن الختلي رحمه الله: عجبا لعين كيف تطرفها الكرى
وبحبها قد حل من المراد، فإذا اهتمت بتوبة وإنابة عرضت
لي الدنيا تغرت القهقرى، كم قد شحت وكم رأيت سوا أغفالوا كنت
أعتد حين أسمع أو أرى: أين الذين طغوا وجاروا وأعتدوا وبغوا
وطالما استحوذوا بالعز إلى الليل نقلهم مشرفهم تلك المحابس
تحت أطباق الترب، لو تعتبر ذلك يا ظالم وما ألهم، أتاك دهرك ما علمهم
قد جرى. فأصرف عن الدنيا لما عنك إنما ستعدها أيدي بنت تغير
وبلغنا أن الفضيل بن عياض رحمه الله كان له بنت فوجعتها
كفها، فقال لها: يا بنية، كيف كفك هذه؟ فقالت: يا أبت، إن الله تعالى
قد بسط لي من ثوابها ما لا أؤدي شكره عليه أبدا. فتعجب من حسن
يقين ابنته، فبينا هو كذلك إذ أتى ابن الفضيل من الكتاب

وهو ابن ثلاث سنين فقبله وضمه إلى صدره فقالت له ابنته يا أبت
نحلتك بانت أتحبه فقال أي والله يا بنية إني لأحبه فقالت سوأة
لك من أشياخ إن ظننت أنك لا تحب مع الله غيره فقال إن رحمة
الأحبون الأولاد فقالت المحبة لله تعالى والرحمة
للأولاد فلما علم الفضيل عنده بكى وأمسك نفسه ثم قال يا رب هذه
ابنتي تعيبني بحبها وحيث أحبها وعزتك لا أحببت معك أحدا أبدا حتى
ألقاك وقال صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم فإذا كان
حب مخلوق يورث العمى عن رؤية غير حبيبه ويورث الصمم عن سماع
كلام غير حبيبه فلا يرى إلا الأحبة ولا يسمع إلا كلامه وهو من
جنس مخلوق فان فكيف إذا أحب العبد حبيبا ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير وهو حي لا يموت قيوم لا ينام باين ذاته
الذوات وصفاته الصفات فحينئذ يستوحش من الخلق ويأنس من
الحق ويشرب من شراب الأنس ويغرق بالمشاهدة في بحار
القدس سئل أبو بكر الشبلي مرة عن المحبة فقال هم الذين
شربوا بكأس الوداد فضاقت عليهم الأرض والبلاد من عرف الله يغني

معرفته ووله من عظمته وتحير في قدرته وشرب بكأس حبه فغرق
في بحر أنسه وقربه ثم أنشأ يقول ه إن المحبة للرحمن تسكرني وهل
رأيتم محبا غير سكران قال ذو النون المصري رحمه الله بينا أنا مار
في شارع من شوارع مصر إذا أنا بجارية متغيرة بغير خمار فقلت يا
جارية عساك تناولت شيئا من الشراب فقالت اسكت يا بطال
شربت البارحة بكأس الود مشروبا فأصبحت من حب مولاي مخمورة
وحكي عن سري السقطي رحمه الله قال كنت أحب أن أرى محبا
لله فما وجدته فلما كان يوم من الأيام رأيت رجلا على ساحل
البحر شيخا كبيرا يمشي فقلت له هل تحتاج إلى الطعام فقال هو
فقلت إلى الشراب فقال هو فقلت إلى اللباس فقال هو فقلت
إلى المركب فقال هو فقلت الحاجات فقال هو فقلت أما تستوحش
من الوحدة فقال هو فقلت ما وصفه فقال هو فقلت ما اسمه
فقال هو قلت من هو فقال هو قلت لعلك تعني به المولى عز وجل
قال فشهق شهقة خر ميتا قال فما رأيت بعد ذلك ولا قبله مثله
رحمه الله وحكي عن الشبلي رحمه الله أنه قال رأيت في بعض الأيام

مجنونا والصبيان يرجمونه بالحجارة وقد أدموا وجهه وشجوا رأسه.
فجعلت أزجرهم عنه فقالوا دعنا نقتله فإنه كافر يزعم أنه يرى ربه.
ويخاطبه. فقلت كفوا عنه ثم تقدمت إليه فوجدته يتحدث وحده ويضحك
ويقول أجمل بك تسلط على هؤلاء الصبيان ثم قال يا ذا الذي يقولون
عني قلت يقولون تزعم أنك ترى ربك وتخاطبه. فصرخ صرخة عظيمة.
ثم قال يا شبلي وحق من تيمني بحبه وهيمني بقربه لو احتجب عني طرفة
عين لتقطعت من ألم البين فعلمت أنه من الخواص أرباب الإخلاص
فقلت له أخبرني يا حبيبي حقيقة المحبة. فقال مه يا شبلي والله لو قطرت قطرة.
من المحبة في البحار لعادت سعيرا ولو وضعت ذرة منها على الجبال لصارت
هباء منثورا. فكيف بقلوب كساها الغرام قلقا. وزادها الهيام حرقا.
وتحيرا شعر لا غرو إن بلغت عليك الأنفس فجمال معناك الأعز الأنفس ه
ما ذاق معنى الاشتغال بحبه. إلا من أباب ذكرك يدرس ه ميعاد وصلك قد
نسيت به التسوف يا من له من كل قلب مجلس ه عطفا على عبد غرابين الورى
مستوحشا بسواك لا يستأنس ه أنست من الأحشاء نار صبابة. تبدو من
القلب الكليم وتقبس ه حكم الغرام على الصبا بثبوته. فأنا الملك هوب

وصبري مفلس ه لم أعترف دعوى الهوى لكنما دمعي المترجم فلم لا يحبس ه
لا يجتني ثمر الوصال يذوق من عشاه تنسق والمحبة تغرس ه قد مات من ليل
المطالب صبره. أترى يرى صبح الرضى يتنفس ه خلع المحبة وجوده في
حضرة يصغا لها وادي الغرام مقدس ه ليس الذي خلع العذار صبابة.
مثل الذي هو بالهوى يتلبس كيف تدعي الوصل من عن الغير ما اشتغل
هيهات هيهات ليس التكحل في العينين كالكحل من فوق همته كيف
يحصل له الجمع أم كيف يطلب الحصاد من أنزل آماله بواد غير ذي
زرع. كيف لا تطول المسافة على من قصر في السير وهل يتصل بالمحبوب
من اشتغل عنه بالغير كلا والله ما هذا شأن السالك ومن عرف
المطلوب هانت عليه المسالك شعر يا من تعرض للمقام العالي يا قس بنفسك
من النفس الغالي ه أترومه إدراك المرام من غير ما تعب لقد منيتها بمحال ه
أين المشوق من الخلي وهل يستوي في ربح التجارة المفلس والملي
كيف تثبت أوتاد المحبة لمن لم يتعلق بأسبابها. وأنى يدري بأين المنازل
من لم يدخل البيوت من أبوابها. ما المحب كاللاهي. ولا النشيط كالعاجز
شعر لو يعلم العاجز بحال الذي أصبح من سكر الهوى لم يفق ه ما قال يوما

يا أسير الهوى لم أنت من نار الجوى تحت رق. وهل يرتقي إلى أعلى المقامات
إلا من أحيى الليل بالذكر والكرامات. نعم لولا العناية لما حصلت الولاية.
تعالى أن يصير من ملكه ما لا يريد. وإن لم تكن مرادا فلست بمريد. ما اصطفى
آدم إلا من حيث نظرت عين العناية إليه. فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب
عليه. هذا هو الأصل. وما سواه فضل. ومن أشرق سرادق التوحيد بنار المحبة
وجد على النار هدى. من يهد الله فهو المهتدي. ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.
فالحمد لله الذي وفقنا للاهتداء، بنور المعرفة إلى الصراط المستقيم. والصلوة
والسلام على سيدنا محمد المرشد إلى معرفة المنازل من سلك المناهل بأحسن
تقويم. من اختص بمقام المحبة الذي هو أجل المقامات وأسناها. والذي
فاخرت الأرض السماء بوجوده لما بشر وطاها. صلى الله على سيدنا محمد وآله
نجوم الهدى. وأصحابه الذين من اقتدى بهم اهتدى. ما لبس العارف ثياب
التجريد. وغرق السالك في بحار التفريد اخواني المحبة حبة بذرت في
أرض القلوب. وسقيت بماء التوبة من الذنوب. فأنبتت سنابل المحبة.
في كل سنبلة مائة حبة. فلو وضعت حبة منها لأطباق القلوب لهامت
في محبة المحبوب. فلله در رجال ما ترك في قلوبهم لغير محبوبهم مجال.

مالوا إلى الله وتركوا المال. وأعرضوا عن الدنيا شغلا بالمآل. فأمرهم إلى
المولى آل. وأحوالهم تجري على نمام وكمال. وجمالهم بالقلوب وبالدمع
جال. طالما كابدوا الشدائد والأهوال. واعتبروا بمن مضى وتغير الأحوال.
فلزموا الهدى وتجنبوا الضلال. وتابعهم على ذلك أهل الكمال. قال
بعض العلماء الأعلام. أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء عليهم السلام.
إن لي عبادا اعترفوا أني ربهم. يحبونني وأحبهم. ويشتاقون إلي
وأشتاق إليهم. ويذكرونني وأذكرهم. وينظرون إلي وأنظر إليهم.
فمن حذا حذوهم أحببته. ومن عدل عنهم مقته. قال يا رب ما علامتهم.
قال يراعون الظلال كما يراعي الراعي غنمه. يحنون إلى غروب الشمس
كما تحن الطيور إلى أوكارها. فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا
كل حبيب بحبيبه. نصبوا إلي أقدامهم. وافترشوا إلي وجوههم وناجوني
بكلامي. وتملقوا إلي بإنعامي. فمن بين صارخ وباك. وبين متأوه وشاك.
بعيني ما يتحملون من أجلي. وبسمعي ما يشتكون من حبي. أول ما أعطيهم
أقذف من نوري في قلوبهم. فيخبرون عني كما أخبر عنهم. والثاني
لو كانت السموات والأرض وما فيها في موازينهم. استقللتها لهم.

والثالث أقبل بوجهه عليهم. أفترى من أقبل بوجهه عليه يعلم أحدٌ ما
أريد أن أعطيه. قال الجنيد رحمه الله: بتّ عند سري السقطي رحمه الله
ليلة. فلما كان من بعض الليل قال لي: يا جنيد أنت نائم؟ قلت: لا. فقال:
الساعة أوقفني الحق تعالى بين يديه. فقال: يا سري تدري لم خلقت الخلق؟
قلت: لا. قال: خلقت الخلق كلهم لعبادتي، فادعوا محبتي. فخلقت الدنيا.
فاشتغل من عشرة الآلاف تسعة الآلاف عني بالدنيا، وبقي ألف. فخلقت
الجنة. فاشتغل من الألف تسع مائة عني بالجنة، وبقي مائة. فسلطت
عليهم شيئاً من البلاء. فاشتغل من المائة تسعون عني بالبلاء، وبقي
عشرة. فقلت لهم: من أنتم؟ لا للدنيا أردتم، ولا في الجنة رغبتم، ولا من
البلاء هربتم. فماذا تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريد. فقلت: إني أنزل
عليكم من البلاء ما لا تطيقه الجبال الرواسي، أفتثبتون لذلك؟ فقالوا: أليس
أنت الفاعل بنا ذلك؟ فقد رضينا. بك نحمل وفيك نحمل ولك نحمل ما لا
تطيقه الجبال. فقلت لهم: أنتم عبيدي حقاً. شعر: وحقك لا نظرت إلى
سواكا بعين مودة حتى أراكا. وفي الأحباب مختص بوجد وآخر يدّعي
معه اشتراكا. إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى.

قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله: من قتله حبه يحصل له قربه
وديته رؤيته. ومن قتله عشقه وهيبته فديته مناجاته وكلامه.
لو علم الناس لذة حب الله سبحانه لكثر حبهم وقل مطعمهم ومشربهم
كما أن الملائكة عليهم السلام لما أحبوه نهم من روحه يعبدون واستغنوا
يمتنعون عن الأكل والشرب يسبحون الليل والنهار لا يفترون. ولهذا
قال الصديق رضي الله عنه: ما شبعت من الطعام منذ دخلت في الإسلام
لأني لم أشتهه لكني شغلتني حلاوة خدمته عن طعام الدنيا. وما
رويت من الشراب منذ دخلت في الإسلام لأني لم أشتهه
ولكن شغلني شراب محبته عن شراب الدنيا. وإذا نظرنا إلى الحقيقة
علمنا أنه لا محبوب على الحقيقة إلا الله. ولا مستحق للمحبة سواه.
لأنه سبحانه لم يزل محسناً إلى خلقه عطوفاً. وجبلت القلوب
على حب من أحسن إليها. شعر: هاكم فؤادي فإن أنصفتم أبدا
لغيركم فاجعلوا التعذيب مثواه. وها لساني فإن أنبأكم خبرا
عن غيركم فحجوا الكذب دعواه. وهذي أذني استمعت عن طيب كاظمة
ولعلع وانظروا إن كان يهواه. فإن تكن أنت دون الكل بغيته.

فأنت عليه ولو نعمًا بلقياه ٥ يا جنة الخلد لولا أن تكون بها ما راحة
الروح لولا أنت معناه ٥ إذا شربت سمعة عن بالي على قدحي رأيت وجه
حبيبي من محياه ومن محبة أن تخرج محبة كل شيء له لأن حبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عين الإيمان وذلك عين حب الرحمن
وكذلك محبة العلماء والأولياء والأنبياء لأن حب محب المحبوب
حب له ومن المطلوب وكل ذلك يرجع إلى الحب الأصل وهو حب الله
عز وجل ومن حصول المحبة من الله تعالى للعبد حصول الاصطفاء
وانجذاب العبد المحبوب من مقام الأولياء فحينئذ تكشف عن قلبه
الحجاب ويسمع دعاؤه ويستجاب شعر أيا عاذل الصب الكئيب دعاه
فداعي الهوى نحو الحبيب دعاه ٥ وقد لاح لي على باب عزه ويا
حبذا إن كلف فيه رضاه ٥ ولست لا أملك أهلا وإنما أمر فؤادي
بالوصال عناه ٥ ولولا الأماني متشوقا ومن الهوى تنغص زمان
والغرام كما هو ٥ ولي مدمع مغرور بسر طويته وقلب حوى سر
الهوى وطواه ٥ فو الشوق إن لم أنل من وصاله نصيبا وجاش إن
يطول جفاه ٥ وإن كان إبعادي لذنب فإنني مع النزعة لا

عن عطاء السلمي قال خرجت مع أصحابي للاستسقاء بالبصرة فلقيت
سعدون المجنون فقال لي يا عطاء خرجتم بقلوب عامرة سماوية
أم بقلوب داثرة أرضية فقلت بقلوب عامرة سماوية فقال لي يا
عطاء لا تبهرج فإن الناقد بصير فخجلت من قوله فلما دعوا لم يمطروا
فقلت له ادع الله أن يسقينا فرفع بصره إلى السماء وقال بحرمة
ما كان بيني وبينك البارحة أن تسقينا قال فما استتم كلامه حتى
مطرت السماء شعر وهل كان بين الله جل جلاله وبين عباد مصطفين
أحبة ٥ سوى ما أتوه من أداء فروضهم مع النفل والإتيان منه بكثرة ٥
ومن كان ذا نفل كثير مداوما عليه ينل ما نال أهل المحبة لكن ثوابهم من الله
وما أعطاهم يتفاوت على حسب المقام من محبة مولاهم روي عن يحيى بن
معاذ الرازي رحمه الله أنه رأى أبا يزيد البسطامي رحمه الله في
بعض مشاهده من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر مستوفزا
على ظهور قدميه رافعا أخمصها مع عقبيه ضاربا بذقنه على صدره
شاخصا بعينيه لا تطرف قال ثم سجد عند السحر ثم قعد فقال
اللهم إن قوما طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء

أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فرضوا بذلك
وإني أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما للأولياء ثم التفت
فرآني فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال أحدثك بشيء يصلح لك أدخلني
في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلي فأراني الأرضين وما تحتها
إلى الثرى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات وأراني ما
فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفني بين يديه وقال سلني ما شئت وأي
شيء رأيت حتى أهبه لك فقلت يا رب ما رأيت شيئا أستحسنه فأسألك
إياه قال أنت عبدي حقا تعبدني لأجلي صدقا لأفعلن لك ولأفعلن لك
وذكر أشياء قال يحيى بن معاذ فهالني ذلك وعجبت منه فقلت يا سيدي
فلم لم تسأله المعرفة وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي
صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه قد علم مني أني لا أحب سواه شعر
هواك قد مزجوا الحب به ودمي ومن حديثك لي شيء من القدم ۝ فإن صمت
فأنت السر من خلدي وأنت مفهوم معنى النطق من كلمي ۝ إني لأقسم بالحب
الذي سبقت للقلب عندك منه أوفر القسم ۝ لا أخلت عن عهد حب أنت
تعلمه كنا عليه تعاهدنا على العلم ۝ فطيف حبيبك عندي لا يفارقني إن

شئت

شئت من يقظتي أو شئت في الحلم ۝ يا حسرة الحب لا والله ما ألفت
روحي سواكم ولا حالت عن الذمم ۝ هيهات يمحو ما بي من محبتكم
وجود عشقي فيكم لا ولا عدمي وهذه الحكاية وأشباهها ممكنة
ظاهرة ولا تخفى إلا عند ذوي القلوب الدائرة الذين قلوبهم
ليست عامرة وبحب شهوات الدنيا لها غامرة فمن لم يحط بشيء
مما حصل لأولئك القوم فلا ينبغي أن يخلو عن الإيمان بذلك
والتصديق فإن قدرة الله تعالى واسعة خطيرة وعجائب الملك
والملكوت كثيرة وقدرة الله تعالى لا نهاية لها ونعماؤه على عباده
الذين اصطفى لا غاية لها ولو لم يؤمن كل إنسان إلا بما يشاهد
من نفسه المظلمة بعلائق الدنيا وقلبه القاسي بالعصيان لضاق محل
التصديق وعسر مجال الإيمان بل هذه أحوال عظيمات تظهر
بعد ترك خصال ذميمات ومجاوزة عقبات وملازمة مراقبات
وسلوك مقامات أدناها الإخلاص الذي هو أعز من الذهب الخالص
والتزهد من ضرورات الدنيا إلا الدون وازدراء الناس لهم حتى يزعموهم
بالجنون بلغنا عن الربيع بن خثيم رحمه الله أنه كان يديم السهر
فقالت له ابنته يا أبت هلا نمت ليلة فقال يا بنتاه إن أباك يخاف أن يبيته ملك الموت فيأخذه

على غفلة. فقالت ابنته يا أبت من أفضل خلق الله عندك. قال محمد صلى الله عليه وسلم
قالت بحقه عليك أن تنام ليلة. قال يا بنية أنت تعلم أن التهجد أحب إلي ولكن
لحرمته نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أنام. فنام فرأى في النوم أن بالبصرة أمة يقال
لها ميمونة الزنجية تكون امرأتك. فلما أصبح خرج إلى البصرة. فلما سمع أهل البصرة
بقدومه استقبلوه. فلما دخل قالوا إنا نحب أن يكون لك حاجة تكلف إلينا بها.
فتحسن إلينا بنفسك. قال نعم. قال هل هاهنا امرأة. يقال لها ميمونة الزنجية.
قالوا ما تفعل بميمونة. ترعى بالنهار وتشتري بأجرتها تمرا. وتفرقه على الفقراء
وتصعد بالليل على صومعة. لا تدع الناس ينامون من كثرة الصياح. قال وما تقول
في صياحها. قالوا تقول ٥ عجبا للمحب كيف ينام كل نوم على المحب حرام ٥ فقال
الربيع ما هذا بكلام المجانين. دلوني عليها. قيل هي في البرية. ترعى الغنم فخرج
حتى وجدها قد اتخذت محرابا تصلي فيه والغنم ترعى وحولها ذئاب يحفظونها.
فلما فرغت من صلوتها قال لها السلام عليك يا ميمونة. قالت وعليك السلام يا ربيع
قال وكيف عرفت اسمي ولم تريني. قالت إن الذي أراك في المنام وأخبرك باسمي
قادر أن يعرفني اسمك. ولكن الذي أخبرك بأني امرأتك ليس هو في الدنيا
إنما يكون في الآخرة. ثم قالت اقرأ علي شيئا من القرآن فقرأت يا أيها المزمل

قم الليل إلا قليلا. فلما بلغت إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة
وعذابا أليما. شهقت شهقة خرت ميتة. وإذا بجماعة نسوة جئن وقلن
نحن نتولى أمر تجهيزها. فقال لهن الربيع من أين جئتن وكيف
عرفتن بموتها. قلن كنا نسمعها تدعو اللهم لا تمتني إلا بين يدي الربيع
ابن خثيم. فلما سمعنا بحضورك علمنا إجابة دعائها. يا ألسنة المحبين
بتوحيد رب العالمين تكلمن. يا مداد البركات بذكر الأحباب زمزمن
يا نسمات القبول تنسمن يا بروق نيل المأمول تبسمن يا قلوب المتواجدين
أحضرن وتنعمن يا أبصار المشتاقين تمتعن ويا أسماع الطالبين
تنعمن يا حبال الأسرار بتيرين تنغمن يا أطيار الأفكار غردن تسلين
يا عشاق كلكن إلى المشروب هل تقدمن ولا تتأخرن تندمن يا بلابل
أسرار الأذكار على أغصان بان القلوب ترنمن يا حمائم الأرواح
حول هذا المشروب حومن اللفظ معرب والمعنى أعجمي شعر
أخفيت أسرار من أهوى عن الأمم وعشت معه بسر غير مكتتم ٥
فاللوح قلبي وفيه سره كتبت حروفه قبل خلق اللوح والقلم ٥ ولي
حبيب به من السر سرت إلى أن خضت بحرا وما ابتلت به قدمي ٥ بحر

علماؤنا الكون قد عرفوا ونطق ... صاحب العلم ٥ على شط الحوض صرنا الفضل ملكي عارف

حل من الجحيم . بادر الجنانة وادخل وكن رجلاً . يؤدب العقل بحزم بما
من التهم واعلم أن أربعة من النساء أحببن أربعة من الأنبياء فوجدن
بذلك المغفرة أولهن خديجة رضي الله عنها أحبت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوجدت بذلك القربة والإسلام والنجاة من عبادة الأصنام والأزلام
فعصمت فيه عن الهوى وأنفقت عليه بمالها وكانت أول من أسلم من نساء عصرها
وبشرها الملك بقصرها قال أبو هريرة رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام
وطعام فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في
الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ذكره مسلم القصب هاهنا اللؤلؤ
المجوف وقالت عائشة رضي الله عنها ما غرت على واحدة من نساء النبي
صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم قطعها أعضاء ثم يبعثها
في صدائق خديجة فربما قلت له كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة
فيقول إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد ذكره مسلم وقالت عائشة
رضي الله عنها استأذنت هالة يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر

عليه وسلم فقال من أنت فقالت جثامة المزنية فقال بل أنت حسانة
المزنية كيف حالكم كيف كنتم بعدنا فقالت بخير بأبي أنت وأمي يا
رسول الله قالت فلما خرجت قلت على مثل هذه العجوز تقبل هذا
الإقبال وتسأل هذا السؤال فقال يا عائشة إنها كانت تأتينا في أيام
خديجة وحسن العهد من الإيمان ذكره مسلم وتزوجها النبي صلى الله
عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة وقيل ابن إحدى وعشرين
سنة وماتت قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين وقال ابن عباس
رضي الله عنهما كان لنساء قريش عيد في الجاهلية يجتمعن فيه في المسجد
فاجتمعن في عيد فإذا يهودي قد وقف عليهن وقال يا معشر النسوة
إنه قد جاء وقت بعث نبي كريم فأيتكن استطاعت أن تكون له أرضا
يطأها فلتفعل قال فلمنه وزجرنه ووقع ذلك القول في نفس خديجة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج في مالها فسمعت برسول الله
وأمانته وصدق حديثه وكرم أخلاقه فبعثت إليه أن تخرج في مالها
إلى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار فقبله
منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في مالها مع غلام لها يسمى ميسرة

الا قدر ما يظل ذلك الرجل. فقالت خديجة إن كان ما قال اليهودي حقا فما
هو الا هذا الرجل. فرمقته بعينها حتى أتى إليها. فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فسألت عنه ميسرة. فأخبرها بما رآه في سفره من كراماته ومعجزاته. وذلك أنهم
مروا بطريقهم على راهب يقال له نسطور وهو في صومعة له ببصرى من أرض
الشام وكان الناس ينزلون بحذاء الصومعة فلا يخرج إليهم. فلما نزلوا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نزل النبي صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة.
فاطلع الراهب من صومعته ونادى يا ميسرة. وكان يعرفه من هذا الذي تحت
هذه الشجرة. قال هو رجل من قريش من أهل الحرم. قال أو في عينيه حمرة.
لا تفارقه. قال نعم. فقال هو هو هو نبي هذه الأمة. والله ما نزل قط تحت
هذه الشجرة الا نبي. فياليتني أدركه حين يؤمر بالخروج. فأخبرها ميسرة
بذلك وما شاهده من ظل الغمامة. ووافى بربح كثير ونماء. فأرسلت خديجة
إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فلما دخل عليها سألته عما كان من سفره ثم قالت
له يا محمد ما لك لا تتزوج. قال ومن. قالت أنا. قال أنت كبيرة قريش
فقالت اخطبني. فخرج من عندها فأتى عمه. فأخبره بما شاهده في سفره
ثم قال يا عم اخطب لي خديجة. فقال يا بني أخاف أن لا يفعلوا. وذكر

قال وفلان وذكر أشيا من قريش كثير المال. فقالت صغير سنه
نحف عقله. يدل على بماله وشبابه. لا حاجة لي فيه. قال وما تقولين
في محمد بن عبد الله. قالت هو أوسط قريش حسبا وأحسنهم وجها
وأفصحهم لسانا. أعوذ عليه بمال فيكون لطوع يدي. فخشي الشيخ إن
لم يزوجها أن تتزوج نفسها. فبعث إليه أن تعال حتى أزوجك.
شعر: من المتقارب ٥ صفوا لي حبيبا فوهبت له كثيري وأجللته
صدري وأسكنته قلبي ٥ فإن تعذلوا فالعذول لبئس بناصح وإن
تعشقوا لا يحل لكم عتبي ٥ فماذا الذي تقولون في أمره إذا ما مشى في
الشمس ظلل بالسحب ٥ وتنبجس بدر التم من نور وجهه ضياء يعم
الأرض من الشرق والغرب ٥ وتنفجر الأنهار بين بنانه بما لذيذ
بارد طيب عذب ٥ وإن تنحر الأنجاد يوما بسؤدد أثيل فهذا أسيد
العجم والعرب ٥ وهبت له نفسي وما ملكت يدي فإن كان من رضا
فذلكم حسبي ٥ عليك سلام عنبرت نسيمه يضوع كنشر العود والمندل
الرطب والثانية أنشدت بنت مزاحم أحببت موتر الكلم. فأوردها
جنات النعيم. بنى الله لها بيتا في الجنة وأعظم عليها المنة. قيل

الأفق

والذابحون على الأبواب لأخذ بالمنتسب ونبذ الأنساب قد خلوا أعلنها
للطلب فرمته في التنور بين الحطب فلما خرجوا أتته فإذا النار لم تعد عليه
فكانت سلامته بعد الأجلة وبلغ قلب أمه أقصى أمله ثم ألقي في قلب أمه
رميه في اليم فخرجت إلى النجار تطلب تابوتا من خشب فقال لها وما تصنعين
به فكرهت أن تكذب فقالت وضعت ولدا وخفت عليه من فرعون فأريد
رميه في النيل فأعطاها التابوت وقفا أثرها إلى بيتها ثم عاد إلى الذباحين
ليخبرهم فلما وصل إليهم حبس الله لسانه عن النطق وصار يشير لهم وهم
لا يفقهون كلامه فقال اللهم إن كان هذا هو الذي يخافه فرعون فأطلق
لساني ولا أضره فأطلق الله لسانه فسار إلى الذباحين ليخبرهم فحبس
الله لسانه ففعل ذلك ثلاث مرات فلما كان في الرابعة سار إلى
الذباحين وقد أعماه فضربوه ضربا وجيعا فلما خلص من أيديهم
رجع إلى أم موسى فقال لها أريني ولدك فأرته إياه فآمن به شعر
في المعنى ٥ أبا الكليم نبي من خصصناه بالآية وتخبر بالسر المصون أولي
الحجة ٥ وما ضر من تبغيه ما أنت فاعل وكيف وموسى قد خصصناه
بالآية ٥ لسانك محبوس عن النطق كله وأنت الحائز في النصيحة بالرد ٥

لأحكامي وتبلي تفضلا فجاءت هذه الخلق أجمعها عندي فألقته أمه في
النيل فساقته المياه بأمر الله إلى منظرة آسية زوج فرعون وكانت
على الماء فأمرت برفع التابوت إليها فلما فتحته إذا هي بوجه دونه
الهلال قد ألبس حلة الإذلال فألقى الله محبته في قلبها وعرضته على
المرضعات فلم يقبل لأن فاه قد ختم عليه بقفل وحرمنا عليه المراضع
من قبل إلى أن تسلم إلى سليلة من فراقه وقيل لها هذا وعدنا التالف
لك بتلافه يا من يئست من عنائه وضمه اسمعي خطاب الكريم فرددناه
إلى أمه فلما فطمته من الرضاع ساقته إلى آسية فسرت به وأدخلته
على فرعون فأقبل عليه وأجلسه في حجره فأخذ موسى وأدخل يده
في غصن من أغصان لحيته وجذب فخرج الغصن في يده وسال
الدم على حجره فقال علي بالذباحين فهذا هو الذي خوفت منه فجعلت
آسية تتطارح عليه وتقول قرة عين لي ولك لا تقتلوه الآية ثم
قالت هو صغير لا عقل له وإن شئت أريتك البرهان اجعل بين
يديه تمرة وجمرة فإن أخذ التمرة وترك الجمرة فاذبحه فهو عاقل
وإن أخذ الجمرة وترك التمرة فاعذره وكان فرعون لا يأخذ أحدا إلا

أنّ الله تعالى جبريل فجعل التمرة بجناحه. فأخذ الجمرة وأهوى بها إلى فيه. فاحترق
لسانه. فلكن فتكن غيظ فرعون مُحيا وأن يجب لجعل النار بردا وسلاما على
إبراهيم. ويحترق بالجمرة لسان موسى الكليم. إبراهيم الخليل فوّض أمره إلى
الملك الجليل. وأعرض عن الأشياء كلها حتى عن جبريل وميكائيل وإسرافيل.
وتأدب ربه بلا واسطة. فأراه لطفه بلا واسطة. والكليم كان صغيرا عند فرعون
فربما جرى على لسانه مرة أين. فسلط الله عليه النار لذكره من سواه. الأترى
أن يده لم تحترق لأنها كانت من مقام المجاهدة. لأنه أخذ بها لحية فرعون.
وضرب وجهه فحُمّ من تلك الضربة ثلاثة أيام. وجرت قصة التمرة والجمرة.
وقيل يا موسى إن الله الفطنة تزيل عنك المحنة. قد عصمت يداك عن النار
لأنها جاهدت العدو والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. وجوزي اللسان
بإحراقه. لأنه ذكر من حرى القدرة بإغراقه. لم لم تحترق شفتاه لأن ملك الكلام
هو اللسان فكانت العقوبة له. لا للشفتين والشفتان بمنزلة البواب والنواب
ليس عليه عتاب شعر من المعن إن أغار من المحبوب إن ذكرا غيرا ويلحظه
إن غاب أو حضراه ومن العقوبة تهذيبه بطهره من كل وصف دنى حلا أو صفراه
والمندل الرطب لولا النار يحرقه ما استنشق الناس عرفا فيه منتشراه هذي
منتشرا

يمتد من نار الغضا سلمت لأنها جاهدت عدوا أبا كفراه ومتى ما قلت يوما باللسان أين مفقوف العضو

تمامه فقد صار أنت الكليم الذي أبو كلمه. بلا لسان ملك للوعد منتظراه ومن الشدائد أسرار مكتمه.

بها يعود حين اللطف مشتهرا والثالثة بلقيس أحبت سليمان عليه السلام.
فكان حبها إياه سببا لدخولها من الابتلاء. وكانت تعبد الشمس من
دون الخالق حتى بانت لها الحقائق. ووصل الهدهد بالكتاب فحصل
البيان. وتبين الحق والصواب وضوعف الأجر والثواب لأنها رأت
كتابا مختوما وأمرا مكتوما. ولفظا عجيبا وحالا غريبا. فصاح فصيح
فهمها من نادى عليها. بلسان التفضيل والتكريم إني ألقي إلي كتاب
كريم شعر من المعنى بعثت هذه نسيم من طلابكم. وقلت هل لكم
علم بأحبابي فقلت إنهم قد عوضوا بدلا. ولم يرقبوا الآلام وأوصابي
يا غائبين ورتع الصدر مسكنهم لم تقطعون عرى وصلي وأسبابي منوا
بكتبكم رقوا الصبكم. تماغ عنكم أنتي وأوراق كان قلبي إذا ما مر
ذكركم. فرسنه متهادنت بأثواب فاستشارت قومها بشوان اقتوني
فأشاروا إلى المحاربة بل نحن أولوا قوة. فقالت إني جنديه
الطير لا تقاتل بالجنود. فبعثت إليه بالهدية. فصاح لسان العز
إنه ومن بمال. وتجرد صارم الضربة عن وعيده. فلنأتينهم بجنود
لا قبل لهم بها. فلما صح عندها ما به عوّ إليه. وثبت على أقدام الطلب.

واستسلمت لعزيمة الإسلام وهيأت مراكب القصد وتزودت لسفر الظفر فلما وصلت وسلمت أسلمت

فسلمت وحلت نطاق النطق ونثرت دنانير الصرف على بساط التبري من
الظلم كي لا تكون من الظالمين إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب
العالمين شعر تاركت أقواني وأنبذ أغلالي وأهجر أصنامي وأظهر ابتلائي ٥
وأترك ملكي ثم تلك وعزتي عند خالق الأجرام بغفر أجرامي ٥ ولما بدت
للقلب شمس هدايتي أزالت صدى صدري وظلمة أوهامي ٥ ولم ألتفت شمس
النهار لأنها بغيبتها حق البقاء لعلامي ٥ فوحدت ربي مع سليمان علني أبوء
بالتوحيد منزل إكرامي والرابعة زليخا أحبت يوسف الصديق فبانت لها
أبواب التحقيق وفتح لها الباب ورد عليها البصر والشباب وطاب لها الخطاب
والجواب وانزاح الخطا وتبين الصواب وكانت قصة زليخا بين مشي
إخوة يوسف ورجوعهم بأخيهم إليه وذلك أن الله تعالى سلط على أموال
زليخا الفناء ومات العزيز وافتقرت فقرا شديدا وذهب بصرها وصارت
تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لرحمك وأغناك بشيء يغنيك عن
الناس ثم قيل لها لا تفعلي فربما يذكر ما كان منك إليه من المراودة وطول
السجن والمخالفة فيبغضك ويعاقبك فقالت هيهات أنا أعلم بحبيبي منكم
إن خلقه الصفح والإحسان والفضيلة والإفضال ثم نهضت حتى جلست

على ربوة من طريقه وكان ليوسف يوم يركب خمسة من كل أسبوع موكب من عظماء قومه ووزرائه

٧٤

وأرباب دولته مائة ألف فلما أقبل يوسف واحست زليخا قامت ونادت بأعلى صوتها سبحان

من جعل العبد مملوكا بالطاعة وصير الملوك عبدا بالمعصية فأمسك
العنان ونظر إليها وهي واقفة في ذلك المكان فقال لها من أنت
قالت أنا التي كنت أخدمك دهرا طويلا على صدر قدمي وأرحل
جمتك بيدي وأبذل في خدمتك جهدي وكان مني ما كان وقد ذقت
وباله ولقيت نكاله فذهب مالي وتغيرت كثير أحوالي وفقدت
بصري وتبين ضرري وصرت من شدة الباس أسأل الناس فمنهم من
يرحمني ومنهم من لا يرحمني وهذا جزاء المفسدين شعر أيا سيدا
كل المحاسن قد حوى ومن هجره داء ومن وصله دوا ومن بعده سقم
ومن قربه قوت أتترك من تهواك في معزل النوى وتمنع ورد الوصل
وهو مباح ٥ فلو سمعت أذناك من الليل أنتي لرققت لما بي من
هواك وحقت جناياتك بي كم ذا التجلد محنتي وتظهر من وقت
التجلي لغيري على وأبدت الواردات صباح ٥ أيطلب مني في
هواك تسترا وقد نال غيري منك ما تخيرا ومن جلد التقريب تمسي تخيرا
وتترك مقصوص الجناح موخرا وغيري له عند النتاج جناح ٥ وحبك
ربع الصبر مني قد عفا وحسن عزائي للجفاء قد انتفى فإن تجنبت

فاعذرني فقد برح الجفا فلينب على من صاح من دوحة الصفا إذا لم يشاهد من يحب جناح ٥ وهبك

فلما لم تزل فيه ثاوية، وأظهرت وداً من الحشا لك طاوية، وأنت لا أرب
عنك ثانياً، رضيت بما ترضى إذ كنت راضياً، ولا أحجبن عن الوجود
صباح قال فبكى يوسف إشفاقاً لها، ثم قال لها هل بقي في قلبك شيء مما
كان، فقالت له والله لنظرة منك أحب إلي من الدنيا وما فيها، ثم قالت
ناولني سوطك، فناولها إياه، فوضعته على صدرها بفناء قلبها، فوجد يوسف
في يده عند إمساكها السوط ارتعاداً، وارتعاشاً، واضطراباً، فقالت يا يوسف
هو كما ترى، فجاوزها باكياً، ثم بعث إليها رسوله، فقال لها يقول لك الملك،
إن كنت أيماً تزوجناك، وإن كنت فقيرة أغنيناك، فقالت إليك عني يا
عبد الله فإن الملك أعرف بالله، من أن يستهزئ بي لم يلتفت إلي الملك،
زمان شبابي وجمالي وغنائي، فكيف يلتفت إلي الآن، فرجع الرسول عنها،
وأعلم يوسف بمقالتها، فلما كان من الأسبوع الثاني، ركب الصديق على عادته،
فلما مر بها قامت ونادت كالنداء الأول، فقال لها ألم يبلغك رسولي وقال
لي ما قال، فما تريدين فقالت ألم أقل لك إن نظرة إليك أحب إلي من الدنيا
وما فيها شعر من المتقارب، وحرمة الود ما لي عوض، ولا استبدل قلبي دونكم
غرض، ومن حيرتي بكم قالوا به مرض، فقلت لا زال عني ذلك المرض،

فأمر

فأمر بحملها إلى قصره، وأحضر الشهود من حضره، وتزوجها فلما زفت
إليه، وأدخلت عليه، فحين وقع نظره عليها، زاد شوقه إليها، فصف
قدميه وصلى ما شاء الله أن يصلي ثم دعا الله باسمه الأعظم فرد الله عليها
جمالها وبصرها وشبابها، فعادت كهيئتها يوم راودته، فلما نظرت إليه
دون رقيب داخل قلبها الوجد، وبقيت في حال عجيبة، ودلها ما رأته
على التبيع القريب الحبيب فجرت تحجراً كبيراً، وأسالت دمعاً غزيراً، وداخلها
الذهول، وأنشأت لسان حالها يقول مخمس حيائي تكرمتني وتمهلا على صبري
فحبك أفناني وأفقدني صبري أقول وقد حل المقال على القدر بدا لي
وجه منك في حالة الشكر، فأنكرت ما به من الشمس والبدر جمالك
أودري من القلوب فراغها، غداة اشتراها في الوجود وباعها، أقول
وأذني لا تمل سماعها، لقد أنكرت نفسي عليك طباعها، وها أنا ثما بي تحيرت
من أمري، عذابك عذب في القلوب كماله، يهون علينا في هواك
احتماله، ووجه سبانا حسنه وكماله، واسكرنا من غير خمر جماله، فلله
من سكر عليك بلا خمر وجدنا جمال الوجد فيك حقيقة، كما صار منك
الحب فينا خليقة، وقويت أسراري وكانت ضعيفة، نعم حدودا في

التكاثر لطيفة. واضرب حيز القلل من التبر والجوهر. شراب بأفواه
الخواطر قد حلا. بجانبه بالوهم من معلم العلا. وقلب من سواه من القليل
قد خلا. وكانت شربناها ولكنها ملا. فيا حسرة من قلبي القصاص ولابد زين.
وقيل بل رد الله عليها شبابها بعد وصول يعقوب الى يوسف. وارتداد
بصره بالقميص. فسارت اليه. ووقفت بين يديه. وقالت انت ربيتني
الصابرين. وامام المحزونين منتصرا على المحنة بن ممسك. بخيط بزيل
وصبها ويذهب كربها. فاعطاها منه خيطا. وكان القميص من الجنة. وهو
الذي كساه الله ابراهيم يوم النجي من النار. فامرته على وجهها وجسدها.
فرد الله عليها بصرها وشبابها من يومها قبل غيرها. وتعرضت للصديق عليه
السلام. وهي كهيئتها يوم راودته فدعاها الى الاسلام. فاسلمت بين يديه.
وخضعت لديه. فكان دخولها في الملة. سببا للرفعة والوصلة. فلما زفت
اليه. وادخلت عليه. استاذنته في ان تصلي لله صلوة تكون شكر نعمة.
على ما وهبها من فضله وكرمه. فاذن لها. وازال عللها. فاستطابت حلاوة
المناجاة. وذهلت عما كان وعما هو آت. فناداها لسان المطالبة بالدعوى
كيف تشتغلين عن المحبوب بالمحبوب فقال لسان حالها مجاوبا. والدمع من

جفنها يهطل ساكبا. انا كالطائر من المصائد. شغله عن الحبة ظفر الصائد.
من اول مرة لم ينلها. وعند وصوله ما تفرغ اليها شعر من المعرب باهل
بابل انتم اصل بلباني. ردوا فوادي على جثمان البالي. لا واعلاق
هواكم يوم بينكم. ما مر صرف النوى يوما على بالي. وانما عرضت
بيني وبينكم. نوائب ارخصت من دمعي الغالي. سلوت عن
غيركم لما علقت بكم. عجبا الا فاعجبوا للعاشق السالي. فطال على
يوسف انتظارها. فدعاها اليه فلم تجبه. فدعاها ثانية فلم تجبه فجذبها
من خلفها. فقد قميصها من دبر. ولسان الحال يقول لذوي العقول.
يا من اذهب الشوق صبره وصدره. قدة بقدره. ليس العجب من
مشتاق يعشق. وانما العجب من ذليل يعشق. لما ادنيت بابا ورجعت وقمت
بابا وخضعت. اوضحنا الطريق القبول والاقبال. واتيناها من
الاذلال بالاذلال شعر من المعرب من اعتز بذي العز فذو العزة له
عز. ولا عز لمعتز. اذا اعتز بلا عز. فلما واقفها وجدها بكرا عذراء.
فقال لها يوسف يا الذي كنت تغلبتني حين راودتني عن نفسي. فقالت
يا نبي الله اعذرني. ولا تلمني. فان الله قد كساك حلة الجمال والبهاء.

والكمال. وكان زوجي غضبا لا يأتي النساء. وكنت مشركة حينئذ.
فلا تؤاخذني بسوء صنيعي. فولدت من يوسف عليه السلام ابنين افراثيم
ومنشى من اربع سنين. وطاب عيشهما. ومن الابيات شعر في المعنى
بتقوى الاله نجا من نجا. وفاز وصار الى ما رجا. ومن يتق الله يجعل له
كما قال من امره مخرجا. ويرزقه من حيث لا يحتسب. وان ضاق امر به
فرجا. ومن كان فيما مضى مذنبا فعفو الاله غدا يرتجى. حكي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه جهز جيشا من المسلمين تجاه العدو قبل الشام فحاصروا حصنا
من حصونهم حصارا شديدا. وكان من المسلمين رجلان اخوان قد اتاهما
الله تعالى نجدة وجراة على العدو. وكان امير ذلك الحصن يقول
لاقياله ومن بين يديه من ابطاله لو ان هذين من المسلمين قتلا.
لكفيتم من سواهما من المسلمين. فما زالوا يتصيدون لهم المصائد ويختلقون
المكائد. ويجعلون الكمائن الى ان اخذ الواحد منهما اسيرا وقتل الاخر
شهيدا. فادخل المسلم الاسير الى امير ذلك الحصن. فلما نظر اليه قال
ان قتل هذا لمصيبة. وان رجوعه للمسلمين لمحنة. ووددت ان لو دخل
في النصرانية. وله من مال كذا وكذا. فانه يكون لدين النصرانية مددا.

وعونا وعضدا. فقال له بطريق من بطارقته. ايها الامير انا افتنه
عن دينه. وذلك ان العرب تكثر الصبوة للنساء. ولي ابنة لها جمال
وبهاء وكمال فلو راها لفتن بها. فقال هو اليك. قال فادخله وفرش
المنزل والبسته الصبية من الثياب ما زاد في زينتها وجمالها.
وجيء بالرجل فادخل المنزل واحضر الطعام. ووقفت النصرانية
بين يديه كالخادم المطيعة لسيدها. تنتظر ان يامرها بامر تمتثله.
فلما راى المسلم ما نزل به. اعتصم بالله وغض بصره. واشتغل بعبادة
ربه. وقراءة القران وكان له صوت حسن ونغمة مؤثرة في النفس.
فاحبته النصرانية حبا شديدا. وكلفت به كلفا عظيما. فما زال على ذلك
سبعة ايام. حتى صارت تقول ليته لو رضي بدخولي في الاسلام شعر
اتعرض عني والفؤاد لكم يصبو. فداؤكم نفسي ومثواكم القلب. وان
لارضى ان افارق رفقتي. واترك دينا دونه الصارم العضب. واشهد
ان الله لا رب غيره. بذا ثبت البرهان وارتفع الريب. عساه بان
يقضي بوصله معرض. ويبرد قلبا شفه الشوق والحب. فقد تفتح الابواب
من بعد غلقها. وتعطى الاماني من تداوله الكرب. فلما عيل صبرها وضاق

صدرها ثم ترامت بين يديه وقالت أسألك بدينك ألا ما سمعت كلامي
قال وما كلامك قالت اعرض علي الإسلام فعرضه عليها فأسلمت وتطهرت
وعلمها كيف تصلي فلما فعلت ذلك قالت له يا أخي إنما كان دخولي
في الإسلام بسببك وابتغاء قربك فقال لها إن الإسلام يمنع من
النكاح إلا بشاهدين عدلين ومهر وأنا لا أجد الشاهدين ولا المهر
فلو تحيلت في خروجنا من هذا الموضع لرجوت الوصول إلى بلاد الإسلام
وإني أعاهدك أن لا يكون لي زوجة في الإسلام سواك فقالت أنا
أحتال لذلك فدعت أباها وأمها وقالت إن هذا المسلم قد لان
إلي ومال قلبه ورغب إلى الدخول في الدين وأن أواصله من نفسي إلى ما
يريد فقال إن هذا الأمر لا يتفق لي في بلد قتل فيه أخي فلو خرجت
منه لتسلى قلبي ولفعل ما هو المراد مني فلا بأس أن تخرجوني معه إلى قرية
كذا وكذا فإني ضامنة لكم وللملك ما تريدونه قال فسار والدها إلى
أميرهم وعرفه فسر بذلك سرورا عظيما وأمر بإخراجها معه إلى القرية
فخرجت معه فلما وصلا إلى القرية وبقيا يومهما ذلك وجن الليل أخذا
في الرحيل وقطع السبيل شعر وقالوا قد دنا منا رحيل فقلت ولي بهذا

بالرحيل ومالي غير جوب القفر شغل وقطع الأرض ميلا بعد ميل
لئن ظعن الأحبة نحو أرض رجعت بها من ابناء السبيل واجعل
نحوهم شوقي دليلا فيهتدي في الطريق بلا دليل قال فسار الليلة
تلك وكان الشاب قد ركب جوادا سابقا وأردفها خلفه فما
زال يقطع الأرض حتى قرب الصباح فمال بها عن الطريق وأنزلها
وتوضآ جميعا ليصليان الصبح فبيناهما كذلك إذ سمعا قعقعة
السلاح وصلصلة اللجم وكلام الرجال وحوافر الخيل فقال لها يا
فلانة هذا تبع النصارى قد أدركنا فما تكون الحيلة والفرس قد كل
ومل ولا يقدر أن يخطو باعا فقالت له ويحك أفزعت وخفت
قال نعم قالت له وأين ما كنت تحدثني من قدرة ربك وغياثه
المستغيثين به تعال نتضرع إليه وندعوه لعله أن يغيثنا بعنايته
ويتداركنا بلطفه قال لها نعم والله ما قلت فأخذا في التضرع إلى
الله تعالى شعر أنا إليك مع الساعات محتاج لو كان في مفرقي
الإكليل والتاج وأنت حاجتي الكبرى فلو ظفرت بما أردت إذا لم
يبق لي حاجة وليس عندك شيء أنت مانعه بل جود جودك سيال

وتجاج ٥ لكنني أنا محجوب ظلوم رفعت حجبي لأشرق نور منك وهاج ٥
يا فارج الهم فرج ما بليت به . فمن سواك لهذا الهم فراج قال فبينما
هو يدعو ويتحبب والجارية تؤمن على دعائه . ووجبة الخيل تقرب
منه . إذ سمع كلام أخيه الشهيد . وهو يقول يا أخي لا تخف ولا تحزن
فالوفد وفد الله وملائكته . أرسلهم إلينا يشهدون علينا بالتزويج
وإن الله تعالى قد أباها لنا بملائكته . وأعطانا أجر الشهداء . والسعداء .
وطوى لنا الأرض وأنك تصبح بحيال المدينة . فإذا اجتمعت بعمر
ابن الخطاب فأقرأ عليه من السلام . وقل له جزاك الله عن
الإسلام خيرا . فلقد نصحت واجتهدت . قال ثم رفعت الملائكة
أصواتها بالسلام عليه . وعلى زوجته . وقالوا إن الله زوجها منك
قبل خلق أبينا آدم بألفي سنة . قال فغشيها البشر والسرور والأمن
والحبور . وزاد اليقين . وتبينت هداية المتقين قال فبزغ الفجر
فتوضيا وصليا الصبح . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يغلس
بصلاة الصبح . وربما دخل المحراب وخلفه رجلان فيبتدئ بسورة
الأنعام أو سورة النساء . فينتبه الراقد ويتوضأ المتوضئ ويأتي

البعيد . فما يتم القراءة . إلا والمسجد قد امتلأ بالناس فيصلي الركعة
الثانية بسورة خفيفة . فلما كان من ذلك اليوم صلى من أول
ركعة بسورة خفيفة . وأوجز فيها ثم من الثانية كذلك . فلما سلم
نظر إلى أصحابه وقال أخرجوا لتلقي العروسين فتعجب أصحابه .
ولم يفهموا كلامه . فتقدم وهم من خلفه حتى خرج على باب المدينة .
وكان الشاب عندما ظهر الضوء . رأى أعلام المدينة ونواحيها فأقبل
يريد المدينة . وزوجته من خلفه . فلقيه عمر والمسلمون فسلموا عليه .
وأمر بصنع الوليمة فحضر المسلمون وأكلوا . ودخل الشاب بعروسته .
ورزقه الله منها أولادا يقاتلون في سبيل الله . وإن من نسله الآن
بقايا كلهم يقاتلون في سبيل الله شعر أراك على الأبواب تشكي
وتشكي وما لك دون الطالبين جواب ٥ أصابك عذر أم دهتك
ملمة . وصدك عن باب الحبيب حجاب ٥ صح اليوم يا مسكين والهج
بذكره . وتب مثل ما تاب الورى وأنابوا ٥ عسى مطر الغفران
يغسل ما مضى ويعفو بأرباب الذنوب تواب ٥ فقد يغلب
الإنسان وهو مغيب . ويعتق من سجن العقاب رقاب ٥

[illegible]

قال بلال بن سعد رحمه الله. إن لكم رباً ليس إلى عقاب أحدكم بسريع.
يقيل العثرة، ويقبل التوبة، ويقبل على المقبل، ويعطف على المدبر، وشاهد
هذا دعاؤه سبحانه المعرضين هل من تائب فأتوب عليه. هل من مستغفر
فأغفر له. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن العبد ليعمل الذنب فإذا
ذكره أحزنه. فإذا نظر الله إليه قد أحزنه ما صنع غفر له قبل أن يأخذ
في كفارته بلا صلوة ولا صيام ولا صدقة. وقال عبد الله بن سلام رضي الله
عنه لا أحدثكم إلا عن نبي مرسل أو شيء منزل إن العبد إذا عمل كل
ذنب في الدنيا ثم ندم عليه طرفة عين تسقط عنه أسرع من طرفة عين.
وقد جاء أن العاصي إذا أغلق الباب وأرخى الستر وغطى الكوة وباشر
المعصية تقول الأرض يا رب ائذن لي فأخسف به. وتقول السماء يا رب
ائذن لي حتى أسقط عليه. فيقول الرب سبحانه وتعالى إن كان العبد عبدكم
فافعلوا به ما شئتم. وإن كان عبدي فدعوه بعصي فإن أتاني من جوف
الليل قبلته. وإن أتاني وسط النهار قبلته. فإنه ليس على بابي حاجب ولا
بواب يمنعه. من أتى بابي وجد الطريق إلي. من قال ربي أقول له لبيك
عبدي من قال ربي أسأت أقول عبدي غفرت. كان أبو بكر الشبلي رحمه الله

يتكلم يوماً إذ وقف عليه شيخ أبيض الرأس واللحية. فقال يا أبا بكر شاب
رأسي ولحيتي ومن عمري في معصية الرب جل وعلا. فهل لي حيلة.
وهل يقبل الرب مثلي. فبكى وأبكى من حوله. فقال الشبلي نعم. قال
الله عز وجل قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. فإذا
أعطى الكافر الأمان من نيرانه. بانتهائه عن كفره وطغيانه. ألا يعطي
المؤمن الأمان بانتهائه عن الذنوب والعصيان شعر وإني لآتي
الذنب أعرف قدره. وأعلم أن الله يعفو ويغفر. لئن عظم الله
تصغر فتب أيها العبد الضعيف قبل مناطحة الرب اللطيف. واجر
من أجفانك الدمع الذريف على ما حصل منك من التفريط والتسويف
واستغفر لذنبك. وانته عن معصية ربك. فيا ويل لمن عصاه إذا
ما قسى على ما عليه أحصاه. ويا ذل من كانت النار مأواه ومستقره
ومثواه. ويا خسارة من اتبع هواه. وأصر على معصية الله. وخالف
رضاه. وترك من العمل ما يرضاه. ولم يرض بما قضاه وحكم به وأمضاه.
ويا ربح من لازم تقواه. ورفض من الذنوب ما يهواه. وأطاع مولاه.
وشكره على ما أولاه. وزهد في دنياه. ليبتغي الى علياه. ويسعد في

التائب من الذنب كمن لا ذنب له [illegible]

أغواه، ويخص بالقرب من ربه ويراه. فبادروا إلى التوبة النصوح
ما دام في الجسم روح، وأعلام الوصال تلوح، فالباب للتائبين مفتوح
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا تاب العبد خرجت
الملائكة إلى السماء فيقولون: إلهنا وسيدنا ومولانا، إن عبدك فلان
ابن فلان قد استيقظ من سنة الغفلة وترك ما كان عليه، ووقف
بين يديك خاضعا خاشعا نادما باكيا منتحبا. فيقول الله عز
وجل: يا ملائكتي زينوا السموات لقدوم حضرته، وافتحوا أبواب التوبة
لقبول توبته. فإن نفس عبدي إذا تاب توبة نصوحا أفضل وأعز
من السموات والأرض، وإذا لازم التوبة وأقام في الخدمة بدلت
سيئاته حسنات. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن
الله تعالى يحب من عبده أن يراه متضرعا بين يديه، راغبا في الدعاء
إليه، إن سأله أعطاه، وإن دعاه لباه، ألا وإن الله تعالى يقول: أنا
حبيب التوابين، أنا غياث المستغيثين، من ذا الذي سألني فخيبته،
ومن ذا الذي تاب وما قبلته، ومن ذا الذي طلب مني وما أعطيته، أنا الكريم
ومني الكرم، وأنا الجواد ومني الجود. فالعجب ممن يهرب. خرجه الحاكم

في مستدركه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال: واذنوباه واذنوباه، مرتين أو ثلاثا.
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل اللهم مغفرتك أوسع
من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي، فقالها، ثم قال: عد،
فعاد، ثم قال: عد، فعاد، فقال: قم فقد غفر الله لك. شعر: إن قربوك
فلا تأمن بعادهم، فربما أورث الإدلال إذلالا، وإن جفوك فلا
تيأس لعلهم يعوضونك عن الإدبار إقبالا، كن راضيا عنهم في
كل ما حكموا عذرا وميلا وتفضيلا وإجلالا. آخر المجلس الثالث عشر
وأسأل الله المحسن إلى المسيء أن يمن بدوام العافية وتمام المنة
ومتابعة الكتاب والسنة، وتوبة من الذنوب خاصة مفضية إلى
حسن الخاتمة، وأن يوفق لإتمام ما بعده، فإنه القادر على كل شيء.
والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الخليل والحبيب
والخليل، وعلى آله وصحبه من كل بكرة وأصيل. فإن الله بالجمال الأوفى
لمن اعتمد على كرمه يكمل، وهو حسبي ونعم الوكيل. علقه لنفسه ولمن
شاء الله من بعده أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحصني الحنفي عامله الله
بجميل لطفه الخفي، وغفر له ولوالديه، ولذويه وأقربيه، ولمن نظر فيه، ودعا لهم بالرحمة والمغفرة، والستر
يوم الفضيحة، ولجميع المسلمين، آمين. بتاريخ نهار الأحد ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وثمانمائة.

لبعضهم ما نطق الناطقون إذ نطقوا . أفضل من لا إله إلا هو ۝ ما لفظة
في الكلام نعرفها . أحسن من لا إله إلا هو ۝ وما دعاء المرسلين أممهم .
إلا إلى لا إله إلا هو ۝ قد شهد الله عز ذكره . بأنه لا إله إلا هو ۝ يمجد عبده
وصفوته . تعالى أشهد أن لا إله إلا هو ۝ كل من المؤمنين قد شهدوا . بأنه
لا إله إلا هو ۝ جنات عدن وهي مزخرفة . لقائل لا إله إلا هو ۝ وقيل
لدى بني اليهود إذ جحدوا . أنزل بلا إله إلا هو ۝ نودي على الطور من مخافته .
ناجاه أن لا إله إلا هو ۝ يونس من حوته وظلمته . أخرجه لا إله إلا هو ۝
يوسف من جبه وضيقته . جاوره لا إله إلا هو ۝ الشمس والنجم يشهدون له .
بأنه لا إله إلا هو ۝ جل جنب وجل معناه . وحده لا إله إلا هو ۝ كل
خضراء كل مورقة . تسبيحها لا إله إلا هو ۝ مكتوب على العرش من جوانبه .
سطر لا إله إلا هو ۝ نجه صادقا فقلت لهم . إني والذي لا إله إلا هو ۝

بسم الله الرحمن الرحيم **المجلس الرابع عشر** في قوله تعالى فاذكروني
أذكركم ۝ الحمد لله الذي أظهر وجوه وجود آياته عبر الكل عاقل ،
فاعترف بوحدانيته وربوبيته شواهد قواطع سواطع الدلائل ، يسبح
بحمده الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر بالسنة صوامت ذوابل ،
الله واحد فرد صمد احتجب عن أبصار الناظرين فلا مطلع له ولا مقابل ،
وتقدس عن الأضداد وتنزه عن الأنداد وعدل في القضاء لا جائر ولا مائل
عليم يعلم خفي ما اختلج من الأسرار وخطر من الأفكار لا ناس لها ولا جاهل
بصير يبصر خطوات الذر في قعر قاموس البحر قبل أن يقذف الى الساحل
سميع يسمع وقع أرجل النمل على كثبان الرمل وصيحات الجنادل حي وله حياة
قديمة أزلية فهو آخر بعد الأواخر وأول قبل الأوائل كلم موسى على جبل
الطور بكلام قديم أزلي صفة للمتكلم القائل ولم يكن بينه وبين كلامه له من
حائل فلا تقل كيف كان فالسؤال عن الكيفية باطل استوى على العرش
كما قال وليس العرش له بحامل ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من
راغب هل من تائب هل من سائل ونزوله نزول لا يليق بجلاله فبعدا
للمشبه وتعسا للمعطل الجاهل نزول بر وفضل واحسان وطول لا نزول

من

من عال الى نازل فيا أيها الغافل سفينتك قد أقلعت الى الساحل وأنت
عن قريب راحل فلم تميل الى الباطل وبالتوبة تماطل ثم بالسكين في
الأشجان والزم الندم والاستغفار للملك العادل وقف على الباب مع
جملة الأحباب بدمع ساكب على الخد هاطل وأنشد ما قاله الأدباء الأفاضل
مفردة إذا شئت أن تحظى بكل فضيلة فمن ذكر مولانا جميع الفضائل **فسبحان**
من أنعم على عباده المخلصين بقبول الوسائل فقال وهو أصدق قائل ،
وأقوى فاعل فاذكروني أذكركم هذه والله أشرف المناقب وأكرم الشمائل
أحمده على ما أودع من الإحسان والامتنان الطائل وأثني عليه ،
وأشكره على ما وسع من الفضل والبذل والنائل وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الخلاص من اليوم الهائل إذا خسر
المفرط وربح العامل وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ،
وحبيبه وخليله واستودع لديه الذي هو بين الحق والباطل فاصل والى
الحضرة المقدسة واصل صلاة تعم بها آناء الله يا صاح تدوم وتتقوم
بالبكر والأصائل وسلم كثيرا **شعر** في المعنى ۝ بذكرك تنتعش الأرواح
وتصبو له بجوارحي للمتاح ۝ فكأنما جسدي زجاج أبيض وبكل جارحة

بدا مصباح ۝ إن قال يسم الله يوما قائل. مضت الكروب وجاءت الأفراح ۝
ومن العجائب أن ترى إن ضاحكا. والقلب فيه من الغرام جراح ۝ فالبرق
يبدو للعيون سناؤه. وبه تروع أنفس وأرواح ۝ إن جار هذا الدهر يوما
أو عدا. فرجاء جودك جنة وسلاح ۝ يا من مضت أحكامه في خلقه. طرا فما
للخلق عنه براح ۝ خضعت لعزك يا مليك رقابنا. وذلت لجنابك الأشباح.
أفلين للخلق يشكو كربه. ولنا بأبواب الغني صياح ۝ ويصد عنك وأنت
مالك أمرهم. ولك القلوب وعندك المفتاح ۝ فارحم ضراعتنا إليك
وفقرنا. والطف فلطفك بالكرام متاح ۝ ما إن لنا رب سواك نؤمه.
أنت الرجاء ونورك الوضاح قوله تعالى فاذكروني أذكركم. ذكر الله
حياة القلوب وجلاؤها. ونورها وضياؤها وسناها قال بعضهم ۝
ذكر الله عظيم. بينه أجزاء ذكره فإن ذكرتم ذكرتم أعظم بذلك
فخرا ۝ قال الحسن البصري رحمه الله. لو أن الله تعالى كلفنا أن نذكره
في أرض كذا لذكرنا. لحق لنا أن نأتي تلك الأرض فنذكره. ليذكرنا.
فكيف ونحن في بيوتنا ومجالسنا وطرقنا. حيث قال فاذكروني أذكركم.
فذكر الله قوت الأرواح والسرائر كما أن الغذاء قوت الأشباح والظواهر.

قال

قال رجل لسهل بن عبد الله التستري وكان خادمه. لما أصابه الجوع.
يا أستاذ أين القوت. فقال سهل الله. فسكت ثم قال يا أستاذ لا بد من
القوت فقال سهل لا بد من الله. فسكت ثم قال أين القوت فقال
سهل القوت ذكر الحي الذي لا يموت قال بعض الصالحين رحمه الله.
خرجت يوما إلى السوق ومعي جارية حبشية. فأجلستها في موضع
من السوق وذهبت في بعض حوائجي. وقلت لها لا تبرحي من هذا
الموضع حتى أعود إليك. فعدت فلم أجدها في الموضع. فانصرفت
إلى منزلي وأنا شديد الغضب. فلما رأتني عرفت الغضب في وجهي.
فقالت يا مولاي لا تعجل علي إنك أجلستني في موضع ليس فيه
ذكر الله عز وجل. فخفت أن يخسف بي ذلك الموضع. فعجبت لقولها.
وقلت لها أنت حرة. فقالت بئسما صنعت كنت أخدمك. فيكون لي
أجران وأما الآن فقد ذهب عني أحدهما عجبا لمن استولت الغفلة
على قلبه. وصدته عن ذكر ربه. لا يتعرض لسؤاله وفضله ونواله.
لكنه سبحانه يحب أن يسأل ويرغب إليه. ومن لم يسأل الله يغضب عليه.
شعر سبحانه من ملك. للمؤمنين غافره وذاكر برحمته. لكل عبد ذاكره ۝

كيف ص

ورزقه مستفيد المؤمن والكافره وبابه مبتشر لطالب المغافره رحمته قد
وسعت كل الأنام النائره فلا تكن مقصرا من طلب الآثره فالقوم لما
اجتهدوا بصدق قلب عامره فازوا بفضل جنتين اعظم به وفاخره
فكن بهم مقتديا تفز بخير عامر. ومن هذه الآية الكريمة عشرون قولا.
قيل اذكروني بالإخلاص اذكركم بالاختصاص اذكروني بالخضوع
اذكركم بتيسير الأمور اذكروني بصدق النية اذكركم بجزيل العطية
اذكروني بالصفا اذكركم بغفران الجفا اذكروني بالخلوات اذكركم
بغفران الذنوب اذكروني بالصائب اذكركم بدفع الصوائب اذكروني
بالأصوات اذكركم بتيسير الأقوات اذكروني في الخلوات اذكركم
بالرحمة والصلوات اذكروني بلا نسيان اذكركم بمغفرة العصيان
اذكروني من البكا والصياح اذكركم باللطف والفلاح اذكروني
في السجود اذكركم بالنعمة والجود اذكروني بالعبرة اذكركم
بالمغفرة اذكروني بأداء الفريضة اذكركم بالرحمة العريضة
وبشفاء قلوبكم المريضة اذكروني بالانتحاب اذكركم بعز من
الانجاب اذكروني بالاستغفار اذكركم بالمواهب والأبكار

اذكروني

اذكروني في الأيام القلائل اذكركم بلبس الحلل والغلائل اذكروني
بالصبر على البلاء اذكركم بالدرجات العلى اذكروني بالشوق والحب
اذكركم بالدنو والقرب اذكروني بالإنابات اذكركم بزوال الحجابات
اذكروني على النوال اذكركم بفضل ونوال ولبس العجب من
قوله اذكروني إنما العجب من قوله اذكركم ولبس العجب من قوله
ويحبونه إنما العجب من قوله يحبهم ولبس العجب من فقير يحب محسنا
إنما العجب من محسن يحب فقيرا نزل جبريل عليه السلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال إن الله عز وجل يقول لك اعطيت امتك
ما لم اعط احدا من الامم قال وما هو قال هو قوله تعالى فاذكروني
اذكركم قال محمد بن علي الترمذي رحمه الله ذكر الله على وجوه
الأول ذكره بالتوحيد والثاني ذكره بالأمر والنهي والثالث ذكره
عند كل نعمة من الدين والدنيا والرابع ذكره بالمنة والخامس
ذكره بالتثبيت والسادس ذكره بالمحبة والسابع ذكره بالوله
والثامن ذكره بالشوق اليه والتاسع ذكره بالاتصال والعاشر
ذكره بالمراعاة على الدوام وكل ذاكر على حسب ذكره يرجع اليه

ثمرة ذكره. ومن ذلك الوجه يذكره ربه وقال ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله تعالى ولذكر الله أكبر أي ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه.
وقيل إن ذكر الله أكبر من كل عبادة سواه وقال بعضهم في قوله تعالى
فاذكروني أذكركم لأهل المعرفة الشريفة عبارات لطيفة. اذكروني بالتوبة.
أذكركم بغفران الحوبة. اذكروني بالطاعة. أذكركم بالرحمة عند قيام
الساعة. فاذكروني بالدعاء بإنابة. أذكركم بالإجابة. فاذكروني بالسؤال.
أذكركم بالنوال فاذكروني بلا غفلة. أذكركم بلا مهلة. فاذكروني
بالندم. أذكركم بالكرم. فاذكروني بالإرادة. أذكركم بالإفادة.
فاذكروني بالتذلل أذكركم بالتفضل. فاذكروني بشهود قلوبكم. أذكركم
بتحقيق مطلوبكم. فاذكروني على الباب من حيث الخدمة. أذكركم
برفع العذاب ومضاعفة النعمة. فاذكروني بتصفية السر. أذكركم بتوفية
البر. فاذكروني من حال حيوتكم. أذكركم بعد وفاتكم. فاذكروني
في شهودكم. أذكركم في لحودكم. فاذكروني في دنياكم. أذكركم
في عقباكم. فاذكروني بقطع العلائق أذكركم بتحير الخلائق.
فاذكروني بالرقائق. أذكركم بوصل الحقائق. فاذكروني في الرخاء

اذكركم

أذكركم في البلاء. فاذكروني بالمجاهدات. أذكركم بالمشاهدات. فاذكروني
بالتوحيد. أذكركم بالتأييد. فاذكروني بالشكر. أذكركم بالمزيد. واشكروا
لي على عظيم منتي عليكم. حيث قلت فاذكروني أذكركم. بذكري
ذكرتموني. وبتوفيقي شكري تشكرون. ولولا ذكري السابق لم يكن ذكركم
اللاحق. ولقد أجزل العطاء. والمواهب من جلالك بهذه المنقبة.
حيث خلق الملك والفلك والنور والحلك. والعلوي والسفلي والعرش
والكرسي والبهائم والهوام. والوحش والأنعام. فلم يقل لصنف
منهم. اذكروني أذكركم. فمن يؤدي شكر مولاك. على ما أنعم عليك
وأولاك. قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم. أي العبادة أفضل عند الله. يوم القيامة. قال الذاكرين
الله كثيرا. قال قلت يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله. قال لو
ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر. ويختضب دما لكان
الذاكرون الله كثيرا أفضل منه. ذكره الترمذي. وقال عبد الله بن بسر.
قال رجل يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي. فمرني
بشيء أتشبث به. قال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله. ذكره الترمذي

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. ألا
أنبئكم بخير أعمالكم. وأزكاها عند مليككم. وأرفعها في درجاتكم. وخير
لكم من إعطاء الذهب والورق. وخير لكم من أن تلقوا عدوكم.
فتضربوا أعناقهم. ويضربوا أعناقكم. قالوا وما ذلك يا رسول الله. قال
ذكر الله وقال أبو هريرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى
أنا عند ظن عبدي بي. وأنا معه إذا ذكرني. فإن ذكرني في نفسه ذكرته
في نفسي. وإن ذكرني في ملإ. ذكرته في ملإ خير منه. وإن تقرب
إلي شبرا تقربت منه ذراعا. وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا.
أو قال بوعا. وإن أتاني يمشي أتيته هرولة. ذكره البخاري. الباع.
والبوع سواء. وهو قدر مد اليدين وما بينهما من البدن وهو هنا
ضرب مثل لقرب ألطاف الله تعالى من العبد. إذا تقرب إلى ربه بالإخلاص
والطاعة. لا قرب مسافة وقال أبو هريرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في طريق مكة. وقد مر بجبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان
سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله. قال الذاكرون الله كثيرا.
والذاكرات. ذكره مسلم. وقال أبو هريرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سبق

سبق المفردون. قالوا وما المفردون يا رسول الله. قال المستهترون
بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم. فيأتون يوم القيامة خفافا. ذكره
الترمذي. وقال ابن عباس. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. من عجز
منكم عن الليل أن يكابده. وجبن عن العدو أن يجاهده. وبخل بالمال
أن ينفقه. فليكثر ذكر الله. ذكره البزار. وقال جابر بن عبد الله خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونحن في مسجد المدينة. فقال إن لله
سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض. فإذا رأيتم
رياض الجنة. فارتعوا. قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله. قال مجالس الذكر.
اغدوا وروحوا في ذكر الله من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر
كيف منزلة الله عنده. فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزله من نفسه.
ذكره البزار. شعر. لأعللن باسم من لم يزل فردا. ومن يمنح الآلاء
والطول والرفدا. ومن ذكره أنسي إذا الليل جنني. أصيره وردا
فأستعذب الوردا. إذا ما شدا شاد وهيم باسمه. يكاد فؤادي أن
يطير له وجدا. وتهتز أغصان موافقة له. فلا تنكروا رقصي إذا
الشوق هزني أو دبه. عجبت لمن يشتاق قرب حبيبه. ويشكو النوى منه

ذكرا

لقد جهل القصد وهل هو الا حاجز عن غائب شاهده بالقلب من
أخلص الوداد ويبصره من كل شيء بداله فيعرفه العقل المزين بما
أبداه ووهب له كلي ولذت بذكره وحملته كلي ولم أستحق رداه فها أنا
ملقى بين يديه رهنه أسائله الرجا وأستنجز الوعد يقوني طورا
فأزهو بتيهه ويقعدني طورا فأرضى بالرده رضيت بأبواب ويضع
شيرين فما القصد الا أن أكون لمعبدا أخواني إن الله تعالى لم يرض من
الذكر إلا بالكثير فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا
وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال ابن عباس
أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر
والصحة والمرض والسر والعلانية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا
رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن
تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى
ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع في رياض الجنة
فليكثر ذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم أصبح وأمسى ولسانك رطب

بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة وقال صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي
السائلين ومن بعض الآثار أن الله تعالى يقول ابن آدم اذكرني
بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء
إن الله تعالى يقول أيما عبد اطلعت عليه فرأيت الغالب عليه التمسك
بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة
وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وقال
صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل
الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم
قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء فيسألهم الله وهو أعلم من أين جئتم
فيقولون جئنا من عند عبادك في الأرض فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم
ما يقول عبادي قالوا يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويهللونك
ويمجدونك قال فيقول وهل رأوني قال فيقولون لا والله ما رأوك
قال فيقول كيف لو رأوني قال فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك

عبادةً وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً. قال فيقول فما يسألون. قالوا
يسألونك الجنة. قال وهل رأوها. قال فيقولون لا والله يا رب ما
رأوها. قال فكيف لو رأوها. قال فيقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد
عليها حرصاً وأشد لها طلباً. وأعظم فيها رغبة. قال فمم يتعوذون. قالوا
يتعوذون من النار. قال وهل رأوها. قال فيقولون لا والله يا رب ما
رأوها. قال يقول كيف لو رأوها. قال يقولون لو رأوها كانوا أشد
منها فراراً وأشد لها مخافة. قالوا ويستغفرونك. قال فيقول أشهدكم
أني قد غفرت لهم. وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا. قال
فيقول ملك من الملائكة يا رب فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. فيقول
الله تبارك وتعالى هم القوم لا يشقى بهم جليسهم. شعر: دعاني الهوى
شوقاً إلى باب عزكم ۞ فأقبلت أسعى من غرامي بحبكم ۞ وحقكم لا حلت
يوماً عن الهوى ولم يخل من قلبي سواكم وحقكم ۞ حلا ذكركم في القلب
من قبل نشأتي فهمت اشتياقاً مذ سمعت بذكركم ۞ خلعت عذاري
في هواكم وقد حلا لقلبي عذابي فارحموا مغرماً بكم ۞ وقد لامني لما
تهتكت في الهوى عذولي وقد باحت دموعي بسركم ۞ عرفت بكم

من

من قبل أن أعرف الهوى فأصبحت بين الناس أدعى بعبدكم ۞ فأنتم وإن
غبتم عن القلب والحشا ولم أر من قلبي مكاناً لغيركم ۞ عذابي بكم عذب
وإن مت أو حيي ومر اصطباري قد حلا إن يغر بكم. وقال صلى الله عليه
وسلم: ثلاثة تستغفر لهم الملائكة. والسموات والأرض والليل والنهار.
فقيل من هم يا رسول الله قال العلماء والمتعلمون والأسخياء. وثلاثة
لا ترد لهم دعوة المريض والتائب والسخي. وثلاثة لا تمسهم النار الرجل
الحسن الخلق والولد البار بوالديه والمرأة الصالحة المطيعة لزوجها.
وثلاثة يحرسون من شر إبليس الذاكرون الله آناء الليل وأطراف
النهار والباكون من خشية الله عز وجل والمستغفرون بالأسحار.
وثلاثة يرفع الله عنهم العذاب يوم القيامة الراضون بقضاء الله تعالى
والناصحون للمسلمين والدالون على الخير. وثلاثة آمنون يوم القيامة
الخائفون من الله عز وجل والمحبون لأصحابي والمتمسكون بسنتي
عند فساد الزمان. وثلاثة يرضى الله عنهم يوم القيامة رجل يصلي
في ظلمة الليل ورجل يعمل الخير من صغره ورجل يكثر التهليل
والاستغفار لنفسه وللمؤمنين. وثلاثة تفوت منهم الجنة وتباعد

منهم النار: رجل كان تمضمضه عبرات الخائفين، ورجل يحب الفقراء والمساكين
ورجل يتعاهد المرضى وأهل البلاء. وثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب:
رجل غسل ثوبه فلم يكن له بدلا، ورجل لم يطبخ في موقده قدرين
ولا يملك ما يشتري، ورجل له قوت يومه فلم يهتم لغده. وثلاثة يدخلون
النار بغير حساب: الولد العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والحاكم بالهوى. وثلاثة
يبغض الله عليهم: غني سارق، وغني كذاب، وشيخ زان. وثلاثة يسلط
الله عليهم عذاب القبر: رجل نمام، ورجل لم يتنظف ثوبه من البول، ورجل
لم يؤمن بعذاب القبر. وثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية،
والقصد في حال الغنى والفقر، والعدل في حال الرضى والغضب. وثلاث
مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وثلاث مكفرات
للذنوب: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلوة بالليل والناس
نيام. وثلاث يرفعن الدرجات: إسباغ الوضوء، ونقل الأقدام للصلوة،
وانتظار الصلوة بعد الصلوة. والغفلة ثلاث: الغفلة عن ذكر الله تعالى
وحلاله وحرامه، والغفلة عن مواقيت الصلوة، والغفلة عن إصلاح معيشتك
حتى يزكيك الدين. وثلاث تورث القسوة: حب الطعام، وحب النوم، وحب

الراحة. وثلاثة يحشرون يوم القيامة مغلولة أيديهم إلى أعناقهم: الأمير
الفاسق والعريف لا يمكنهم من الحق إلا العدل، والجابر هم من النار أشد
حرا. وأنشد فقرا شعر: نعم الدليل إليك يا مولاي ذكراك في السراء
والضراء. والصدق والإخلاص والقلق الذي في القلب يحول
حالة البلواء. والاشتياق إليك من بين الورى والانكسار لك في
اللقاء. وقيل إن جسد الآدمي صورة مشتبه، وقلبه ملك، وأعضاؤه
رعية، وخواطره جواسيس، وحركاته أجناده، وصورته مدينة، وقد بنيت
مطية، وبه جاريتان يرد إلى ما يرد على البدن من الأذى، والأذنيه
رائدان، وعينيه طلائع، وفمه ترجمان، ولسانه سامع، وشهواته رؤوم
تزور بالمدينة، وتزدحم تلك الصور. فإذا كان النائم ذاكرا لله تعالى
حرس الصور، وحفظت المدينة، وغابت الرعية، وبقي الملك، وجمعت
الأجناد، وتأخرت الجواسيس، وجاءت الأشباح، وأمن الترجمان
وأتبع الحارس، وصحبت المطية، ويعد النوم عن المدينة. وإذا غفل
النائم وسكت عن ذكر الله تعالى أدركته الغفلة، وأصابه النوم
فتمكنت رؤوم الشهوة من الصور، وهلك الملك، وتفرقت الأجناد.

وضاعت الرغبة شغفًا من المعبود لسانك ساهر والجسم صورة ورفع هواك
وتبك به تذوّره فإن ضيّعته وغفلت عنه فإنك دون ما نسك أسيره وإن
بالذكر كنت لم تجر بيننا. ما أحسن الرغبة والأمين إذا علل الذنوب به بنا
أحاطلت. فذكر الله دُرياق ونور من فهم علم التوحيد والحقائق تجرد
للواحد بقطع العلائق. أما ترى كلمة الشهادة التي هي شرط صحة العبادة
لا إله إلا الله محمد رسول الله. مجردة من النقط. من وفق لهذا المعنى
على اللفظ سقط. يا ذا المجالس الفاخرة إن أعرضت عن الدنيا أقبلت
عليك الآخرة. وهذا واضح لا يشكل عنه. من ترك لله شيئًا عوضه الله خيرًا
منه. عقر سليمان الخيل التي هي للركوب طلقًا. عوضه الله الريح غدوها
شهر ورواحها شهر. لما عثرت على التوحيد خنصر ابن آدم ميزت عن
باقي الأصابع بالخاتم. وما أحسن قول القائل دع الدنيا ولا تركن إليها.
ودع من فوقها سل سبلاه عناك بتركها تحظى بدار بها عيش تسمى
سلسبيلا. من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله سلم من القتل فإن
أسلم قلبه كما أسلم لسانه فقد سلم من عذاب الآخرة وحصل له فوزه
وأمانه. لأنه إذا قال لا إله إلا الله بتجريد فقد نفى الشرك وأثبت

التوحيد. فأولها نفي الشرك عن الله. وآخرها تعلق القلب بالله وإنما قلنا
ذلك لأن القلب لا يتعلق بالله إلا إذا انجاه من تعلقه بأسباب الشهوات
والإرادات. فإنها شرك. فإذا تخلص من شرك الشرك ولم يبق له متعلق
تعلق قلبه بالله. فعندها صدق الله في مقالته. لا إله إلا الله. فتلك المقالة
تملأ كفة الميزان حتى تستثقل السموات والأرض وما بينهما وما فيهما. واعلم أن
الله سبحانه ذكر القلوب على ستة أوجه. قلوب الذاكرين ألا بذكر الله
تطمئن القلوب. وقلوب الخائفين إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت
قلوبهم. وقلوب المحبين ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم.
والقلب السليم. إلا من أتى الله بقلب سليم. والقلب القاسي ثم قست قلوبكم.
وقلب منكر. قلوبهم منكرة وهم مستكبرون. فقابل الذاكرين بالذكر فاذكروني
أذكركم. وقابل الخوف بالأمن وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا. وقابل
المحبين بالمحبة يحبهم ويحبونه. وقابل القلب السليم بالنجاة من الكرب
العظيم. ثم ننجي الذين اتقوا. وقابل القلب القاسي بالويل فويل للقاسية
قلوبهم. وقابل القلب المنكر بعدم المحبة. إنه لا يحب المستكبرين. وذكر
الإمام أبو حامد الغزالي في الإحياء أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال القلوب أربعة قلب يزهو فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس
فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على علاقة فذلك قلب المنافق
وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء
الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي
المادتين غلب عليه ذهب به ثم اعلم إنا لا نريد القلب الصوري الصنوبري
الشكل الذي نذكره في التشريح وإنما نريد به القلب المعنوي الذي
أردفناه به وإنما سمي القلب قلبا لتقلبه قال صلى الله عليه وسلم قلب
المؤمن بين إصبع الرحمن يقلبه كيف يشاء وقال صلى الله عليه وسلم
مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال صلى الله عليه وسلم
مثل القلب في تقلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا وقال صلى الله عليه وسلم
مثل القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه
التقلبات لا يعرفها إلا المراقبون لقلوبهم وأحوالهم مع الله تعالى
مرة تهوي إلى أسفل سافلين وتنحط إلى حضيض درجة الشياطين
ومرة ترتفع إلى أعلى عليين وترتقي إلى أوج عالم الملائكة المقربين
فإن استماله الشيطان بالهوى مال إليه وإن دعاه الملك للتقوى أقبل

عليه فهو كالغرض على الدوام لا ينفك من صائبات السهام قال الله تعالى
ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ولما اطلع صلى الله عليه وسلم على عجائب
القلوب وسرعة تقلبها على المكروه والمحبوب كان يحلف ويقول لا ومقلب
القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين إصبعين
من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء
أن يزيغه أزاغه فاحذر أن تتوهم أنها أصابع جارحة تعالى الله
عن ذلك وإنما هي صفات وردت هكذا نؤمن بها وننفي التشبيه
وعند الخلف الذين أولوا المتشابه بما يليق بجلال الله تعالى فيه إشارة
على سرعة التقلب والتغير وقال القشيري في كنز اليواقيت لم سمي
القلب قلبا لأن الله سبحانه خلق الجسد من تراب وهو العالم السفلي
وخلق الروح من العالم العلوي فصار كلا منهما يطلب وطنه فخلق الله سبحانه
القلب ليصلح بينهما فهو يتقلب بين الروح والجسد وهو أسرع انقلابا من
غليان القدر ولذلك خاف الأولياء من تقلب قلوبهم فطلبوا الثبات
على محبة محبوبهم حتى مدحهم من لا تحيط به الأفكار بقوله تعالى

يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار. فالقلب هو العالم بالله.
العامل لله. الساعي إلى الله. المتقرب من الله. الكاشف بما عند الله. المقبل
على الله إذا سلم من غير الله. المحجوب عن الله إذا اشتغل بغير الله. المطالب
بحقوق الله. الحافظ بأوامر الله. المعاقب على معاصي الله. المعاتب على
ترك الوفاء لله. وقد تقدم أن الجوارح أشياعه وخدمه وأتباعه.
فالذي ينتشر عليها من الطاعات أنواره. والذي يظهر عليها من المعاصي
آثاره. إذ كل إناء بالذي فيه يرشح. وهو الذي إذا عرفه الإنسان
عرف نفسه. وإذا عرف نفسه عرف ربه. وإذا جهله الإنسان جهل
نفسه. وإذا جهل نفسه جهل ربه. وأكثر الناس جاهلون بقلوبهم وأنفسهم
وحيل بينهم وبينها. فإن الله يحول بين المرء وقلبه. وللقلب بابان
باب إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة. وباب إلى عالم
الملك وهو الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة. وإنما ينفتح الباب
الأول لمن أفرد لذكر الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم سبق المفردون.
قيل من هم يا رسول الله. قال الذاكرون الله. وضع الذكر أوزارهم فوردوا
القيامة خفافا وقد تقدم. ثم قال صلى الله عليه وسلم في وصفهم إخبارا عن

ربه سبحانه أنه قال أقبل عليهم بوجهي أترى من أقبلت عليه بوجهي يعلم
أحد ما أريد أن أعطيه. ثم قال أول ما أعطيهم أن أقذف من نوري
في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم. وقد تقدم الحديث بكماله في
المجلس قبله. وروي أن عمر قال قيل يا رسول الله أين الله في الأرض
قال في قلوب عباده المؤمنين. ومن الخبر أن الله تعالى قال لم يسعني
أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع. ولما ارتفع
حجاب الهوى عن قلب عمر بالتقوى قال رأى قلبي ربي. وكذلك كل
من ارتفع الحجاب بينه وبين ربه تجلت له صورة الملك والملكوت
في قلبه. فيرى جنة عرض بعضها السموات والأرض. هذا وهي عبارة
عن عالم الشهادة والملك. فأما عالم الملكوت الغائب عن مشاهدة الأبصار
المختص بإدراك البصائر فلا نهاية له. وجملة ذلك أعني عالم الملك
والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية المحيطة
بكل الموجودات. إذ ليس هي سوى الله وأفعاله ومملكته وعبيده من
أفعاله. فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وعند قوم
هي سبب استحقاق الجنة. ويكون سعة ملكه فيها بحسب سعة معرفته

فيا صاحب القلب التائب راقب واحذر تسرّع ضياعه وخف تجرّع
كأس وداعه. فقد قيل إن سمنون المحب كان يضرب ويتعصّب له على
فخذه حتى كان دمه يجري وهو لا يدري ويقول: كان لي قلب أعيش به
ضاع مني في تقلبه ربّ فاردده عليّ فقد ضاق صدري في تطلبه
وفقد بعضهم قلبه فكان يطوف الأزقة ويقول: ضاع قلبي أين أطلبه
ما أرى صدري له شكاه كان يوم النفر وهو معي فأبى أن يصحب الدنياه
وكان الصبيان يرجمونه بالحجارة. فدخل يوما بعض السكك فرأى امرأة
ضربت ولدها وأخرجته من منزلها وأغلقت دونه الباب فجعل
الصبي يلتفت يمينا وشمالا لا يدري أين يذهب فعاد إلى باب أمه
وهو يقول يا أماه من يفتح لي ويؤويني إذا أغلقت بابك دوني يا
أماه من يدنيني إذا أبعدتني من يرحمني إذا غضبت عليّ من يقبلني
إذا لم تقبلي بوجهك إليّ شعر: إلى من تهجروني والله أوحشتموني
عن بابكم أين أمضي بالله لا تطردوني قد جئتكم مستقيلا من زلتي
فاقبلوني قال فرحمته أمه وفتحت له الباب ووضعته في حجرها
وجعلت تقبله وتقول يا قرة عيني أنت الذي حملتني على ما فعلت لو

المعنى لم تلق مكروها. فصاح فاقد قلبه وجدت قلبي وعرفت الأدب
مع ربي. هذه أحوال أرباب القلوب مع المحبوب لا يبرحون على
الباب ولو عذبوا بأنواع العذاب كان وكان. لو طردتني بما أبرح
قلبي إلى من ألتجي فهل إله غيرك يرتجى غفرانه إن كان بابك
يغلق عن كل صاحب معصية من للعبيد الحائرين الخائفين الولهان
حاشا وكلا تعرض عمن يحبك تبتدي ومن يتقي ويشهد بأنك الرحمن
قال القشيري في شرح الأسماء له وإن كان قول القائل لا إله إلا الله
أوله نفي فالمراد به غاية الإثبات ما في قول القائل لا أخ لي سواك
آكد من قوله أنت أخي فكلمة التوحيد إذا خرجت من قلب فيه نور المعرفة
خرقت الحجب حتى تقف بين يدي ربها. قال تعالى إليه يصعد الكلم
الطيب أي لا إله إلا الله. وقال تعالى وقولوا قولا سديدا أي
لا إله إلا الله. وقال تعالى كلمة طيبة كشجرة طيبة أي لا إله إلا الله.
فهي أطيب الأشياء وأنماها وأصدقها وأسناها. قال الإمام كمال الدين
عبد الرحمن الأنباري رحمه الله في نكت المجالس له إن كلمة لا إله إلا الله
هي الكلمة الطيبة والكلم الطيب والطيب من القول والقول السديد

والقول الصواب والقول الثابت والمثل الأعلى وكلمة التقوى ودعوة
الحق والعمل الصالح والعدل والعهد والمعروف والحسنة والإحسان
فالكلمة الطيبة قوله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة
طيبة والكلم الطيب قوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والطيب من
القول وهدوا إلى الطيب من القول والقول السديد وقولوا قولا
سديدا والقول الصواب إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا
والقول الثابت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت والمثل
الأعلى وله المثل الأعلى وكلمة التقوى وألزمهم كلمة التقوى
ودعوة الحق والعمل الصالح لعلي أعمل صالحا والعدل إن الله
بالعدل والعهد إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا والمعروف يأمرون يأمر
بالمعروف والحسنة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها والإحسان
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان واعلم أن ذكر الله يغني من الأهوال
وهو مبارك في كل الأحوال ألا ترى أن يعقوب عليه السلام حين
وجه يوسف مع إخوته لم يزد على أن قال إني ليحزنني أن تذهبوا
به وأخاف أن يأكله الذئب فعوقب على ذلك بطول الحزن والبعد

من قرة العين ولما تآلوه أولاده توجه بنيامين قال فالله خير حفظا
وهو أرحم الراحمين فلما قدم ذكر مولاه أنعم عليه برجوع الاثنين
إليه قال وهب بن منبه لما خرجوا من عند أخيهم ووفدوا على أبيهم
كانوا يغتبطون ويتشاورون بقضاء حوائجهم ووجود الطعام
والميرة بأرخص ما وجدها سواهم وكانت في قلوبهم غصة شديدة
من ترك أخيهم وكيف يسألون أباهم وابنه الثاني بعدما فعلوا بالأخ
المتقدم ما فعلوا فكانوا يخافون منه أن لا يصدقهم ولا يسمعهم
في صرفه معهم لكنهم لم يجدوا بدا من مفاتحته بهذا الكلام وسألوا أبيهم
إياه أن يرسل معهم أخاهم إلى الملك إذ قد وعدوه بذلك وانفصلوا
على الإتيان به إلى هنالك فقالوا كما أخبر الله عنهم يا أبانا منع منا
الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون فأخذوا في شكر
الملك وذكر صنيعه الجميل بهم وإنزاله إياهم أحسن المنازل
وبيعه لهم الطعام بأرخص الأثمان قالوا يا أبانا لا وجه لنا في لقائه
بغير هذا ولا في أخذ ظل واحد منه قال والدهم يا بني ولم ذلك
وقد أخبرتم عنه بالكرامات السالفة والخيرات الوافرة والصنيع

الجميل فقالوا له لا تستأذنا حمل أخينا بنيامين إليه والورود به عليه
وأمسك أخانا شمعون عنده حرصا على لقاء بنيامين ومن كثرة
ما رأينا فيه من حرصه لم ننفصل عنه إلا بعد أن وعدناه بإتيانا به
إليه فإن أنت سمحت لنا بتوجيهه معنا فنرجو أن يكون لنا عند
الملك حظوة وكرامة ونكتال الطعام وإن كان غير ذلك لم
يقض الملك حاجتنا ولم يلتفت إلينا فأجابهم أبوهم بما أخبر الله عنه
هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو
أرحم الراحمين شعر كأن لم تروا أبا وبحكم فرط ما ألقى وأن كنت
هائم دنف ملقى ٥ أكابد أشواقا ووجدا ولوعة وما أحد منكم لما أنا لقي
رقاه ٥ غريق يجاريها يجود بنفسه وأحشاؤه والقلب أسير الرجا بلعزه ٥
ولم يبق لي إلا شقيق الذي له فؤادي مملوك ولا يشتهي العتقا ٥
أشم عليه ريحه بعد نأيه فأضحى به صبا وأصبو له عشقا ٥ فكيف اصطباري
بعده إن فقدته أبيني من صبري أصبري من بقي ٥ عسى من قضى
بالبين يجمع بيننا فما زال يعقوب من رجا جوده رفقا ثم قال أخذتموه
مني بالمواثيق الأكيدة وضمنتم لي رده ثم فعلتم بما فعلتم وسكت
عن

من ذلك وكره ما ذكروه واهتم هما شديدا ولم يجبهم لما سألوه
وجعل يبكي ويحزن وتجدد عليه أمر يوسف وحديثه وهم يصفون
الملك ويذكرون حسن سيرته ويقولون يا أبانا ما رأينا ملكا قط
أشبه منه بك وإن جميع عادته وخلقه وسيرته يشبه خلق الأنبياء
وقد أحسن إلينا ووعدنا الزيادة ولو حملنا أخانا إليه لازددنا
كرامة عنده مع ما كنا نزداد مع جملة من الهدايا والتحف وأكثروا
عليه القول فلم يجبهم بشيء ولم يزد على قوله هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم
على أخيه من قبل الآية فلما أعياهم ذلك قام واحد منهم إلى رحله
وقام الجميع وفتحوا رحالهم فوجدوا بضاعتهم قد ردت فتأكدت
المحبة واشتدت شعر من التعب ٥ هدايا الناس بعضهم لبعض تولد
في قلوبهم الوصالا ٥ وتزرع في القلوب هوى ووداً وتكسوهم إذا
حضروا جمالا ٥ فرجعوا إلى أبيهم فرحين مغتبطين متعجبين من كرمه
وهو قوله تعالى ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم
قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا الآية وذلك أنهم
أروه البضاعة المردودة من الذهب والفضة وقوي أملهم في

رجوعهم إلينا بما في أيديهم. ومن قوله ما نبغي وجهان أحدهما أنه على وجه
الاستفهام أي ما نطلب من الخير وحسن الظن بذلك الملك. بعد ما
كان الكيل موفورا. ورد البضاعة والأثمان مشدودة في أوعيتنا
هذه. فما نبغي بعد هذا. أي ما نلتمس من الخير أكثر من هذا. والوجه
الثاني ما نبغي أي ما نكذب. والبغي الكذب. أي ما نكذب في قولنا أرسله
معنا وصدقنا في قولنا. من إحسان الملك واستعانه أخانا. فلا بأس
أن ترسله معنا. فهذه بضاعتنا مردودة إلينا. فإذا عدنا إليه بأخينا.
نمير أهلنا. يعنون نحمل الميرة. لأهلنا. ونحفظ أخانا. ونكرمه ونرده إليك
سريعا. ونزداد كيل بعير. إذا كان أخونا معنا. كان له حمل بعير. وهذه
كانت عادة يوسف عليه السلام. يكال لكل واحد حمل بعير. ذلك كيل
يسير. هذا الذي يقوله من حمل بعير هين عليه يسير. وحمل البعير يومئذ.
كان له قيمة عظيمة. فلما رأى يعقوب ذلك سكن قلبه. إلى بعث ابنه
بنيامين. ولكنه لم يجبهم إلى ذلك. إلا أن فرغ ما معهم من الطعام. ودخل
عليه الصبيان. يبكون من الجوع. فلان قلبه. ووطنت نفسه على توجيه
الأخ معهم. واستخار الله عز وجل في ذلك. وعزم على الصبر فيما نزل به.

شعر

شعر فؤادي بلا قد نال منك حزينة وليلي تسهد كله وأنين ۝ وعاهدت
صبري أن يفي بموعدي ولم أدر أن الصبر منك يخون ۝ ووهبت لك
القلب الذي أنت ساكن به وله قدر لديك مكين ۝ فأكثر عذالي لذاك
ملامهم فقلت وعذري في الجواب مبين ۝ وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
ذخائر من رب بهن ضنين ثم قال يا أصبر الله عنه. لن أرسله معكم حتى
تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم. يعني إلا أن ينزل
بكم. أمر مقدور من السماء. لا يمكنكم دفعه من مرض أو موت أو غير
ذلك. فكأنه استثنى موثقه. وعلم أن المقدور إذا نزل لا يمكن أحد.
صرفه. ولا دفعه ولا زواله. فقال إلا أن يحاط بكم. فلما آتوه موثقهم
قال الله على ما نقول وكيل أي شهيد عليكم. وهو موفقكم للوفاء بالعهود
وإبرار الأيمان. وسئل ابن عباس عن الموثق الذي أخذ يعقوب على
ولده. فقال إن يعقوب قال لأولاده يا معشر ولدي إن خنتموني
في ولدي بنيامين. فأنتم براء من النبي الأمي الذي يكون في آخر الزمان
من نسل عمي إسمعيل. له أمة. لهم صفوف كصفوف الملائكة في السماء.
وهو بريء من الأديان بشهادة أن لا إله إلا الله. وهو صاحب الناقة.

والقضيب والإداوة والوجه الأقمر والجبين الأزهر والحوض المورود
والمقام المشهود ذلك النبي الذي بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم فأنتم
براء منه وهو معرض عنكم بوجهه يوم القيامة إن خنتموني في ولدي
قالوا بلى قال يعقوب الله على ما نقول وكيل شعر من المعرة بجلال
قد ترك صحيح الأخبار وتتابع الأعلام والأخبار وورود الثقات وصح ما
قد أثبتوا طرا بأنك سيد مختار والأنبياء بك المواثق أكدوا فما كذ
التفضيل والإيثار لما رأى يعقوب تنوح أبيه وفراقه أمر لديه
كبار أخذ العهود على بنيه وقال إن خنتم ولاح عليكم الإدبار فمحمد
منكم بريء يوم لا تشرى إذا نفخ التعيين بعار يا سيدا شهد الوجود
بفضله قبل الوجود فما له إنكار من السلام عليك ما برق سرى وتعاقب
الإمساء والإبكار قال فلما قضى يعقوب عليه السلام موثقه وأنفذ
عهده دعا ابنه روبيل وقال يا روبيل اكتب عني كتابا إلى ملك
مصر أمله عليك قال نعم فكتب بسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب
من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله
إلى ملك مصر أما بعد فإنك سألتني على لسان أولادي عن سبب

حزني

حزني وشيبي وانحناء صلبي وذهاب بصري وكثرة ضرري فاعلم
أن أولى الناس بذلك وأحقهم به أخوفهم من ربه وأذكرهم للمعاده
وأشفقهم من إبعاده فأما كبر سني فقبلي وإنه من ذكر النار وشدة
عذابها وأما انحناء ظهري ووهن عظمي وذهاب بصري من الحزن
على قرة عيني يوسف ومواصلة بكائي عليه فإنه كان قرة عيني ونور
بصري وكان أنيسي في الخلوة ومرادي في البلاء وقد أصبت فيه
وفرق بيني وبينه فلا أدري أحي هو فأرجوه أم ميت فأحتسبه
وإنا أهل بيت موكل بنا البلاء فقد خصصنا بذلك لا تصفو لنا الدنيا
ولا نزال فيها متغصصين معذبين وما ذاك لهواننا على الله عز وجل
ولكنها حاجة ليتخلص أجرنا ويسلم من النقص عنده حظنا وقد بلغني
اهتمامك لأمري وسؤالك عني وعن حالي فالله تعالى يجزيك على ذلك
خيرا وكفى بالله مجازيا وشهيدا واعلم أنك لا تكرمني بكرامة هي أعظم
في صدري وأبلغ لشكري من أن تعجل علي بسراح ولدي وردهم إلي
فتجتمع بهم أنستي وتنبسط بصحبتهم نفسي ويزول وحشتي وتكثر م
سرتي فلو رأيت حالي لأبكاك ما أنا عليه وقد وجهتهم إليك بالأمانة

فوّدهم إلى بالأمانة . والسلام عليك وتحياته . ورحمة الله وبركاته شعر من
الغزل ه يحثّ براه الشوق بالمنزل الأقصى . ينادیكم دمشق واحاجر قد قضاه
برته بطول العمر ضعفا وشيبة . وتلك زيادات تكسبه نقصاه جلية على وقع
الليالي صابر . له أنّة ترثي ولست ترى شخصاه إذا ما جرت ذكراكم في
ضلوعه . تمايل فاهتزت معاطفه رقصاه وقد قصت القلوب مدامع جفنه .
فهذ عطفة منكم فتقبل ما قضاه تسقه الليالي كأس ذل ومحنة . فأضحى لا
فتصالديه ولا قنصاه تستقطع بيد الحب أينق وحده . ويحمل في
مرضاتك الوجد والنقاه لعلك يحنو دارسات رسومهم من بريته هجران
الحبة قد غصاه فيمنح بعد البعد أنسا وقربة . ويصبح من بعد التباعد
مختصاه فمن من غرامي فيك شوق مبرح . وأشواق قلبي لا تعدّ ولا
تحصى تم تم الكتاب وقال لبنيه . ما أخبر الله عنه . يا بني لا تدخلوا من
باب واحد . وادخلوا من أبواب متفرقة قيل إنه خاف عليهم من العين
ولا عجب في ذلك فإن نبينا صلى الله عليه وسلم قال السحر حق والعين حق
وقال صلى الله عليه وسلم . استعيذوا بالله من العين فإنها تورث الرجل القبر
والجمل القدر شعر من النثر ه العين حق فلا تأمن من المحن وعذ بربك

بالله

في الإسرار والعلن ه فالاستعاذة حصن من يحل به . يكون ما عاش في
حفظ وفي أمن ه واعلم بأن كمال البدر منتزف بالنقص فاحذر أخي من
صدمة الزمن ه وللحسان عيون الناس ناظرة . كما يقول فصيح القول
ذو اللسن ه عين أصابتك إن العين صايبة . والعين أسرع ما تأتي
إلى الحسن وقيل إنما أراد يعقوب تفريقهم . لأنه كان وصله الأعرابي
رسالة . حين لقي يوسف وقال أبلغ رسالة الكظوم إلى المغموم . وقال
رأيته بمصر . فأمر بنيه أن يتفرقوا على الأبواب ويأخذوا الحوايج
والطرق لعل واحدا منهم يلقى يوسف من طريقه . أو يقع عينه عليه
في مسيره . ويعقوب لا يعلم ما خص الله به يوسف من الملك والسلطا ن
والطول والامتنان شعر لم يدر يعقوب ما مولاه أعطاه من ملكه
وحباه ما تمناه ه أوصى بنيه بتفريق إذا دخلوا العلى واحدهم إن
شاد لاقاه ه لم يدر أن إله العرش شاء بهم لمّ الأحبة لا من رق معناه
وأن بين يديه سوف يوقفهم من بر به حقيقا صدق رؤياه ه ودرت
طالب أمرا وطنه سببا . لينل ما رامه أو ما ترجاه ه من حيث لم يحتسب
قد جاءه فرح . فظل يعجب من أفعال مولاه ه يا صاحب الهم إن الهم

متفرج. أبشر بخير فإن آتاه الله. قال الله تعالى ولما دخلوا من حيث
أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس
يعقوب قضاها. أي ما يغنيهم دخولهم مصر متفرقين من قضاء
الله شيئًا حين ابتلوا بإمساك أخيهم. وادعاء السرقة عليهم إلى
غير ذلك مما امتحنوا به. وقيل إنه لم يكن قصد يعقوب عليه السلام.
القول الأول ولا الثاني وإنما كان حاجة في نفس يعقوب قضاها.
أي غصة كانت في قلبه من فراق يوسف ثم جاءت غصة أخرى.
بفراق بنيامين فحمله هاذان الهمان على أمره لهم بالتفرقة. لأن
الغريق يتعلق بالغريق كذلك غريق الهموم يتعلق بكل وجه يظن
أنه يوصله للفرج. وقد قيل إن الله عذره ولم ينقصه بذلك أجره.
فقال مخبرًا عنه للذين يتهمونه وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر
الناس لا يعلمون. فلما وصلوا مصر أخبر يوسف بقدومهم. ووصول
أخيه بنيامين معهم. فسر بذلك غاية السرور ولم يغتر لعلمه أن
الحيوة الدنيا متاع الغرور. وأمر المجلس بالزينة الحسنة. فزين
وتجدد. وقعد على سريره. وأمر بأواني الذهب والفضة فملئت مسكًا.

وعنبرًا.

وعنبرًا. وأنواع الطيب وصفت مملوءة من باب قصره إلى موضع سريره.
عن يمين وشمال ثم أمر بدخولهم. فلما دخلوا عليه قدموا بنيامين بين
أيديهم. ليعلموا الملك بوصوله. فدخلوا على إثره. فلما نظر بنيامين
إلى تلك الأواني جعل يأخذ الطيب ويتمسح به. وجعل إخوته.
يلومونه ويزجرونه. ويقولون له ما أجهلك بآداب الملوك. الملك
وضعت هذه الأواني. أم لأجلك ملئت طيبًا. أليس هذا سوء
أدب منك. لأنك لم تتعود الدخول على الملوك. إنما تعودت صحبة
الغنم. قال لهم بنيامين يا إخوتي ليس الأمر كذلك. إنما هذا الملك.
ملك عزيز. وهو أعز ملوك الأرض وأطيبهم نفسًا. وقد تعود
مس الطيب وشمه. فعبقت إذن رائحته. ونحن قوم شعث. تغيرت
رائحتنا. ففعلت هذا ليزول عنا الرائحة الكريهة. فقالوا له صدقت.
وأخذوا يتمسحون ويوسف ينظر إليهم. وقد امتلأ سرورًا. فلما
وقفوا بين يديه نظروا إلى بهاء ملكه ووقار سلطانه. فتعجبوا من
ذلك. فقال بعضهم لبعض لعل هذا الملك غير من كنا لقيناه. قال
فعاجاهم الترجمان بالكلام. وقال يقول لكم الملك من أنتم ومن

أي بلد جئتم. قالوا نحن بنو الأنبياء. الملك أمرنا بالإتيان بأخينا.
فقال نعم عرفتكم. وأنتم عندي مكرمون. فهل أتيتموني بأخيكم المذكور.
ففرحوا واستبشروا وعرفوا أنه الملك الذي أرسلهم. فقالوا أيها العزيز
إنا قد امتثلنا أمرك ولزمنا سمعك وطاعتك وأتيناك بأخينا ومعنا
كتاب من أبينا. فقال للترجمان خذه منهم. فأخذه منهم وأعطاه يوسف
فلما قرأ كتاب أبيه ووجد ما وصف فيه. أصابه الولوع وفاضت عيناه
بالدموع شعر وإن الكتاب كأن متخالطه. تبدي روائحه إذا استنشقه
فقرأته ومدامعي تنهله. والقلب من فرط الصبابة يخفق. فكأن ظاهره
نوقد صدره وكأنه من جيش غرقه. يا كاتبا يشكو بكثرة شوقه وأنا إلى
لقياه منه أشوق. لا تنزعن من التباعد وقعه فلكم يجيء بالتواصل يلحق
وإذا الأقادر ساعدت لتقرير ملأ من الصبو النوشح يخلق إخوان ما كل
من دخل وصل. ولا كل من دنا حصل. رب دان وهو بعيد. وموصول
وهو شريد. دخل إخوة يوسف عليه السلام جماعة ولم يعرفه إلا الواحد
كذلك من دخل من طريق المعرفة وميدان الخدمة كثير والواصل قليل
ولهذا أصاب قلوب المحققين الذهول حتى كانهم السكر والنحول ولله

طريد

در قائلهم إذ يقول شعر طلابك قطاع الفيافي إلى الحمى كثير وإن
الواصلين قليل. وجوه عليها للقبول علامة. وليس على كل الوجوه
قبول. قال إبراهيم الخواص طالبتني نفسي في وقت من الأوقات
بالخروج إلى بلاد الروم فخوفت نفسي فلم تخف ولم تخش من التلف
وأضعفت بدني فلم يضعف وعلقت على نفي الخاطر فلم ينتف فخرجت
أخترق ديارها وأجوز أقطارها والعناية تكتنفني والرعاية تحفظني
لا ألقى نصرانيا إلا غض ناظره عني وتباعد مني إلى أن أتيت مصرا من
الأمصار وأنا وحيد بلا أعوان ولا أنصار فإذا عند باب البلد رجال
لهم إلى لقائي نيل مطامع وعبدان على رؤوسهم الأسلحة وبأيديهم المقامع
فلما دنوت قاموا إلي بجمع النعم. وقالوا أطبيب أنت فقلت نعم أنا في
نظمهم منسلك. فقالوا أجب الملك. قال فأدخلوني إلى ملك عظيم ذي
وجه وسيم. فلما دخلت عليه نظر إلي وقال لي أطبيب أنت فقلت
نعم. فقال أدخلوه إليها وعرفوه بالشرط قبل دخوله عليها. قال فأدخلوني
وقالوا إن للملك ابنة قد أصابها اعتلال شديد وقد أعيى الأطباء
علاجها وما من طبيب دخل عليها وعالجها فلم يفد إلا قتله الملك فانظر

لطبيبك. فقلت: الملك يأمرني إليها، فادخلوني عليها. قال: فاحملوني إلى
بابها. فلما قرعوه إذا هي تنادي من داخل الدار: أدخلوا الطبيب
عليّ ولا تستر عجيب. شعر: افتحوا الباب فقد جاء الطبيب وانظروا المجنون
من سر عجيب. فلكم مقترب مبتعد، ولكم مبتعد وهو قريب. كنت ما بينكم
بغربة، فأراد الحق أنس بغريب. فجمعتنا نسبة دينية، فترانا نحب
وجنب. ودعانا الله إذ دعا، نحب الغافل عنا والرقيب. فاتركوا
عذلي وخلوا لومكم، إني ويحكم لست أجيب. لست الوم نحو فإن غائب
إنما قصرت باقٍ لا يغيب. قال: فإذا شيخ كبير قد فتح الباب بسرعة، وقال:
أدخل. قال: فدخلت فإذا بيت مبسوط بأنواع الرياحين، وإذا بستر
مضروب من زاويته، من خلفه أنين ضعيف يخرج من هيكل نحيف.
قال: فقعدت بإزاء الستر، وأردت أن أسلم، فذكرت قوله صلى الله
عليه وسلم: لا تبتدئوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق
فاضطروهم إلى أضيقه. فأمسكت. فنادت من داخل الستر: أين سلام
التوحيد والإخلاص يا إبراهيم الخواص؟ فعجبت من ذلك، وقلت: من أين
عرفتني؟ فقالت: إذا صفت القلوب والخواطر أعربت الألسن عن

مخبآت الضمائر. سألته البارحة أن يقيض لي ولياً من أوليائه الخواص
يكون لي على يديه الخلاص، فنوديت: إنا مسيرون إليك إبراهيم
الخواص. قلت: ما خبرك؟ فقالت: إني منذ أربع سنين قد لاح لي
الحق المبين، فهو المحدث والأنيس، والمقرب والجليس، فرمتني
قومي بالجنون، وظنوا بي الظنون، ويسوقون إلي المجنون، فما دخل
عليّ طبيب منهم إلا أوحشني، ولا زائر إلا أدهشني. فقلت: من
دلك عليه حتى وصلت إليه؟ فقالت: براهينه الواضحة، وآياته
اللائحة. وإذا وضح لك السبيل شاهدت المدلول من الدليل. قال:
فبينما أنا أكلمها إذا بالشيخ الموكل بها قد دخل عليها، فقال لها: ما فعل
طبيبك؟ قالت: عرف العلة، ووصف الدواء، فأصاب. فظهر عليه السرور
وقابلني بالبرور، وسار إلى الملك وأخبره، فحضه على إكرامي وأمره.
فبقيت أختلف إليها سبعة أيام. فقالت: يا أبا إسحاق، الهجرة إلى دار
الإسلام. فقلت: وكيف يكون خروجك، ومن يتجاسر عليه؟ فقالت: الذي
أدخلك عليّ وساقك إليّ. فقلت: نعم. قال: فلما كان من الغد خرجنا
عن البلد، فحجب العيون من إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

فما رأيت أصبر منها على الصيام ولا أدأب منها على القيام وبلغت
المرام وجاورت بيت الله الحرام سبعة أعوام ولحقت بالأقوام
ثم قضت نحبها ولقيت ربها وحمد صبرها وكان بمكة قبرها رحمة
الله عليها وبركاته وأصلة إليها شعر ولما أتوني بالطبيب وقد بدت
دلائل من حزن شفوح ومن سقم نفى البرد عن وجهي فلم يرد يحسه
يشوب نفسي من غير روح ولا جسم يا هذا تيقظ لنفسك وانتبه
وأحضر عقلك وميز ما يشتبه كم بين النائم والمنتبه أما هذا
منزلك اليوم وغدا السبب به شعر إذا ما أنحل الزاد فاحكم به ولا
تحكمن بما يشتبه وتنبه فؤادك من رقدة فإن الموفق من ينتبه
وإن كنت لم أنتبه بالذي وعظت فانتبه أنت به أنكب التوبة
أيها العاجز ولعله ان القطع وارتفع الحاجز أين الهمم العالية
وأين العزائم أما تخاف هادم اللذات والمنى الناجز أما اعوجاج
القناة دليل على العايب أما الطريق طويلة وفيها المفاوز أما القبور
قنطرة العبور فمن للمجاوز أما يكفي من التنغيص حمل الجنائز
أما الوقت محارب فهل من مبارز أما الأمل بعيد والموت ناجز

تنقلب صاحبك تدبرك أفلا تتأهب لقد تناهى تدبرك معاشر
المطرودين عن صحبة أهل الدين تعالوا نتم ماتما للفراق ونندب
إخواننا الظاعنين شعر أتدرون سألوا لما رحلوا ماذا فعلوا أم من
قتلوا أحليف النوم أقل اللوم فعذاب القوم بهم شغل أذن
حزن عن لم يبق معن قلبا فعن منه أن يخلوه فلقد بتلوا خشن
نهبوا كمدن وهبوا كبدن نبلوه لما ذرفت عين وقفت أشرب
عرفت بأن الأبل ولجا اللاحق وهو الصاحب وهم راحل وأنا
النازل آخر المجلس الرابع عشر وأسأل الله رازق البشر أن يمن بدوام
العافية وتمام النية ومتابعة الكتاب والسنة وتوبة من الذنوب ماحية
مقتضية الحسن الخاتمة وأن يوفق لاغتنام ما بعده فإنه العدة
من كل شدة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الجليل والحبيب
والخليل وعلى آله وصحبه من كل بكرة وأصيل فإن الله تعالى بالفضل الأوفى
لمن اعتمد على كرمه يجمل وهو حسبي ونعم الوكيل علقه لنفسه ولمن شاء الله
من بعده أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحصني الحنفي عامله الله بجميل لطفه
الخفي وغفر له ولوالديه وذويه وأقربيه ولمن نظر فيه ودعا لهم بالرحمة

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لامرأة. والله لأشوينك. قالت والله ما أنت على
ذلك بقادر. قال وكيف. قالت أتستطيع أن تنزع من الإسلام. قال لا. فقالت والله
ما يشوون غيره. قيل لابن عمر إن فلانا يزعم أنه يوحى إليه. قال صدق قال الله عز وجل
وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم. قال الأصمعي سمعت المأمون يقول ما قطعني أحد
إلا ثلاثة أنفس منهم أم الفضل بن سهل فإني دخلت عليها وقد قتل الفضل وهي تبكي
فأحببت أن أقطعها عن البكاء. فقلت لها أما ترضين إن مضى الفضل لسبيله أن أكون لك
مكانه. فقالت إن ابنا أكسبني ولدا مثلك لحقيق أن أبكي عليه. فقطعتني. وأتي بمتنبي
إلي قد ادعى أنه موسى بن عمران فقلت ألق عصاك حتى نعلم أنك صادق. فقال إنما ألقي
عصاي حين قال فرعون أنا ربكم الأعلى فقل كما قال حتى ألقي عصاي. فقطعني. والثالث
أني قعدت يوما للمظالم فتقدم أهل الكوفة. فقلت لا تكثروا علي وليتقدم واحد يتكلم
فاختاروا شيخا فقلت تقدم. فقال أصلحك الله. ولي علينا رجلا ظلوما غشوما قد أفقرنا
وأعطبنا. فقلت له كذبت على عاملي. وقلت العامل ليس هو كما ذكرت بل هو عندي ثقة أمين
عفيف الطرف والفرج. فقال الشيخ صدق أمير المؤمنين وكذبت أنا. فينبغي إن كان عاملك
عدلا وأنت ولي الأمر أن تصرفه في البلاد ليأخذ كل قوم من عدله وعفته وصلاحه بقسطهم
كما أخذنا نحن منه. وولّه على ناحية بعد ناحية. ولا تدعه على بلدة واحدة. فغلبني الضحك.

الباب

بسم الله الرحمن الرحيم **المجلس الخامس عشر** في قوله تعالى فلما قضى
موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا الآية
الحمد لله الذي أنبع من عيون جفون الباكين من خشيته عيونا غزارا
وأجرى من قلوب الأحباب من الوله والشوق جداول وأنهارا وصبّ درر
أسرار أفكار المريدين من الوجد والتوق أنوارا وأنبت في صحصاح بطاح
انشراح صدور المحققين من أزهار التوكل والإخلاص والتواصل والاختصاص
آثارا وأمطر عليها من عجائب سحائب غرائب مواهب كرمه ونعمه غيثا مدرارا
فانبعث الأزهار وأورقت الأشجار وغردت الأطيار على أفنان الأغصان
بالتسبيح سرا وجهارا وقام الورد يثب على الجلنار ويفتخر افتخارا وأشارت
الشقائق إلى النسرين والبنفسج بحسنه ورتبته وبكت بدمع يتحدر انحدارا
فسبحان من أنعم بنعمته وجاد برحمته على كافة بريته فاعتبروا يا أولي
الأبصار اعتبارا فأجرى أنهارا وأنبت أشجارا وحصل منها من أنواع المطاعم
والثمار والحبوب والألوان والمنافع والأدوية ما يجب شكره على العباد
ليلا ونهارا أخرج موسى من مدين والشوق لأنه قد ذكر من قبلها جارا
فاقطعه للإقامة وخصه بالنعمة وأقام له منارا فقال من لم يزل واحدا قهارا

فلما

فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا **أحمده** على
نعمه إعلانا وإسرارا وأشكره شكرا يدر النعم إدرارا وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنطق بالتوحيد إقرارا مصدق
بقلبه طوعا واختيارا وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله
وحبيبه وخليله وأمينه ودليله الذي استخلصه من نبعة العرب نجارا
وحباه أنوارا أبهر من القمر وأعلى مقدارا صلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وأصحابه الذين نهجوا آثارا وبذلوا إيثارا وصفوا أسرارا وكفوا
شرارا ونفوا أضرارا وعفوا مرارا وعلوا مقاما وشفوا أسقاما ورعوا
ذماما وحموا ذمارا صلاة تزيدهم شرفا وفخارا وتقيم لهم يوم القيامة
منارا وتعيذهم من الكرامة صنوفا وأطوارا وسلم كثيرا **شعر** ولما وردنا
جانب القدس زوارا وقد أشعل التوحيد من القلب أنوارا ولاحت لنا
شمس الحقيقة من الدجى فأثرت على النفس النفيسة آثارا ونادى بطور
القلب هاتف جبه ليقتبس المدعو من قربنا نارا نزلنا عليه وهو في
دار حبه يرجع ألحانا ويضرب أوتارا ويتلو بالإنجيل من أهل
جيله ويقرأ توراة لمن ضل أو جارا كأن مقامات المعارف ملكه

فبتنا بها نرجع الحمد إقراراه فلذنا به نبتاغ منه مداناته ونلتمس اعطاما
من الدهر أجاراه فقال لنا من أنتم لا عدمتم فقلنا إن إكرام المزور لمن
زاراه فقلنا أتينا نبتغي منك خمرة تحامى الألبا وتدهش أفكاراه ونادم
وخذ ما شئت منها فإننا أتيناك والمحبوب لم يدر ما داراه فقال لنا عندي
بقايا مدامة وقد عمرت قبل الملائك أعماراه بها هام شيث الروح من روح
آدم فنعمه الناس وأسكنه الداراه وخصصه بالقرب منه كرامة وصيره
ما بين أملاكه جاراه ومن أجلها نوح أطال نواحه وبرهام من دن
التصابي بها داراه وصعق ابن عمران لما كان فاعلموا إلا من شاها غادر
القلب طياراه وأحيى بها الأموات عيسى ابن مريم والمظهر دين الحجب
من الأرض إظهاراه والبس خير الخلق منها ملاءة فنجحها بين الأصابع
أنهاراه فما نعقدها حتى مهد رق صفا أنكم فقلنا الغنا عنا جهارا وإسراراه
فهيم إعجابا وجاء بقهوة تروح لها الأرواح حسا وإنباراه ولاح لنا
الساقي تنزه وجهه عن المثل والتشبيه قدرا وأكباراه فقال لنا
أهلا وسهلا ومرحبا فأنتم عندي كراما وأبراراه ألا فاشربوا كاسا
من الود مترعا حباكم به رب تعالى جباراه فغبنا به عن كل فان ومحدث

وامره

ومن هام بالتشكاب لم يلحظ الداراه اعلم أن أربعة نفر خرجوا لأربعة
أشياء، يوسف خرج للبرية فوجد العبودية، وبلقيس خرجت تنظر
ملك سليمان فوجدت معرفة الرحمن، وطالوت خرج بطلب الحمار فوجد
الملك والنصر على الكفار، وموسى خرج ليقتبس النار فوجد كلام الملك
الجبار، خرج للاصطلاء فوجد خلة الاصطفاء، وكان معه في تلك
الليلة زوجته وأمانته وبغيته وإبانته، فاشتدت الظلمة على الخلق،
وأصاب زوجته الطلق واشتد البرد وثار، فطلبت منه النار فضرب
حجر زناده والشوق يلهب من فؤاده، فشح الزناد بناره ليظهر
أثر فقره موسى واضطراره، فصار ينظر وقد اشتدت عليه الأمور
فلاح له الإشراق من الطور، فسار وهو يرى أقتبس منها غاية المنى فما
وصل إلا وقد أدركه الغنا، فنودي يا من قصد بأمرنا لنا، إنني أنا
الله لا إله إلا أنا شعر من المعنى أيها العبد كن لما لست ترجو منك أرجى
إلى الذي أنت راجيه إن موسى مضى ليقبس نارا من ضياء رآه والليل
داجه فأتى أهله وقد كلم الله وناجاه وهو خير مناجيه وكذا الكرب
كلما اشتد بالعبد دنت منه ساعة الانفراج فعند ما سمع كلام ربه.

كثر خفقان قلبه. ولما بدت منه الغيبة، شغله بذكر العصا عن الهيبة.
أحضر ثم بعثك. وما تلك بيمينك قالوا ما الحكمة في قوله، وما تلك
بيمينك، ولم يقل بيدك قيل ثلاثة أقوال الأول كان في يسار موسى
خاتم، فلو قال وما تلك بيدك لأشكل عليه الجواب. الثاني أنه ذكر اليمين
لفضيلة أصحاب اليمين. الثالث كانت عصاه بيمينه. لما جعل عصاه بيمينه
صارت له شرفا وفضيلة، كذلك من أعطي كتابه بيمينه. نال درجة عالية
جليلة قالوا ما الحكمة في أنه سأل عن العصا وهو عالم بها قيل ثلاثة أشياء؛
أحدها. إرادة تعليم العالمين كيف يتربون التلامذة للسؤال وينبهونهم
عن التعليم. الثاني بين رحمته للعاصين كأنه يقول سألت موسى عن
العصا وأنا عالم بها. وكذلك أسألكم يوم القيامة عن الذنوب وأنا عالم
بها فلا تخافوا. الثالث تحير موسى عليه السلام من هيبة الكلام فشغله
بسؤاله لما استأنس عن العصا من ذلك المقام كما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال لما كانت الليلة التي أسري بي ووقف جبريل من مقامه
وغبت عن تحية كل ملك وكلامه. وصرت بمقام انقطع عني فيه الأصوات
وتساوت عندي الأحياء والأموات اضطرب قلبي وتضاعف كربتي

فسمعت

فسمعت منادياً يناديني بلغة أبي بكر قف يا محمد فإن ربك يصلي قال
فتعجبت واشتغلت عما كنت فيه. وقلت كيف يصلي ربي وإنه لغني عن
الصلاة لأحد، وكيف يبلغ أبو بكر هذا المقام. فقال الله عز وجل يا محمد
أنا الغني أن أصلي لأحد وإنما صلواتي أن أقول سبحاني سبحاني. اقرأ
يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور
صلواتي رحمة لك ولأمتك. وأما سماعك صوت أبي بكر الصديق فإن
أخاك موسى لما جاء جبل الطور وعاين ما عاين من عظيم الأمور
أذهله ما رآه عما يلتفت إليه. فشغلته عن الهيبة بذكر أحب الأشياء
إليه وهي العصا فقلت وما تلك بيمينك ولما كان أبو بكر أحب الناس
إليك خلقت ملكاً يناديك بلغته وكلامه ليسكن ما بقلبك من
الرعب وليتيسر ما يلقى إليك. فقال موسى ولي فيها مآرب أخرى في
اختصار الكلام قيل كان له فيها ألف معجزة. وقال وهب بن
منبه لما عمد موسى نحو النار التي رآها وانطلق نحوها فلما وصل
إليها رأى ناراً عظيمة تخرج من جذع شجرة خضراء. شديدة الخضرة
يقال لها العليق لا تزداد النار فيها إلا اضطراما ولا تزداد

الشجرة مع كثرة البريق الأخضر وشعاعًا. فلما رأى ذلك من أمرها تعجب
ولم يدر ما يصنع أمرها عليه. إلا أنه علم أنها يمنعها من الاحتراق إلا شدة
خضرتها وكثرة مائها. فوقف يرجو أن يسقط منها شيء. فلما طال
ذلك عليه أخذ ضغثًا من الحطب الدقيق وأهوى ليقتبس منها. فمالت
عليه كأنها تريده. فما زال يفعل ذلك مرارًا إلى أن خمدت واستترت
في الشجرة حتى كأنها لم تكن قبل ذلك. فزاد تعجبًا وصار يطوف
بالشجرة يمينًا وشمالًا. وقال إن لهذه لشأنًا. ووضع أمرها على أنها مأمورة
أو مصنوعة. إلا أنه لا يدري بآمرها ولا من أمرها. ووقف متحيرًا
لا يدري أيرجع أم يقيم. ثم نظر فرعها فإذا الخضرة ساطعة. تشق
ذوائب الظلم. ثم لم تزل الخضرة تنبسط وتبيض حتى عادت نورًا
ساطعًا ما بين السماء والأرض لها شعاع كشعاع الشمس تكل دونه
الأبصار. كلما نظر إليها تكاد تخطف بصره. فخمر عينيه ولصق
بالأرض. فاشتد رعبه وطار قلبه. وسمع دويًا لم يسمع السامعون
مثله. فلما اشتد عليه الأمر وكاد عقله أن يخالطه. نودي يا موسى
فأسرع الإجابة استئناسًا بالكلام. وجعل يقول لبيك لبيك. سمعت

كلامك

كلامك. يا من لا يقال أين. ولا يعرف بين. اعتمادي من كل أموري
عليك. رب أدن أنظر إليك. قال أنا فوقك. وعن يمينك. وعن
شمالك. وخلفك. وأقرب إليك من حبل الوريد. يا موسى إني أنا الله رب
العالمين. وقيل إن إبليس عرض له عند انصرافه. وقال يا موسى أهذا
الذي يكلمك ربك أم غيره. فقال بل هو ربي لا إله إلا هو. قال ومن
أين تدري ذلك. قال أعرفه بأربعة أشياء. أحدها. أن كلام البشر
يسمع من جهة واحدة. وهذا أسمعه عن اليمين والشمال والأمام
والخلف. الثاني أن كلام البشر هو بصوت له حروف تنقطع. وهذا
لا حرف له ولا ينقطع. الثالث أن كلام البشر يسمع من الأذن. وهذا
كلام صارت كل جارحة مني له أذنًا. الرابع. أن كلام المخلوق لا يوجد
له دهشة. ولا طرب. وهذا قد أدهشني وأطربني. شعر. من المعرب ۝
الخيام الخيام وسط الوهاد. لاح النار من ذرى الأطواد ۝ هذه
الدار فالتمس يا خليلي منزلًا بين نخل ذاك الوادي ۝ وتحسس من
تلكم بيت ليلى هل أقاموا على صحيح الوداد ۝ فلكم ليلة أتيت إليها
وظلام الدجى على الكون بادي ۝ عندما أسفرت سنا أضياء. دونه

الشمس إذ تلوح بنادي ٥ وودعتني لها فصارت عطايني شمعًا مصغيًا تجيب
المنادي ٥ عجب العاذلون من فرط شوقي للحبيب قراره من فؤادي ٥
وأنا كالغريق من لج بحر يكثر الشرب وهو ظمآن صادي ٥ يا أهيل
الحمى ملكتم قلبي وسلبتم تصبري ورقادي ٥ وتركتم صبابتي ولوعتي
وحنيني وغربتي وسهادي ٥ كلما تفعلونه بي وشوقي لا أبالي إذا تكونوا
مرادي ٥ يروى أنه كان بالقرب من موسى عليه السلام منقصبة فلما سمعت
كلام الله اكتسبت الحلاوة التي فيها السكر وأما القصب الفارسي فكان
بعيدًا فلم يسمع ولهذا تراه ينوح على نفسه طول زمانه لحرمانه فصل
في رؤية الله سبحانه وقد أجمع أهل الكتاب والسنة على جوازها
ووجوبها ولهم أدلة من الكتاب العزيز صريحة ومن السنة النبوية
صحيحة مع أن العقول تجيز ذلك وتقرره وتعرفه ولا تنكره فأما
الكتاب العزيز ففيه عشر آيات فاخرة تدل على رؤية الرب سبحانه
من الدار الآخرة أولها قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب الثانية
قوله تعالى الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم الثالثة قوله تعالى فمن
كان يرجو لقاء ربه الآية الرابعة قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم

الخامسة

الخامسة قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم الآية السادسة قوله تعالى
تحيتهم يوم يلقونه سلام السابعة قوله تعالى في حق الكفار كلا إنهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون الثامنة قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى
وزيادة قال أكثر المفسرين الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى الله
سبحانه روى القاضي أبو الحكم منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي
رحمه الله في كتابه المسمى بشرح غريب القرآن ومعانيه وأحكامه واختلاف
العلماء في حلاله وحرامه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الزيادة النظر
إلى الله عز وجل بعد دخول الجنة وقد ورد ذلك عن أبي بكر رضي الله عنه
يومئذ هذا ما رواه مسلم في صحيحه وأبو عيسى الترمذي في جامعه من
حديث صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا
دخل أهل الجنة الجنة لفظ الترمذي نادى مناد إن لكم عند الله موعدًا
قالوا ألم تبيض وجوهنا ولفظ مسلم قال يقول الله عز وجل تريدون
شيئًا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا
من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر
إلى ربهم عز وجل شعر كشف الحجاب عن الحجاب الأعظم فسلبت

حال تعقل وتنهي ه وادير كاسات العتاب الذي يرد الشراب
على الحشا المتضرم ه فشربت ثم طربت ثم ولهت من مبادي عالم
عشقي وتيتمي ه وتعبت مع مجون علوم تحققي وفنيت عما ثبات
رسمي توهمي ه فالقلب بين فنائه وبقائه. غرضا اقيم لصائبات
الاسهم ه يا مدعي حل الرموز عن الكنوز ابن والا فاسمع وتفهم ه
ما العشق ما المعشوق ما اوصافه. يا منكر العشاق لا تتشتم ه وحن
وجرد ثم غص بحر الغنا تحظ بدر تبيانه المنتظم ه التاسعة. قوله
تعالى لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد. العاشرة. قوله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال العلماء. الاول بالضاد الساقط
من النضارة. وهو الاشراق والحسن قال الزجاج من باب فعلت
وافعلت بمعنى واحد. يقال نضر الله وجهك وانضره اي حسنه.
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم. نضر الله امرأ. سمع مقالتي فوعاها فاداها
كما سمعها. والثاني بالظاء. القائم من النظر بالبصر لا غير قال اهل السنة
ان تعدية النظر بالى من كلام العرب انما هو بمعنى النظر لا بمعنى الانتظار
كما زعمت المعتزلة الاشرار ومنه قوله تعالى اخبارا عن كليمه وصفيه.

موسى

موسى عليه السلام. انه قال حين سمع الكلام. وهو اني انا ربك
فاخلع نعليك. رب ارني انظر اليك. ولا يظن بهذا النبي الجليل
ان يطلب من الله ما هو مستحيل فانه لما اراد المتفرد بجلال ذاته.
المتوحد بكمال صفاته. المنزه عن سمات الحدث وعلاماته. المدعو الها
من ارضه وسمواته. المرجو لعبده من جميع حالاته. تفضيل موسى
في عصره على سائر مخلوقاته. واختياره لقربه ومناجاته. واصطفاه
على الناس بكلامه ورسالاته. انبسط فخرج عن دائرة البشر وطلب
ما لم يطلبه غيره من النظر. وقال وقد غلب عليه حبه. وقربه اليه
حبه. وطار من الاشواق قلبه. وكلمه كلاما اطمعه من رؤيته ربه.
رب انت الذي خلقتني ولم اك شيئا مذكورا. ورزقتني شغفا اليك
مشكورا. وربيتني صغيرا في حجر رعايتك. ونظرت الي بعين عنايتك.
وحفظتني بحراستك حين القيت في يمي. وكلاتني بحمايتك حتى
رددتني الى امي. وحرمت على المراضع حتى لا ابتغي طعمي
برضاع غيرها. ولا اتكدر على صفاء ورد خيرها. وعطفت على قلوب
اعدائي حتى ربتني تربية اولادهم ثم لطفت بي كبيرا اذ امتنني

من خوف قتل وزوجتني ابنة شعيب الذي نبأته قبلي، وحين رحلت
بها من عنده مختارا، ونهبت أطلب لها نارا، ناديتني يا أرحم الراحمين
ويا أكرم الأكرمين، من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من
الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين، ثم أرسلتني إلى فرعون
فاستنقذت منه بني إسرائيل، ومكرت لي به مكرا أحل به العذاب
الوبيل، ثم أغرقته وجنوده حين كذبوني، وقهرتهم لي بعدما ظنوا أنهم
غالبون، شعر فلم وكم نعمة مجللة، ربيتها كان منك تولدها ۝ لكن أيادي
تابعة، أعد منها ولا أعدها ۝ رب وإنما يستكثر الكثير من البخيل، وأما
الكريم فكثير العطاء من جنب كرمه قليل، وكيف لا وأنت الذي خزائن
فضلك لا تنقص بزيادة النوال، وبحار جودك ليس له قرار ولا نفاد
ولا زوال، ولو أن أول خلقك وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد
واحد فسألوك فأعطيت كلا منهم مسألته لم ينقص ذلك من ملكك شيئا
إلا كما ينقص البحر أن يغمس فيه المخيط غمسة واحدة، فكيف لا يرجو
منك ابن عمران أن تنيله مقاصده، فأسألك بجودك الذي دلني
عليك، وفضلك الذي أقام السائلين بين يديك، وطولك الذي رغب

الآملين فبالديك، أرني أنظر إليك، فأتاه النداء من قبل ذي الجلال
يا ابن عمران ما الذي أوجب هذا البسط والإدلال، حتى طلبت ما يضيق
به صدرك، ولا يتسع له ذرعك، ولا يقبل فيه عذرك، من تمنى مشيئتك
أو ابتغى بغيتك وأمنيتك، ففي مكانك لترى من عجائب مخلوقاتي ما
يبلبل بالك، ويضعضع من ثباتك حالك، فأظلمت الأرض وارتفعت
الأصوات، واشتدت الرعود، ونزلت ملائكة سبع سموات في صور مختلفات
وأشكال غير مؤتلفات، وجميعهم زجل بالتسبيح والتقديس، والتهليل والتكبير
والتمجيد إنعاما للابسين، وهم أولو صور هائلة، وأصوات من الآفاق
جائلة، وهم ينادون يا ابن النساء الحيض يا الخبث ما لك وللنظر، ارجع
باللائق على ذاتك، ورد نظرك من جميع جهاتك، فنظر إلى كل جهة
من جهاته، فإذا بما خلق عليهم آثار طاعة الله وعباداته، لا يحصرهم
كتاب، ولا يحصيهم حساب، وكلهم على صورته وثيابه، يطلبون مثل
طلبه ويشكون مثل ما به، فأنشد عند ذلك بلسان حاله، معبرا عن بلابل
بلباله شعر كم قتيل بحبكم وأسير ۝ ومناد ببابكم مستجير ۝ رافع
قصة اشتياق إليكم، يا بني وحرقة وزفير ۝ داب جفنيه من الوجد

إن هجرتم فهجر نوم ووصل ذي عزيز ٥ كان ظني أن الفريد يجيء
لكم بانتكاث سر ضميري ٥ فإذا كل من رأيت بعيني من هواكم
مشاركي ونظيري ٥ ثم نودي لن تراني حتى ترى صاحب الشرع
الفاني في آخر الزمان وسيد ولد عدنان الذي أجده يتيما
فآويه وضالا فأهديه وعائلا فأغنيه وعلى البراق إلى السبع
الطباق أرقيه وإلى قاب قوسين أو أدنى أدنيه فلا تسأل يا ابن
عمران الرؤية في هذه المدة هي لغيرك قبلك وأنت بعده ولا
تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده قالت المعتزلة
في قوله تعالى لن تراني دليل على نفي الرؤية قلنا بل فيه دليل على
جوازها ولو كان كما ظنوا لقال لن أرى أو لست بمرئي وإنما
نفاها عن شخص مخصوص في وقت مخصوص ونظيره هذا إذا كان معك
حجر فيقول لك قائل أطعمني من هذا الحجر فما تقول له لا أطعمك بل
تقول الحجر لا يؤكل فلو كانت الرؤية مستحيلة كأكل الحجر لقال لن
أرى وقالت المعتزلة في قوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه
فسوف تراني الآية دليل على نفي الرؤية قلنا بل فيه دليل على جوازها

لأن تعلقه على ممكن يتصور وجوده ألا ترى أن الكافر لما لم يجز دخوله
الجنة علقه بشيء لا يتصور وجوده فقال تعالى ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط واعلم أن النظر جاء في الكتاب العزيز
على معان منها الاعتبار قال تعالى أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت
ومنها الانتظار قال تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله هل ينظرون
إلا أن تأتيهم الملائكة ومنها نظر العين قال تعالى إلى ربها ناظرة
لا جائز أن يكون النظر إلى الله بمعنى الاعتبار لأن الاعتبار
بالمصنوعات لا بالصانع ولا جائز أن يكون النظر إلى الله سبحانه
بمعنى الانتظار لأن الانتظار ينغص والجنة ليس فيها تنغيص
فانحصرت النعمة في رؤيته سبحانه بالأبصار في دار القرار ومن
قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة دليل على رؤيا
العين لأن الوجه ما واجه وفيه العينان قال تعالى قد نرى تقلب
وجهك في السماء أي عينيك فإنه كان صلى الله عليه وسلم يقلب
طرفه إلى جهة السماء لتلقي الوحي بسبب تغيير القبلة وأما السنة
النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام فهي أشهر من أن تذكر

وأكثر من أن تحصر. منها الحديث المتقدم ذكره. ومنها ما رواه الثعلبي
في تفسيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يتجلى ربنا سبحانه حتى
ينظروا إلى وجهه فيخرون له سجدا. فيقول ارفعوا رؤوسكم فليس
هذا يوم عبادة. وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: اللهم إني أسألك
النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا
فتنة مضلة. ومنها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث شيخ
بجيلة أبي عمرو ويقال أبي عبد الله جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.
قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنكم سترون ربكم عز
وجل لا تضامون في رؤيته. كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر. فمن
استطاع منكم أن لا يغلب على صلاة قبل طلوع الشمس ولا غروبها
فليفعل. أخرجه البخاري عن الحميدي عن مروان بن معاوية. وعن
مسدد عن يحيى القطان وعن إسحق بن راهويه عن جرير. وعن عمرو
ابن عون عن هشيم كلهم عن إسمعيل. وأخرجه مسلم عن زهير
ابن حرب عن مروان بن معاوية عن أبي بكر بن أبي شيبة. عن
ابن نمير وأبي أسامة ووكيع كلهم عن إسمعيل. وفي صحيح مسلم

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسا قالوا يا رسول الله هل
نرى ربنا يوم القيامة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون
في القمر ليلة البدر. قالوا لا يا رسول الله. قال هل تضارون في الشمس
ليس دونها سحاب. قالوا لا. قال فإنكم ترونه كذلك. وساق الحديث
إلى آخره. وفي الصحيح أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنكم
سترون ربكم يوم القيامة. كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته.
قال العلماء: معنى قوله صلى الله عليه وسلم كما ترون القمر أي لا يقع لكم
شك ولا يدخلكم ريب في رؤيته تعالى كما لا يقع لكم في الدنيا في
رؤية القمر ليلة البدر شك. وقيل أراد به استواءهم في النظر إليه
سبحانه. فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي. وقوله صلى الله عليه
وسلم لا تضامون في رؤيته. روي بثلاث روايات بضم التاء وتشديد
الميم وبفتح التاء مع تشديد الميم وبضم التاء وتخفيف الميم. فالأول
معناه لا تزاحمون مطلقا. والثاني لا تزاحمون أي لا ينضم بعضكم
إلى بعض وقت النظر. والثالث لا يلحقكم ضيم في رؤيته. أي مشقة.
وروي لا تضارون بالتخفيف والتشديد. ومعناه لا تخالفون.

أي لا يخالف بعضكم بعضًا فيقول واحد هو ذاك ويقول الآخر ليس
بذاك كما في رؤية الأهلة ويقال ضاررته مضارة إذا خالفته
ومنه تشبيب الضرة وقال بعضهم معناه لا تضايقون والمضارة
المضايقة والضراء الضيق وأصله أن لا تضاررون وأما بتخفيف
الراء فهو من الضير والضر يقال ضاره يضيره ويضوره إذا
ضره وفي الترمذي عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة
فقال أبو هريرة أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة
فقال سعيد أفيها سوق قال نعم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن
في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم
عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر
من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد
ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم من
دني على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي
بأفضل منهم مجلسًا قال أبو هريرة قلت يا رسول الله هل نرى ربنا

قال نعم قال هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا
قال كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجل
إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان
أتذكر يوم كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول يا رب
أفلم تغفر لي فيقول بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه
فبينا هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبًا
لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط ويقول ربنا قوموا إلى ما أعددت لكم
من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتي سوقًا قد حفت به الملائكة
ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب
فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى وفي ذلك السوق
يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا قال فيقبل الرجل ذو المنزلة
المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه
من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن
منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ثم ننصرف إلى
منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبًا وأهلًا لقد جئت

وإن يك من الجمال أفضل مما فارقنا عليه. فيقول إنا جالسنا اليوم ربنا
الجبار جل جلاله. ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا. شعر

أراك ترفل في الأثواب فرحانا. أطيب وصلك للأحباب فرحانا
وما لعطفك ميالا به خفر. وقد غدا طرفك اليقظان وسنانا
وقد تبخترت من عجب ومن صلف. وصار سرك للعشاق إعلانا
حدث فديتك عن جيران ذي سلم. ورد فؤادي تحقيقا وتبيانا
رأيت ثغر سعاد أم سمعت فمي. بسمع معناك من ألحانه ألحانا
أم شاء المسك سلمى فاعتززت بها. أم زينب أضرمت في الحي نيرانا
أم حسن ليلى تجلى إذ بدا قبس. من وجهها فرأيت النور إتقانا
أم غنت الورق في الأغصان من شجن. فبت من طرب في الحي نشوانا
أم النسيمات لما أن سرت سحرا. من أرض كاظمة وشوشن أغصانا
فقال ما تلك سعدى لا ولا قبس. منها بدا فاهتدى من كان حيرانا
من هنا من دعا من سلمى بذي سلم. من قبس ليلى ومن ليلاه لاكانا
لما دعاك الأحبة قد جلا قدحا. صرفا فدبنا وشعانيه ملآنا
وقد تجلى لنا جهرا وخاطبنا. بلا مراء وحيانا فأحيانا
وقال اطلبوا تملوا شاهدوا وأكرما. فقد منحناكم حسنا وإحسانا
نعم وجالسنا لطفا وآنسنا. وقد رضينا به حبا فأرضانا
فحق من شاهد الحق المبين بأن. يبيت منجذبا على الأكوان فرحانا
ويشرب بالذات قلبه فرحا. يجود بالنفس والأهلين شكرانا

ففي هذه الأحاديث أدل دليل على جواز رؤية الله الملك الجليل سبحانه يراه المؤمنون إيقانا. في الآخرة بأبصارهم عيانا فانظر يا أخي فهمك الله وإيانا عنه. معنى ما يرد علينا منه. كيف قال صلى الله عليه وسلم إنكم سترون ربكم. ولم يقل سترون الله. وإن كان الله سبحانه هو الرب كما قال سبحانه إن ربكم الله. وما ذاك إلا لشدة موافقته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل حيث قال إلى ربها ناظرة. فلا جرم أن الله سبحانه أثنى عليه ومادح بآية أثنى عليه منعوتها. فقال وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. أي كلامه لا يخرج عما أوحيناه إليه. وأنزلناه عليه. والحكمة فيه أن مقام الربوبية هو مقام اللطف والجمال. ومقام الألوهية مقام الهيبة والجلال. لأن الرب هو الذي يربي بيان ربه. بربه.

ربا إذا قام بصلاحه. والرب هو المبلغ كل ما أبدع حد كماله الذي
قدره له. فهو ينقل النطفة من الصلب ثم يجعلها علقة. ثم مضغة.
ثم عظاما. ثم يكسو العظم لحما. ثم يخلق في البدن الروح. ويجعله خلقا
آخر. وهو صغير ضعيف. فلا يزال ينميه وينشئه حتى يجعله
رجلا شابا. ثم كهلا. ثم شيخا. وهكذا كل شيء خلقه. فهو القائم
عليه. والمبلغ إياه الحد الذي وضعه له. وجعله نهايته ومقداره.
والرب المالك. قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل: رب إبل أنت
أم رب غنم. فقال: من كل آتاني الله فأكثر وأطيب. ويكون
بمعنى السيد. قال تعالى: اذكرني عند ربك. أي سيدك. ويكون بمعنى
الصاحب. رب الدار أي صاحبها. ويكون بمعنى المربي تقول العرب
رب يرب ربابة وربوبا. فهو رب. وقد يكون بمعنى المصلح للشيء.
وهذه كلها صفات الله عز وجل. ولا يقال للمخلوق الرب معرفا.
وإنما يقال على الإضافة. هو رب كذا. لأنه لا يملك الكل إلا الله
سبحانه. والألف واللام يدلان على العموم. فحضرة الربوبية
غير حضرة الإلهية. فلذلك افتتح الحق سبحانه كتابه العزيز.

بالحمد

بالحمد لله رب العالمين. واختتم بقوله قل أعوذ برب الناس. ملك الناس.
إله الناس. أمر الله سبحانه عباده بالتعوذ بهذه الحضرات. والتمسك
بها في جميع الحالات. لعجزهم عن معرفته. ولرغبتهم في رحمته ورأفته.
فمن عدم معرفة ربه عدم أنسه. ولا يعرف ربه إلا من عرف نفسه.
قال تعالى: لقوم يتفكرون. وفي أنفسكم أفلا تبصرون. ويكفيك
أيها الصديق من الأنموذج هذا القدر. فإن معرفة ذلك لمن يسلك
سبيله. وهو بحر لا ساحل له. الأثر: إن الله سبحانه خاطب عباده
في الذر بقوله ألست بربكم. فقال ضعف غاية العبودية إلى قوة صفة
الربوبية. فقال آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا. وقال نوح
عليه السلام رب إنهم عصوني. رب لا تذر. رب إن ابني من أهلي.
رب اغفر لي ولوالدي. والخليل عليه السلام قال رب أرني كيف
تحيي الموتى. وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين. وقال رب هب
حكما. وسليمان عليه السلام قال رب اغفر لي وهب لي ملكا. وقال
رب أوزعني. ويوسف عليه السلام قال رب قد آتيتني من الملك. الآية.
وموسى عليه السلام قال رب أرني أنظر إليك. رب إني لما أنزلت إلي

الآية. وأمة محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: ربنا لا تؤاخذنا. الآيات. فمثل
لانتهائهم المطمئنة. يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك. إشارة إلى
رجوعها إليه من حيث لطف الربوبية التي ما قطع عنهم عوائدها. ولا
حبس عنهم فوائدها. فمن فهم هذا أعني فقد ظفر بالتي وصل بالمعنى
ورفض الصورة والمعنى. شعر: لاح برق بالأبرق الفرد وهنا جدد
الوجد للمشوق المعنى ۝ نحن قوم نسكر بخمر التصابي كيفما دار ب
الزجاجة درناه ۝ وعلى ملة الغرام خلقنا بالقوس لما سمعنا عشقناه ۝
وتجلى ذاك الجمال علينا بالقوس لما نظرنا سلبناه ۝ وفهمنا سر الغرام
فلما أن فهمنا سر الغرام فهمناه ۝ يا بديع الجمال يا أوحد الحسن إنا من
براك من كل معنى ۝ إن تجليت كان طور كذا إني أو تحجبت كانت
الحجب منا ۝ إنما هي إليك من قبل خلقي خلي من حديث سعدى ولبنى ۝
وذهب المعتزلة. وأولهم واصل بن عطاء الغزال اعتزل الأمة.
فسمي معتزليا. وسميت المعتزلة به. قال الإمام عبد الكريم الشهرستاني
رحمه الله في كتاب الملل والنحل له: إن واصلا هذا كان من أصحاب
الحسن البصري وإن رجلا سأل الحسن عن المؤمن إذا فعل الكبيرة.

معتزلة. إلى أنه سبحانه لا يرى واستدلوا بقوله تعالى لا تدركه الأبصار.
والجواب عنه: أن الرؤية غير الإدراك. لأن الإدراك هو الإحاطة
بالشيء من جميع جهاته. بيانه قوله تعالى حتى إذا أدركه الغرق. أي أحاط
به. والإدراك محال في حقه من جهة الجلال. تعالى عن التماثل. ولا يحيطون
به علما. والرؤية لا تفتقر إلى أن يحيط الرائي بالمرئي. ويحتمل أن
تكون مختصة بالدنيا. قالت المعتزلة: يعني لا ترى ربنا. قلنا: ممنوع.
كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. وهذه الآية من أدل الدليل على
جواز رؤيته سبحانه. لأنه لا يخلو إما أن يكون الكل محجوبين فلا
فائدة من إعلام الله سبحانه أن أعداءه محجوبون. فدل على أن أولياءه
ليسوا محجوبين. لما أنكر المعتزلة الرؤية أحرمهم الله إياها. وكذا
لما نفوا الشفاعة حرموها. نسأل الله العافية. ولم يرد عن أحد
من الصحابة رضي الله عنهم خلاف في جواز رؤية الله سبحانه. وأما
العقول فأجمعت على أن الله تعالى موجود. والموجود جائز الرؤية.
ولقد أحسن من قال شعر: من كان يزعم أن خالقه الذي فطر البرية
مستحيل أن يرى ۝ فالشرع يمنع قوله ويرده ۝ والنقل يشهد أنه

تشتاقون ربكم إذا حشر الورى ○ أما أنا مشتاق أن أرى ربي ولبث
مثالين مثل بدر ○ فقد ثبت جواز الرؤية من الكتاب والسنة وإجماع
الصحابة رضي الله عنهم وأهل العقول وهذه بعض حكايات الصالحين
والمشايخ المتورعين في نظرهم رب العالمين على سبيل التبرك والاختصار
لا على سبيل الإطناب والإكثار فمنها ما حكاه الإمام عبد الحق الإشبيلي
في كتاب العاقبة له عن قبيصة بن عقبة قال رأيت سفيان
الثوري في المنام فقلت ما فعل الله بك قال نظرت إلى ربي
كفاحا فقال لي هنيئا رضاي عنك يا ابن سعيد ○ لقد كنت قوّاما
إذا أقبل الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد ○ فدونك فاختر أي قصر
تريده ○ وزرني فإني منك غير بعيد وحكى أيضا في العاقبة أن أحمد
ابن محمد الكندي قال رأيت أحمد بن حنبل في النوم فقلت له يا أبا
عبد الله ما فعل الله بك فقال غفر لي ثم قال يا أحمد ضربت فيّ ستين
سوطا فقلت نعم يا رب فقال هذا وجهي قد أبحتكه فانظر إليه شعر
هذا إحساني عليك قد ظهرا ○ يا من بحب نبي الورى اشتهرا ○ فاسمع وطب
وأشهد الجمال وغب ○ وتمتع النفع منك والنصرا ○ واشرب كؤوس

نبيلا فقلت من أين يا أبا نصر فقال من عليين فقلت ما فعل أحمد
ابن حنبل قال تركته الساعة مع عبد الوهاب الوراق بين يدي الله عز
وجل يأكلان ويشربان قلت فأنت قال علم الله قلة رغبتي في
الطعام والشراب فأباحني النظر إليه ولما حضرت الوفاة أبا علي
الروذباري كان رأسه في حجر ابنته فاطمة ففتح عينيه ثم قال هذه
أبواب السماء فتحت وهذه الجنان زخرفت وهذا قائل يقول
يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم قال وحقك
لا نظرت إلى سواكا بعين مودة حتى أراكا ○ وكان رحمه الله يعبد
الله لذاته وكان يقول لا أريد الجنة ونعيمها إنما أريدك يا رب وكانت
رابعة العدوية رحمها الله تقول إذا طاب وقتها إلهي طال شوقي إليك
فعجل بقدومي عليك ثم تقول يا إلهي وسيدي ورجائي طال شوقي متى
يكون لقاكا ○ ليس حظي من الجنان نعيم ○ غير أني أريدها لأراكا ○
وكان الربيع بن أبي راشد يقول وعزته وجلاله لولا ما وعد
المحبين بأن يرفع لهم الحجاب حتى يروه كالقمر ليلة تمه
لتمزقت أكبادهم شوقا إليه ولذابت قلوبهم من شدة الأسف عليه

مشتاقاً اليه. ويعيش عند لقائه من مات من أسف عليه. وكان علي بن الموفق
يقول اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفاً من نارك فعذبني بها. وإن
كنت تعلم أني أعبدك حباً مني لجنتك وشوقاً اليها فاحرمنيها. وإن
كنت تعلم أني أعبدك حباً لك وشوقاً الى وجهك الكريم فأبحنيه
واصنع بي ما شئت. شعر هذا الكلي بحبكم مشغول. والقلب ينزع شوقكم
متبول ۝ والروح بسيف هجركم مقتول. أنتم قصدي ومنيتي والسؤل ۝
وعزة العزيز ما اشتاق القوم الى الدار لولا رؤية الجبار. ولا حنوا
الى المنازل لولا رؤية النازل. شعر أحن الى الخيام بأرض نجد. وأشتاق
الذين بها حلول ۝ وأصبوا ما حييت بحي ليلى كما يصبوا الى البرء العليل ۝
إذا دخل الولي الجنة تستقبله الحور العين فيقول إليكم عني فيبادر
اليه الولدان فيقول ما لكم اليوم خطرت فتناديه السرر على على
والأرائك تقول الي الي والأشجار تتهدل عليه وتتعلق بأذياله. وهو
هارب من الكل كالواله. لا يلتفت الى الاقبال عليه والإقدام. ولا يطلب
الا قدام. فإذا أبصرت منه خدام الجنان ووصل الى مقام الرضى
والرضوان تلقاه الحبيب بالترحيب وباداه وناداه. يا من لم

تهت بطيب لذات التلاقي فعرفت كأنها ثملا وتجلى ۝ فطيبا يا عاشقين
واشرب مدامي فأنت لشربها قد صرت أهلا ۝ قال عمرو بن مالك
رحمه الله كانت بيني وبين علي الشامري مواخاة في الله. فقدمته.
فلما قبض كنت أتمنى أن أراه في المنام فلما كان بعد مدة. سألت
الله في ذلك وتضرعت وابتهلت فرأيته ليلة عند الفجر على أحسن
حالة. وأتم هيئة غير أنه غمض إحدى عينيه فقلت يا أخي فارقتنا
وما بعينك هذه يا أخي فما سبب تغميضها. فقال كنت ليلة من
الليالي أقرأ كتاب الله عز وجل فمررت بآية وعيد فبكيت بعيني
الواحدة وأمسكت الاخرى فلما أفقت من حالي قلت لها ما
بالك لم تساعدي في البكاء فوحق محبوبي وعزة مطلوبي لتبقين
أيا جفني مولاتي منه مثابي إذا قدمت عليه لأحرمنك النظر اليه.
فلما أوقفت محبوبي بين يديه وأوصلني بكرمه اليه قال لي يا علي
يا شامري ها أنا ناظر اليك متجلي عليك فتمتع بالنظر الى وجهي
الكريم وتنعم بهذا النعيم المقيم. فقلت هذا أوان الوفاء بالعهد
وصدق صحة العقد. فامتنعت النظر وجلت وغمضتها وفاء بما قلت

غضضتها يوم القيامة. وقال بعضهم: رأيت في البرية غلاماً متعبداً فسلمت
عليه. وقلت له: يا من أنت في هذا المكان بلا رفيق ولا معين. فقال: هو رفيقي
بعزته ومعي بعلمه وحكمته. وبين يدي بهدايته. وعن يميني بنعمته. وعن
يساري بعصمته. قلت له: هل لك في الرفقة. فقال: هيهات تريد أن تشغلني
عن خدمة ربي. ثم ذهب فتعلقت به وقلت: يا أخي متى أراك فتبسم. وقال
أما بعد يومك هذا فلا تحدث به نفسك في الدنيا. ويوم القيامة تجمع فيه
الناس فإن كنت من المتقين فاطلبني في جملة الناظرين إلى الله سبحانه.
فقلت: ومن أين لك ذلك. قال: بوعده الصادق. وذلك أني غضضت
طرفي عن المحرمات. وخلوت بخدمته في الليالي المظلمات. ومنعت نفسي عن
منازل الشهوات. وجانبتها عن الهفوات. ثم غاب عني فما رأيته. فإذا علم
العبد أن الله سبحانه يعلم جميع أحواله. ويسمع ويبصر سائر أفعاله وأقواله.
سهل عليه ما يقاسيه من مواصبه. قال الله تعالى قولاً ثبيتاً: فاصبر لحكم ربك
فإنك بأعيننا. أي ليس هذا حكم غيره فيشق عليك. بل هو حكم سيدك
المريد إحسانه إليك. والمقبل بوجهه عليك. وقد قيل شعر: وخفف
عني ما ألاقي من العنا بأنك أنت المبتلي والمقدر. وما لامرئ عما قضى الله

يوماً من الأيام ثم تنظر إلى الرقعة. وتباعد قليلاً. وسقط ميتاً. قال
فأتيت إليه وأخرجت الرقعة من جيبه. فإذا فيها: واصبر لحكم
ربك فإنك بأعيننا. شعر: بعينك ما ألقى من البث والبلوى
فعلمك أغنان عن الشرح والشكوى. وقد أنحل البين المشتت
مفاصلي. وصبري من قد ضنيت به نضوا. أقلب طرفي في الوجود
فلا أرى سوى من برى قلبي الذي من السلوى. وحقك ما أغنى بما فيك
بالبين إذا كنت ترضاني فقد صحت الدعوى. وما أشهد الأكوان
شهيدة لعلي عن العشق أشاهد من أهوى. قال أحمد بن أبي الحواري
رحمه الله. دخلت على أبي سليمان الداراني رحمه الله. فوجدته جالساً
يبكي. فقلت له: يا أستاذ ما الذي أبكاك. فقال: يا أحمد إذا جن الليل على
المحبين صفوا أقدامهم. وأجروا دموعهم على خدودهم. أشرف الحق
سبحانه عليهم. ونادى يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح إلى
مناجاتي. أنا المطلع عليهم. أسمع حنينهم. فنادهم يا جبريل ما هذا
الجزع الذي أراه فيكم. هل أخبركم مخبر أن حبيباً يعذب حبيبه
بالنار. فبعزتي حلفت لأجعلن هديتي لهم إذا وردوا علي يوم

القيامة أن أكشف لهم عن وجهي الكريم أنظر إليهم ويتنظرون إليّ أفتلومني
يا أخذان يكبت على تخلفي عن هؤلاء القوم فواعجباه واحرباه ممن
يعصي مولاه ولا يشكره على ما أولاه ولا يستحيي ممن يراه وهو يعلم أنه
يشهده ويراه ويسمع قول الله الودود ألم يعلم بأن الله يرى وقول العزيز
الغفور يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ومع ذلك فالكريم يحلم
عليه ويستره ويحسن إليه كما كان واخجلتي كم أعامل مولاي
بالذنب والجفا وهو يحلو يقابل إساءتي بإحسان وكلما اقترفت
جاني بكثرة الذنب جاءني وأصلح الحال مني في السر والإعلان
أخالف النصح جهدي بطول ميلي إلى الهوى بحملي الشقا بإخالف العصيان
وكلما ابيض شيبي تسودت وجه صحيفتي وقد رماني هواي من أسير ذل هوان
دهري وعمري ينقضي في التسويف واللوم والخطايا ديني ينقضي عن مدد الهجران
فهل ترى بعد طردي عن باب وصل أحبتي يواصلوا ويجودوا بالعفو والغفران
وهل تراهم يجودوا بالمن والعتق والرضى ويفتحوا باب وصلي ويمحو الغضبان
ما حيلتي قد ينقضي عمري وما ملكت المنى غير أني لربح الطاعة وإن إلى الخسران
ما بين هائم نائم يومي وليلي ينقضي والعين صائم قائم طول ليلتي سهران

فيا شباب الجهالة إلى متى هذا الجفا كم ذا عليكم يحفني ويكتب الملكان ويا كهول البطالة إلى متى هذا الكسل

والله وتالله وبالله يا أهل الكسلات ويا شيوخ الضلالات أعماركم قد تصرمت أما آن أن تخشع قلوبكم أما آن

قوموا تعالوا إلينا نفتح لكم أبوابنا وكلما كان منكم عدنته ما كان
أشكو ذنوبي وجهلي إليك يا مولاي الودود ولست أنقطع عن بابك أرجوه يا
حنان فاستر عيوبي بحقك واغفر ذنوبي بأسرها يوما تطير الصحائف
وتنصب الميزان واجبر بحقك كسرتي وارحم خضوعي وذلي فأنت
أرحم راحم يا رب يا رحمن والحكايات في هذا الباب كثيرة غزيرة
ذكرنا منها ما ذكرنا طلبا لبركتهم ورغبة لاتباع سنتهم وسنتهم وقد
ختمت هذا الفصل بهذا الحديث الذي بشارت به الركبان وطابت به
نفوس الأحباب وهو ما خرجه الإمام الحافظ قطب الدين أبو العلاء
الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد العطار الهمداني رحمه الله
بسنده المتصل إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيامة تشقق القبور عن
قوم وخلع عليهم خلع الرضى وقدمت لهم النجائب على ظهورها قباب
الدر مفروشة بالعبقري فيقعدون عليها قصدا إلى الرحمن عز
وجل وهم الذين قال الله عز وجل فيهم يوم نحشر المتقين إلى
الرحمن وفدا أي ركبانا فيجاء بهم حينا يستبشروا ويأمرهم

إلى الجنة فيمشون وهم عطاف إلى الجنة فيتسلم لهم قصورهم وجواريهم وولدانهم وبساتينهم وأنهارهم

فلا إلى الحور ينظرون، ولا إلى الطعام يميلون، فتقول لهم الحور العين ما خبركم
فيقولون: إليكم عنا، فما عندنا ألذ لكم ولا لهذه الدار، فيبعث الله الملك
فيقول: الرحمن تعالى يقرأ عليكم السلام، ويقول: زوروني، فيركبون النجائب
ولحم النوق عقبان، فإن هزوها طارت، وإن هزوها سارت، فهم زائرون
سائرون إلى الله عز وجل، فيكشف لهم الحجب والسرادقات، فيقول: مرحبا
بعبادي، لا قرت عيون كانت من خشيتي من الليل تباكي، لا قبلن جنوبا
كانت للمنام تتجافى، لأجمعن أصواتا كانت لذي العرش تناجي، أطعموا
عبادي، فيقدم لكل واحد منهم مائدة من ذهب، على المائدة مائة ألف
صحفة من ذهب، على الصحفة مائة ألف لون، لكل من لونين طعم على الطعام
واحد، فيأكل كل واحد منهم مثل ما يأكل من الدنيا سبعين ضعفا، وفي
رواية: إن أهل الجنة يعطى كل واحد منهم قوة مائة رجل من المأكل
والمشرب والجماع، فيقول الرحمن: يا عبادي أكلتم، اسقوا عبادي، قال:
فتدور عليهم الكاسات شرابا لم يذوقوا في الجنة مثله، فيقول: أكلتم
وشربتم، فكهوا عبادي، فتأتيهم الملائكة بأنواع الفاكهة، فيقول الرحمن:
أكلتم وشربتم وفكهتم، اخلعوا على عبادي، قال: فيخلع على كل واحد منهم

ويشتد بنا سماع الكلام، نريد أن نرى الوجه، فيقول: نعم يا عبادي، فيضج
الملائكة بالتسبيح والتقديس والتحميد، فيقولون: نحن ملأ نجلك عند ما
من سمائك حق عبادتك لا نستطيع النظر إليك، فيقول: يا ملائكتي
اسكنوا، فطالما رأيت كرام وجوههم معفرة من التراب، وطالما
رأيت عيونهم تبكي من الظلام، وطالما رأيت أقدامهم تسعى إلى
المساجد، فحقيق علي أن أزيد أبصارهم قوة حتى يستطيعوا
النظر إلي، فيتجلى عليهم ربهم عز وجل، ويقول: أبشروا أبشروا يا
عبادي، فيخرون سجدا، فيقول الرحمن عز وجل: ارفعوا رؤوسكم
وانظروا إلى وجهي الكريم، وتلذذوا بسماع كلامي القديم. شعر
قد دارت الكاسات في ناديهم، وانتهض إلى الحان يغلب سلمهم ۝
وأشرب سلا فاسلسلا قرقفا، إنه كرم قد حلاها الكريم ۝ شربت
فسرت منه سرور يسرها، حيث فاحت كل عظم رميم ۝ فلذ الشيخ
بتذكارها، وأطربت على ذكر الكلام القديم ۝ ومزق الحجب وشاهد
نور جمال ساقيها الشيخ العليم. واعلم أن أهل المعرفة وإن وجدوا
وصال المعروف لا يجدون لذة الوصال إلا بعد سماع المقال، لا تخافوا

تعالى يا يوسف إني أنا الله رب العالمين الآية أن إخوة يوسف كلهم وصلوا
ولكن لم يجد لذة الوصال إلا بنيامين لأنه علم الوصال بقال التواصل له إني
أنا أخوك وذلك أنهم لما دخلوا عليه وكلموه أمر بإنزالهم على حسب ما تقدم
ثم بعد أيام ثلاثة أمر بطعام جليل مصنع ● وجعل على موائد عظيمة ●
ونصب الموائد أمام سريره ● ثم أمر بإحضارهم جميعا ● وأجلسوا على الموائد
من عز وشرف وكرامة عظيمة ● والولدان والوصائف وقوف على رؤوسهم
بأنواع الأشربة ● والوان الزينة الحسنة ● فلما أرادوا التناول قال الترجمان
إن الملك يأمركم أن يجلس على كل صحفة أخوان شقيقان من أب وأم
فأقيم كل أخوين منهم على مائدة ● وبقي بنيامين وحده لأنه لم يكن له
شقيق إلا يوسف فامتنع عن الطعام وجادت أجفانه بالدموع السجام
وجعل يبكي وينتحب ويقول واحسرتاه لفراقك يا يوسف ولم يدر أن الذي
يبكي لفراقه قد حضر القدر بنوءه وتلاقاه بشعر من المتن محتشم ● منه أدب
والأحشاء تحنو عليهم ● وأسرار قلبي باديات لديهم ● وقلبي وروحي ذا وذا في
يديهم ● ومن عجب إني أحن إليهم ● وأسأل شوقا عنهم وهم معي ● وتلحظهم
نفسي بعين ودادها ● ونجعل ذكراهم أجل مرادها ● ونشتاق لقيام
لقد ملكوا قلبي كما ● ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي ● وتبكيهم عيني وهم من سوادها ● وهم من فؤادها

لبث وذكرهم أنس لقلبي وسمعي ● وقد زاد شوقي بعدهم وتولعي
فوا عاذلي من الملامة أو دع ● فما الأيام تسمحت بالمطلع فيا عين
العبرات فيض بأدمعي ● ويا كبدي الحرى عليهم تقطعي ● بنا دنيكم من
جسمه صار كالهبا ● وأجفانه تحكي الأوادي والربا ● وما زال عما
قد عهدتم ولا صبا ● عليكم سلام الله ما هبت الصبا ● وما حن مشتاق
لإلف مودع ● قال فلما رأى يوسف حاله ● وسمع مقاله ● أشفق عليه وأقبل
بكليته إليه ● وقال مالك يا غلام تأخرت عن الطعام ● فقال أيها الملك
أمرتنا أن نأكل أخوين وكان لي أخ شقيق يسمى يوسف كانا أبوين
نفقدته ● ولا أدري أهو حي أم ميت فلما ذكرته الآن تجددت أحزاني
وتحركت أشجاني ● ثم صاح وصعق ● ووقع الصحفة في منزل يوسف
ما ظن إلا أنه قد مات أحد العبرانيين فنزل يوسف عن سريره
والبرقع على وجهه ورفع رأسه وجعله في حجره ● وأقبل يساعده
من البكاء حتى أفاق فقام يوسف وأمر الخدم أن يحملوه إلى
السرير حتى يجلس معه عليه فحملوه ووضعوه إلى جانبه ● ثم أمر
بإحضار مائدة من الذهب مرصعة بالجواهر واللآلئ فوضعت
بين يديها ● ثم أمر الخدم أن يحملوا من ألوان الأطعمة ما يليق بالملوك ● ثم قال إني أنا أخوك معناه
شاء الحب ● وفيهم تشاور عند البعد والقرب ● فصدرت لهم أعتق وأوجههم شهب وما بي تما شغفتهم

علي

ان يبيت منفردا فانا لك كالاخ فجعل ياكل معه فعظم ذلك على الاخوة وقالوا
انظروا الى ابن راحيل الاول يعني يوسف قال انتم تعدون وهذا اذا رجع
الى كنعان يفتخر علينا ويقول جلست على سرير الملك واكلت معه فاقبل يوسف
عليه وقال له يا فتى الك زوجة قال نعم قال ولك ولد قال نعم ثلاثة اولاد ذكور
قال فما سميت الاكبر قال ذيب قال ولم قال لان اخوتي زعموا ان اخي يوسف
اكله الذيب فانا احب ان اذكره قال فما سميت الثاني قال سميته دما قال
ولم قال لان اخوتي جاؤوا ابي بقميصه ملطخ بدم فانا احب ان اذكر ذلك الدم
الذي كان على قميصه قال فما سميت الثالث قال يوسف قال ولم قال لئلا يندرس
اسمه من بين شعر وكم بين رياض الحسن لي من نغاضة اسير بها بخواطر جيننا
واجهده اذا اتيحها بمجد من نغشي نشقها دموع من خد تندب ونقطره وهذا مصيف
حين يجي بالمنطق وهذا ربيع حين يهمي ونقطره اعلل نفسي ان حلت بروضة
تذكركم والشي بالشي يذكره فقلبي عليكم بالنه كر يسطون وعيني عليكم بالنحيل
تنظره اراني اراكم حيث كنتم بناظري وقلبي وانتم غايبون وحضره وما انتم
من بحيث اراكم ولكن قلبي عن حبيب الحبيب يبصره قال فاهتز يوسف لذلك
حتى كاد ان يصيح ويكشف السر ثم قال يا فتى قم الى البيت لاخلو معك فيه

فاعتنقا وبكيا وصحت الملايكة بالبكا وخر بنيامين ساجدا وغشي عليه
من الفرح ثم قال له اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون والتم
امرنا جرى بجمع الله بيننا واريد ان احبسك ولكنه مكيدة من ذلك
فلا تحزن فان مع العسر يسرا فقال بخروج بنيامين من عند اخيه وقد
امتلا سرورا وطربا فلما راه الاخوة فرحا قالوا له جلوت مع الملك
ويقولون هنيالك يا بنيامين ما الذي قال لك الملك قال وعدني
بخير ورايت منه ما هو اهله شعر ومن هو شيء قلب يذوب ودمع
جارن والجسم مثل الخيال الشارب لما تجلى الذي اهواه وشاهدت
مقلتي مراه تبعت على كل من سواه وتمت من عالم العيان مقام منت
عنش بالانوار انطمرت سترة الصوفيا وقال لا تكثر الكلونا فسوف
اتيك اليقينا وكن غيورا على اسراري لا تفشها لاحد من الاحباب
الكون كالمصحف المكتوب تدوير اسطر القلوب وفهم الاولى القلوب
فانظر اليه والتفت بما دار ببالمر الفعل والافعال منتها عنت
عن مقصودي وعن معنى وعن شهودي بالواحد الدايم المشهود
وصرت ابدي له افتقاري عساه ان يرحم اضطراري يا من يرى

قال فأمر يوسف فتيانه الذين أمّنهما بكيل الطعام أن يجعلا لهم الطعام
وأن يجعلا الصواع في رحل بنيامين وهم لا يعلم قال ولم يكن شيء أحب
إلى يوسف من كيله بالصواع ولا أكثر قيمة عنده وكان الله تعالى قد وهبه
معجزة وهو أن يعلم إذا نقره بالصادق والكاذب فأمر بجعله في رحل
الأخ والإخوة لا يشعرون بذلك وكان قد أعلم أخاه بذلك وقال إني جاعله
في رحلك حتى آخذك بالسرقة وأحبسك عندي فاحتبسك وأسرّهم
فلا تخف ولا تحزن فإني أستعذر حتى يخرجوا ثم قال الله تعالى كذلك كدنا
ليوسف لمكان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله فأمر بإخفائه
فدسّوه في وسط الطعام وشدّوا رؤوس الأوعية ثم سلّموها لأربابها
وكذلك كانوا يفعلون بجميع الناس الذين كانوا يشترون الطعام قال الله تعالى
فلما جهّزهم بجهازهم أي كال لهم الطعام جعل السقاية في رحل أخيه والسقاية
ذلك الإناء قال ابن عباس إنه كان ذا طالهم لم يرد عليه وقال غيره كان من
فضة ثم أتوه بكيل الطعام وشدّوا رحالهم وودّعوا الملك وبنيامين معهم
فخرجوا بأجمعهم فرحين حتى بلغوا آخر مصر على يوم وليلة وهي القرية التي يقال
لها بصرى فلما نزلوا إذا جماعة من الغلمان والأعوان وصلوا إليهم فحبسوهم

قال الله تعالى وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك
ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم وكانوا أخذوا قالوا الفتى ويحكم وأي
شيء ضاع لكم أو منكم قالوا صواع الملك فهذا جزاؤنا منكم أدخلناكم
منازلنا ووفينا لكم الكيل فكان جزاؤنا منكم أن أخذتم صواع
الملك وهو أحب الأشياء إليه وهو الذي يعلم الصادق والكاذب
ويشرب به إذا عطش فردوا علينا صواعنا فمن ردّه علينا منكم
فله حمل بعير وكان لحمل البعير في ذلك الوقت قدر كبير وثمن
خطير قال المنادي وأنا به زعيم شعر من المتقارب

ردّوا صواعنا علينا أيها الفتية ❁ فلم يكن منكم ما البشر ينتظره
عجبت منكم وأنتم أهل مكرمة ❁ الكرم منذ كنتم تنسب الأئمة
كيف أن تصنعتم بأمر لا يحل لكم ❁ أما لكم ويحكم عقل ولا ملكة
كأنكم لم تروا فعل العزيز بكم ❁ أما له عندكم قدر ولا أثرة
من ردّه منكم في الوقت كان له ❁ حمل من التبر موفور له خطره
أنا الزعيم بما قد قلته فهبوا ❁ صواعنا أيها الغادون وابتدروا
إني أخاف عليكم من عقوبة من ❁ أخبار إن قص الأملاك والغدر

فأجابوه بما أخبر الله تعالى عنهم تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد

العلامات المصدقة للأقوال والأفعال. وقد ظهر لنا من الرشد الكبير المتعال فكيف
تتهموننا بسارقين والله حسبنا أفعال الفاسقين. فلما أتوا بهذه الحجة وسلكوا
من هذه المحجة. عطف عليهم المنادي ومن معه من الرجال من تلك البوادي
فقالوا لهم فما جزاؤه إن كنتم كاذبين. قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو
جزاؤه كذلك نجزي الظالمين. وهذا الكلام وجيز مختصر. والمعنى فيه
مضمر. ومعنى الكلام إن ظهرت هذه السرقة عند واحد منكم وكنتم كاذبين
فما جزاء هذا السارق وما الحكم في عقوبته. فأجابوه جزاء السارق الذي
توجد السرقة في رحله فهو جزاؤه. وذلك أنهم أجابوه بالحكم في السارق
في شريعة آل يعقوب أن السارق إذا ظهرت سرقته عليه صار عبدا للمسروق له
ثم أقروا بأن الحكم المشروع عندنا الثابت في ملتنا وملة آبائنا هو هذا.
وهو قوله كذلك نجزي الظالمين يعني إن السارق يكون عبدا للمسروق له
في بيوت المالك أو بيوت الملوك. قال ثم ردوا العير وضربوا وجوهها
ورجعوا إلى يوسف فلما وقفوا بين يديه. أمر بتفتيش أوعيتهم بعد عتاب
طويل. ففتشت أوعيتهم أولا فأولا. وهم لا يحتشمون من ذلك ولا يجزعون
لعلمهم بالبراءة مما نسب إليهم. ففتشت أوعية العشرة فلم يجدوا فيها

ونقذف به عند الدخول. فقالوا أما الرجل أخينا ما تفتش. فقال لهم يوسف
لعله برئ الساحة كما أنتم بريئون. فقالوا لا بد من تفتيش رحله
أيها الملك. وأخذوا من الإلحاح والطلب وهم لا يعلمون ما في ذلك
من التعب. فقال لهم يوسف أما إذا أبيتم إلا تفتيشه ففتشوه
بأيديكم ولا يتولى ذلك غيركم. فتقدموا إلى رحل بنيامين وفتشوه
فإذا بالصواع فيه. فلما رأوا ذلك ضاقت عليهم المسالك وبقي
القوم باهتين متحيرين لا يردون جوابا ولا يبدون خطابا. قد
لاموا أنفسهم ونكسوا رؤوسهم. وقالوا لبنيامين يا ابن المشومة
والأخ المشوم. هذا من شؤم أمك ومن شؤم أخيك. فليتنا أخرجناك
مع أخيك أخرجناه قبلك. إذ أنت أحق بذلك منه إذ لم يكن له جرم
يؤاخذ به. فكيف فضحتنا وفضحت أباك. فقال بنيامين يا إخوتي
اسمعوا مني وارفعوا ملامكم عني واصغوا إلي ولا تعجلوا علي حتى
أنبئكم ببرهان تعرفون فيه براءتي. ألستم تعلمون أن بضاعتكم
ردت في رحالكم يوم صدرتم من عند الملك وأنتم لا تعلمون
فإن كنتم سرقتم البضاعة يومئذ فأنا سرقت الصواع وإن كنتم

في أول الأمر أن الصواع يخبرني أنكم لصوص، وأردت أن آخذكم بذلك
لكني عفوت عنكم، وحسنت ظني فيكم. فقالوا أيها الملك لا تنكر ذلك علينا إن
يسرق فقد سرق أخ له من قبل. فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم. فظنوا
أنه عذره بينهم منه. فإذا هو أمر بدا لهم بعد ما عنه شعر في المعنى يا من
على العذر من الأحباب يقتصر، كم ذا تزيد أقوالا وتختصر، ورب ذي منطق
يبدي فصاحته، فيه له الحتف لا يبقي ولا يذر، وكل مصلحة حاولت نافعة،
مضرة هي إن لم يسعد القدر، لله در أديب قال مرتجلا، والصبر أسلمه إذ جاءه
النظر، إذا محاسني اللاتي أدل بها، كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر،
قال فاحتوشتهم الخدمة كالمنكرين عليهم، وأخرجوا بنيامين بالعنف من بين
إخوته، وجعلوا يجرونه حتى غيبوه، وأدخلوه قصر الملك. فلما غاب عن
إخوته، قام يوسف عن سريره، ودخل إلى أخيه بنيامين وجعل يضمه إلى
صدره ويقبله، ويقول له لا تحزن إني أنا أخوك يوسف، وألبسه ألوان
الثياب الفاخرة، وجلسا يتحدثان شعر في المعنى، إشارتنا في الحب رمز
عيوننا، إذا رمت لفظا جاوز اللفظ للمعنى، وإن شئت قربا قال أهلا ومرحبا
من غبتم عنا ونحن من عننا، فطيبوا وعيشوا وافرحوا وتنعموا، بحضرتنا

فلم تسودت وجهك. فقال ما تسودت وجهي باختياري، ولكن الحبر
سودني. فقال للحبر لم سودت وجه القرطاس حتى عاد نهاره
ليلا. فقال كنت كامنا في المحبرة التي هي وطني فجاء القلم بالقهر
فاختطفني. فقال للقلم لم أخرجت الحبر من وطنه وأزعجته عن
سكنه. فقال اسمع قصتي فإني مظلوم. ولعل لي عذر وأنت تلوم.
كنت قصبة نابتة على شاطئ النهر بين الغصن والزهر، في نعيم
دائم وصلاح قائم. أعانق الزهر، وأقبل الورد. فجاءت اليد بسكين
ذات نصل صنعت للقطع والفصل. فأخرجتني عن محل الوصل.
وصيرتني فرعا بعد الأصل. وأزالت قشرتي التي كانت لي بردا
وقدتني قدا. وقطتني على قدر الشبر. وألزمتني خدمة المحبرة والحبر.
فلا أزال من كد وأنين عاج، وحث واستخراج. ولقد شربت الملح على جرح
سؤالك. فسل اليد عن ذلك. فقالت اليد لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا.
ولا لغيري خفضا ولا رفعا. وهل رأيت جسما يتحرك بنفسه أو يتزلزل
باختياره إلى رتبته. أو لجاما يطلع أو يتصرف دون أن يصرف.
وإنما ركبني فوارس الطاعة، وهي القدرة والقوة والاستطاعة.

لتثبت بين تسخيف. ولا أقدر على تقدمهم ولا تأخيرهم. إنما أنا منتظرة لما يرد
علي من خطرة القلب والإرادة. على لسان العقل بواسطة العلم والإفادة.
فأنا لا أعدم ولا أوجد ولا أقوم ولا أقعد. إنما أنا رق القدرة. ولا أحدث
أمرا من الأمور. فسأل الإرادة. فمن شأنها أن تبلغ مراده. فقال للإرادة الآدمية
ماذا صنعت. فقالت على الخبير وقعت. وأنا منقطع الحوالات وقد دنا
استخفائي وأنا إلا أن عندي حوالة أخرى ولا يمكنني ذكرها الآن. قال
ولم وأنت تعلمها. قالت لأنك لا تفهمها. قال ولم. قالت لأنك من عالم
الملك والشهادة. وأنا منشأ عالم الملكوت والشهادة. إنما أنا كالبحر وإن
أمكنك أن تطيق تلاطم أمواجه. وإلا فعليك بالساحل. لأن ذلك العالم لا
يسمع بهذا السمع. ولا يبصر بهذا العين. وإنما تبصر ببصرك الصور. وبعين
قلبك العين. أما سمعت قوله تعالى لمن يلقي إليه سمعه وبعين. لو كنا نسمع أو نعقل
ما كنا من أصحاب السعير. وكانوا يسمعون الأصوات. ولكنهم أحياء كالأموات.
فسأل القلب. فقال القلب إنما أنا اللوح لم أنبسط بنفسي ولكن بسطت. فسأل
العقل. فقال العقل إنما أنا سراج لم أشتعل بنفسي ولكن أشعلت. فسأل
العلم. إنما أنا نقش لم أنتقش بنفسي ولكن نقشت. فسأل القلم. فقال قد

على الذنب للعقود مفردة من العبرة. فانظر بقلبك إن العين كاذبة.
واسمع بقلبك إن السمع خوان. واسلك طريق العبرة. وأعد زاد
الفكرة. تصل إلى الحضرة. ويزول عنك ما تنكره. وإن لم تقدر على هذا
الطريق فبضاعتك مزجاة. وعملك قليل ومركبك ضعيف.
والعائق عن الطريق الذي تتوجه فيه كثير. فالصواب لك أن تنصرف
وتدع ما أنت فيه. فما هذا بعشك فادرج. فإن كلا ميسر لما خلق له. فإن
الأذن التي من الإنسان عن السمع. والعاجز فافتح أذن قلبك وبصر
بصيرتك. لتدرك القلم الذي لا كالأقلام. الذي ينقش على الدوام أنواع
العلوم والإرادات وأسباب الشقاوة والسعادات. فلم يخط وكانت
لا بنان ووجوده لا تتهمه بأنك تتوهم. فمثله لا كالأقلام. ويده لا كالأيدي
فتفتح عين بصيرته. فرأى القلم الإلهي. فسأله. فقال جوابي جواب القلم الأول
فقال وكيف وأنت لا تشبهه. فقال وأي فرق بيني وبينه من حيث
التسخير وهو ظاهر للعيان. وأنا لا أدرك إلا بالأذهان. فسأل يمين
الملك. والسموات مطويات بيمينه. وكذلك الأقلام من قبضته. فسأل
القدرة. فقالت سل القادر. فقال لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

لبناء الحكم فقد حصل له هذا النور به من غير ما عمل ولا بما يجده منه فيقطع ٥ فليس
يسأل عن شيء بعد ذلك لا تحالكه هذا الملك يتسع ٥ قال بعض السادة كنت لأيام بلا
مصر اعدي من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي فبينا انا في يوم من الخوف اذا
بشيخ ذو وجه مشرق فقد علي وسلم فرددت عليه السلام فقال اتعلمني لله قلت
نعم قال وتطيعني لله قلت نعم فقصد الزورق فعدينا به الى الجانب الشرقي وكان عليه
ذوائب وبيده ركوة وعصا فلما اراد النزول قال اني اريد ان اجعلك امانة
قلت وما هي قال اذا كان غدا عند الظهر تجدني تحت تلك الشجرة ميتا وستنشر
ما اذا الهمت فاتني وغسلني وكفني في الكفن الذي تجده عند راسي وادفني بعد
الصلوة علي في هذا الرمل واسلك والركوة والعصا فاذا جاءك من يطلبها
منك فادفعها اليه ثم سار فعجبت من قوله وبت ليلتي تلك ثم اصبحت انتظر
الوقت الذي قال فلما جاء وقت الظهر اتيت كما قال ثم الهمت قريبا
من العصر فتبرت بسرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا عند
راسه يفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته فيه وصليت عليه وحفرت
له في الرمل ودفنته ثم عديت الى الجانب الغربي ليلا ومعي المرقعة والركوة
والعصا فلما اصبح الصباح وانفتح باب البلد فاذا انا بشاب مليح شاطر

الباردة من عرس فلان وشهدت اعني الى ان جاء وقت الصبح فقمت
لاستريح اذا بشيخ قد وقف علي وقال لي ان الله قد قبض روح فلان
البارحة واقامك مقامه فسر الى فلان المعدن وخذ اسلابه منه فانه
قد دفعها لك عنده فاخرجها ودفعها الي فاخذ الثوابة ولبستها وبان
وتركت فبكيت لما حرمت من ذلك فلما جن علي الليل نمت فرايت
رب العزة في المنام فقال يا عبدي اثقل عليك ان مننت على عبد عاص
بالرجوع الي انما هو فضلي اوتيه من اشاء شعر يا للمحب مع الحبيب
مرام كل اختيارك لو عرفت حرام ٥ ان شاء واصل منة وتعطفا
او صد عنك فما عليه ملام ٥ ان لم تكن بصدوده متلذذا فاذبح فما لك
في الغرام مقام ٥ او كنت تعرف قربه من بعده فلانت خلف والصحوب
قدام ٥ ان كان ملكك الغرام حشاشتي او قادني للقتل فيك زمام ٥
فالهجر والصد ووصل كذلك واحد لنبت الوقوف مع الحظوظ مقام ٥
يا الفضل من حرم اليك سوى الرضى فاذا رضيت النفس فهو قوام تم الحلة
الخامس عشر واسال الله الحفظ من البطر والاشر وان يمن بدوام العافية
وتمام المنة ومتابعة الكتاب والسنة وتوبة من الذنوب عامة مقضية

سيدنا محمد النبي الجليل والحبيب الخليل وعلى آله وصحبه من كل بطل نظره
وأصيل. فإن الله تعالى بالنوال الأوفى لمن اعتمد على كرمه بكفيل.
وهو حسبي ونعم الوكيل. علقه لنفسه ولمن شاء الله من بعده أحمد بن
محمد بن عبد الرحمن الحصني الحنفي عامله الله بجميل لطفه الخفي. وغفر له
ولوالديه وذويه وأقربيه ولمن نظر فيه. ودعا لهم بالرحمة والمغفرة.
والستر يوم الفضيحة. ولجميع المسلمين آمين بتاريخ نهار السبت مستهل
جمادى الآخرة. سنة أربع وخمسين وثمانمائة أحسن الله خاتمتها بمنه وكرمه.
سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الروح. فقال هي لطيفة من
لطائف الله عز وجل أخرجها من ملكه وأسكنها في ملكه. وجعل لك يا ابن آدم عنده
شيئا. وجعل له عندك شيئا. فإن أنفذ ما لك عنده أخذ ماله عندك والسلام. قيل قال
معاوية يوما لأهل الشام وعنده عقيل بن أبي طالب هل تعلمون قول الله عز وجل تبت
يدا أبي لهب وتب. فقالوا نعم. قال فإن أبا لهب عمه. فقال عقيل يا أهل الشام هل تعلمون
قوله تعالى وامرأته حمالة الحطب قالوا نعم. قال فإنها عمته. قال رجل لعقيل بن أبي طالب
إن فيكم يا بني هاشم لخلالا. فقال هو منا في الرجال ومنكم في النساء. قال الحجاج لسعيد
ابن جبير اختر أي قتلة شئت. فقال بل اختر أنت لنفسك. فإن القصاص أمامك

بسم الله الرحمن الرحيم المجلس السادس عشر في قوله تعالى قل يا عبادي
الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ٥ الحمد لله الذي
تقدست آلاء أقداره . أحاط إحاطة جيوب غيوب أسراره . فبانت نقوش
صدور عرائس أفكارنا ذا أحكام الحكيم . وأضرم مجامر الخوف في قلوب
الديم . ففاضت جفونها بلا إلى دموع المطر العميم . وقاد مطي السحاب بأزمة
الرياح إلى أمهات المهامه . وبنات المواهب وبسطات الروضات وشامخات
الجبال وشاهقات الأعلام . فظهر عليها فضله الجسيم . وضرب ظهر الرعد
بسوط البرق فصيح بصوت ترعد له المفاصل وتطيش به العقول وتململ
الخائف لأجله تململ السليم . وأخرج من النبات المختلف والزرع المؤتلف
ما دل على أنه يحيي العظام وهي رميم . ووسع الخلائق بالنعم . وعاملهم
بالكرم . وهو الغني الكريم . وضاعف لهم الأجور وغفر لهم العصيان
والزور وعفا عن الفعل الذميم . فقال وهو العفو الحليم . وبكل خلق عليم .
قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر
الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم أحمده على ما ذكر من إحسانه الجسيم .
وأشكره وما فوز من شكر ما أولاه من فضله الحديث والقديم . وأشهد أن

لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ من قالها جنات النعيم . وتسبغ
ظلالها لقائلها في لفحات الجحيم . وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله
وحبيبه وخليله . وأمينه ودليله . الرؤوف الرحيم . الذي أتاه الله سبعا
من المثاني والقرآن العظيم . صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
الذين سلكوا الصراط المستقيم . وتمسكوا بشرعه القويم . صلاة تدوم
وتقوم ما هبت نسيم . واشتاق إلى الحميم حميم . وسلم كثيرا شعر يا مالك عبد
قد جناه خليطا وما زال بعد التعمد هبوطا ٥ ذو غصة وأصفر من
بعد بنيه والقنص بعد الاخضرار سقوطا ٥ وكابد وجدا وضعف
مبرح وضاق عليه الكون وهو بسيطا ٥ كقتيل إذا ما رأى الفلاح أثاره
وعنه دواعي المهلكات نشيطا ٥ فكم مرة رام الفؤاد سقيته وهيهات
لا يجدي وأنت محيطا ٥ ولولا رجاه أن تمن بعتقه لما زاله بأس عراه وكان
قنوطا ٥ ولكن وعدت المسرفين برحمة بذاك كتاب قد أتى وخطوطا ٥
فيا قاهر الأكوان طرا بأسرها فاجمع من فيها لديك بسيطا ٥ أغثني
بعفو منك واغفر جرائمي فما دلت عني ما أخاف تمبطا اعلم أن الله تعالى
أضاف هذه الآية إلى الجنة . أولها أضافها إلى نفسه بالعبودية . فقال

قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية. ولآدم
بالنبوة. فقال يا بني آدم. ولنوح عليه السلام بالشريعة. فقال شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك. ولإبرهيم عليه السلام بالملة
فقال ملة أبيكم إبرهيم. ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالأمة. فقال كنتم خير أمة
أخرجت للناس. فإذا كان يوم القيامة. قال آدم أولادي. وقال نوح أهل
شريعتي. وقال إبرهيم أهل ملتي. وقال محمد صلى الله عليه وسلم أمتي. وقال
الله تعالى عبادي. وشرف العبد عبدا لأنه يحمل القضاء. ويحمل العيوب تبارك و
كما تعالى طريق محبة. وبعين منة. وليس الفخر لك أنك عبده. لأن له
عبيدا كثيرة. وجنودا غير محصورة. بل الفخر لك أنه مولاك. قيل فما
الحكمة من أن الله تعالى أضاف العبد إلى نفسه. قيل لثلاثة أشياء. أولها
ليكونوا من جانبه. فلا يقدر الشيطان أن يخلص إليهم. الثاني لئلا يدعي
منهم إبليس لاتباعهم له. الثالث ليكون جميع ما يطلبه عليه منة وفضلا.
قيل فما الحكمة أن الله تعالى أضاف نفسه إلينا. فقال وإلهكم إله واحد.
قيل لثلاثة أشياء. أحدها لتعلم أنه معك لا يفارقك. الثاني لتعلم
أن كلما خلقه من أجلك ولك خلقه. الثالث ليكون الفخر على سائر المخلوقات
لكم

وأما

وأما قال أسرفوا بصيغة الغيبة. لئلا يعلم واحد منهم. ولو قال أسرفتم
بصيغة الخطاب لوقع الخجل. وقيل لما قال على أنفسهم يحير العصاة
وقالوا إذا كنا قد أسرفنا على أنفسنا فقد هلكنا. لأن المسرفين هم
أصحاب النار. فقال الله عز وجل للمسرفين الموحدين الذين إسرافهم
ليس بمطلق بل من وجه دون وجه. لا تقنطوا من رحمة الله. الآية.
وقال عز وجل إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم. وإن أسأتم فلها. فيعلم
أن المراد بالمسرفين الذين هم أصحاب النار. الذين إسرافهم مطلق أي
من كل وجه. لا المسرفين الموحدين الذين إسرافهم من وجه دون وجه
لكن ينبغي للمسرف الموحد أن يتدارك نفسه ويترك الإصرار على الإسراف
لئلا يصير العياذ بالله إسرافه مطلقا. بسوء الخاتمة. لأن المعاصي
بريد الكفر. فلا يغتروا ولا يتركوا الخوف بل يكونوا بين الخوف
والرجاء. ويكون جانب الخوف من حال الصحة أرجح. وجانب الرجاء من
حال الاحتضار أرجح. ومن أدلة الرجاء التي توافق الآية الكريمة من
السنة. ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه. قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم. والذي نفسي بيده. لو لم تذنبوا لذهب الله بكم. وجاء بقوم

يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم. ذكره مسلم. وقال أبو هريرة أيضا
رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أذنب عبد ذنبا فقال
أي رب اغفر لي ذنبي فقال الله عز وجل: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن
له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب غفرت لعبدي ثم أذنب فقال أي
رب اغفر لي ذنبي فقال الله عز وجل: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا
يغفر الذنب ويأخذ بالذنب غفرت لعبدي ثم عاد فقال أي رب اغفر لي
ذنبي فقال الله عز وجل أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب
ويأخذ بالذنب عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك. ذكره مسلم. وهذا
الحديث يؤيد ما قالت الحنفية من أن شروط التوبة الندم والإقلاع والعزم
على أن لا يعود. وليس من شروط التوبة الثبات عليها إلى الموت بل التوبة
مقبولة بما ذكرنا من الشروط ولو كان يعود إلى المعصية التي تاب عنها في كل
يوم سبعين مرة لإطلاق النصوص الواردة في ذلك وأما قضاء الفوائت
وأداء الكفارات الواجبة وإرضاء الخصوم فذاك شرط لكمال التوبة لا
لتحقق ماهية التوبة يؤيده حكاية الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس ثم مات
بين القريتين ثم التوبة عبارة عن الرجوع عن طريق البعد من الله إلى طريق
القرب منه تعالى. ومعنى قبول التوبة إسقاط عقوبة الذنب عن التائب. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: كان من بني إسرائيل رجلان متواخيان أحدهما مجتهد أي في العبادة والآخر مذنب
فكان المجتهد يقول للمذنب أقصر فيقول المذنب خلني وربي فوجده المجتهد
يوما على كبيرة فقال أقصر فقال المذنب خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال
والله لا يدخلك الله الجنة فبعث الله ملكا فقبض أرواحهما فقال الله عز وجل
للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للمجتهد أكنت عالما على ما في يدي أتستطيع
أن تمنع عبدي رحمتي أدخلوه النار ثم قال صلى الله عليه وسلم لقد تكلم
بكلمة أوبقت دنياه وآخرته. ذكره البزار. وقالت أسماء بنت عميس
رضي الله عنها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قل يا عبادي الذين
أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا
يبالي. ذكره الترمذي. وقال أبو ذر رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: قال الله تبارك وتعالى يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فسلوني
الهدى أهدكم وكلكم فقير إلا من أغنيته فسلوني أرزقكم وكلكم
مذنب إلا من عافيته فمن علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني
غفرت له ولا أبالي. ذكره الترمذي. وفي بعض طرق هذا الحديث لمسلم:
يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا
فاستغفروني أغفر لكم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده

فوق العرش ذكره مسلم. ليس من أسماء الله الحسنى وصفاته تعالى أفضل بل
كل اسم وصفة منها دال على كمال خاص. ولا يجوز أن يقال إن بعض صفاته أشرف
من الآخر لأن ذلك يستلزم نقصان المفضول والقدم ووجوب الوجود
ينافيان النقصان. وأما قوله تعالى سبقت رحمتي غضبي فذاك السبق يكون
في الآثار لا في حقيقة صفة رحمته وغضبه لأنه يصل إلى العبد أولا آثار رحمته
ثم يصل إليه آثار غضبه إذا كفر بالله. والله تعالى يقبل بحسنة واحدة عشر
أمثالها إلى سبع مائة ضعف وإلى غير حساب ولا يجزي السيئة إلا مثلها أو يغفرها.
وقال أنس بن مالك رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
قاعدا فتفكر في ذنوب أمته وخطاياهم فاشتغل لذلك فبينما هو في ذلك إذا
بطائر منظوم بالدر والياقوت من أحسن الطيور خلقا قد وقع بين يديه
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعجب من حسنه وصورته ثم إن الطائر
طار حتى أتى البحر وكشف الله عن بصره حتى رآه فأتى جزيرة من الرمل
فصار يأخذ بمنقاره من الرمل ويرمي في البحر زمانا ثم طار حتى وقف
بين يديه وقال السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام أيها
الطائر فقال ألا تسألني من أين جئت ولماذا فعلت ما فعلت فقال

الطائر ما أضحكك أضحك الله سنك قال عجبت من حسن صورتك
وضعف عقلك وكيف تقدر أن تردّ ماء البحر بما تأخذ بمنقارك وما
يبلغ ما تأخذه بمنقارك من البحر فقال إن الله عز وجل ضرب لك مثلا
حين علم ما خطر ببالك والذي بعثك بالحق ما ذنوب أمتك في سعة
عفوه إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره من الرمل ويجعله في البحر ذكره
صاحب كتاب الغرائب وإظهار العجائب. والعفو من اللغة محو الأثر
وإزالته يقول العرب عفت الريح الآثار إذا أزالتها ومحتها ومنه عفا
الجرح إذا ذهب أثره وعفا الله عن الذنب أي محا أثره بترك المؤاخذة
عليه فعلا وذما وذكرا وقيل إن هذا هو أثر العفو بل العفو من الله
تعالى محو السيئات والعفو على وزن فعول من أسماء الله تعالى وهو من
ألفاظ المبالغة المقتضية تكرار العفو منه تعالى يمحو سيئات المذنبين أي
كلما تكررت منهم الذنوب تكرر منه العفو خرّج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها
قالت قلت يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر ما أدعو به قال قولي اللهم
إنك عفو تحب العفو فاعف عني قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.
قال بعض أرباب القلوب إذا كان العفو محبوبا إلى الله تعالى كما دل عليه هذا

١٢٤

فلا يبقى ذنب ويشاء أن يعفو عنه إلا ويعفو عنه بفضله وكرمه فله الحمد والفضل
والمنة ونسأله الوفاة على الإسلام والسنة بلا فتنة ولا محنة وسئل بعضهم عن
معنى قول القائل يا كريم العفو فقال كرم عفوه أن يمحو السيئات ثم يبدلها
حسنات وأما المغفرة في اللغة مصدر غفر مغفرة وغفرا وغفرانا وأصل
المغفرة الستر ومنه المغفر والغفارة لسترها والمغفرة في حق الله تعالى
ستر عيوب عباده في الدنيا والتجاوز عن ذنوبهم في الآخرة ولله سبحانه الذي
لا ينبغي أن يحصى على عبده أستار عن قبائحه لا تعد ولا تحصى فإن العبد المذنب
كلما تجددت عيوبه وذنوبه تجدد الله عليه سترا حصينا وأسبغ عليه ستره الظليل
الرصين وإن كانت أجناس أستار الله على عبده ثلاثة كما ذكرها الغزالي رحمه الله
أولها أن جعل مقابح بدنه التي تستقبحها العيون مستورة في باطنه مغطاة
بجميل ظاهره فكم بين باطن العبد وظاهره من القذارة والنظافة وثانيها أن
جعل مستقر خواطره المذمومة واعتقاداته وإراداته القبيحة مستورة في قلبه
حتى لا يطلع أحد على سره وعينه ولو انكشفت مطاوي أسراره القبيحة من
من الغش والخيانة وسوء الظن بالناس وغيرها لمقتوه بل أهلكوه وبعثوه
وثالثها ستره من الآخرة ذنوبه التي كان يستحق عليها الافتضاح على رؤوس

وهما من ألفاظ المبالغة بالمعنى الذي ذكرناه قال الغزالي رحمه الله الغفار
هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح والذنوب من جملة القبائح التي سترها
في الدنيا ويتجاوز عنها في الآخرة وقال غيره وهو أقرب
للمعنى الغفار هو الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد مرة وقال بعضهم
الغفار هو الستار فالله تعالى يستر عيوب عباده بترك المعاقبة
عليها وأما العفو فقد قال الغزالي ذكر أنه ينبئ عن مبالغة لا ينبئ
عنها الغفار فالغفار ينبئ عن كثرة الفعل والعفو ينبئ عن جودته
وكماله وشموله فهو عفو يعني أن تمام الغفران كالمذخر يبلغ أقصى
درجات المغفرة وأما الرحمة فهي في اللغة رقة تعتري الحيوان فتحركه
إلى قضاء حاجة المرحوم وأما رحمة الله تعالى فهي إفاضة الخيرات
على ذوي الحاجات وهي تامة وعامة فالرحمة التامة إفاضة الخيرات
على ذوي الحاجات مع إرادته العناية بهم إلى طريق الهداية والرحمة
العامة إفاضة الخيرات على المستحق وغير المستحق وإرادة العناية
بالمرحوم في توفر بالحاجات التي من وجوده ودوامه على ما ستعرفه
في فصل عموم الرحمة وقال الواحدي الرحمة ترك عقوبة من يستحق

مالا يستحق من المثوبة، ودفع ما يستوجب من العقوبة، وقيل هي المنة
على المحتاج، وقيل هي العطف، ومن الرحمة اشتق اسم الرحمن الرحيم، وقد
اختلف فيهما فقيل إنهما لفظان مترادفان أي معناهما واحد، كندمان
ونديم، ولهفان ولهيف ومعناهما ذو الرحمة، قال الثعلبي على قول من
قال إن الرحمة إرادة الله سبحانه الخير لأهله هي صفة ذات، وعلى قول من
قال إنها ترك عقوبة من يستحق العقوبة، وابتداء الخير إلى من لا يستحق
هي صفة فعل، وفرق قوم آخرون بين الرحمن والرحيم، فقال بعضهم الرحمن
اسم مبني على فعلان وهو لا يقع إلا على مبالغة الفعل نحو قولك رجل
غضبان للممتلئ غضبا، وسكران لمن غلب عليه الشراب، فمعنى الرحمن واسع
الرحمة، الذي وسعت رحمته كل شيء، حكاه الثعلبي، وحكى الواحدي هذا
المعنى بصيغة أخرى، فقال والرحمن عند قوم أشد مبالغة من الرحيم
كالعلام من العليم، ولهذا قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، لأن رحمته
في الدنيا عمت المؤمن والكافر والبر والفاجر، ورحمته في الآخرة
اختصت بالمؤمنين، قال الواحدي الرحمن العاطف على جميع خلقه
مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم بأن خلقهم ورزقهم، قال الله تعالى
ورحمتي وسعت كل شيء، والرحيم العاطف على المؤمنين خاصة بالتوفيق والهداية في الدنيا والجنة

والرؤية في الآخرة، قال الله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما، وقيل فيهما خصوص وعموم، فالرحمن
خاص اللفظ عام المعنى، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى، فالرحمن
من حيث إنه لا يجوز أن يسمى به أحد غير الله، خاص اللفظ، ومن
حيث إنه يشتمل على العطف على جميع الموجودات خلقا ورزقا ونفعا
ورفعا ودفعا، عام المعنى، والرحيم من حيث اشتراك المخلوقين
فيه بالتسمية، إذ يجوز إطلاقه على من وجد فيه معناه، عام اللفظ،
ومن حيث اختصاص رحمته بالمؤمنين خاص المعنى، قال عبد الله
ابن المبارك الرحمن الذي إذا سئل أعطى، والرحيم الذي إذا لم
يسأل غضب، قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم
يسأل الله يغضب عليه، قال الشاعر الله يغضب إن تركت سؤاله
وبني آدم حين يسأل يغضب، قال مجاهد الرحمن بأهل الدنيا والرحيم
بأهل الآخرة، وقال يحيى بن معاذ الرازي الرحمن بمصالح معاشهم
والرحيم بمصالح معادهم، وقال بكر بن عبد الله المزني الرحمن بنعم
الدنيا والرحيم بنعم الدين، وقال الحارث بن أسد المحاسبي الرحمن
برحمة النفوس والرحيم برحمة القلوب، وقال أبو بكر الوراق
الرحمن بالنعماء وهي ما أعطى وحبا، والرحيم بالآلاء وهي ما
صرف وزوى، وقال محمد بن علي الترمذي الرحمن بالإنقاذ من النيران بيانه وكنتم على شفا حفرة من

النار فأنقذكم منها. والرحيم بادخالهم الجنات بقوله ادخلوها بسلام آمنين
وقال سري السقطي الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفران الذنوب
وقال عبيد الله بن الجراح الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق
وقال عكرمة الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة لما روى مسلم في صحيحه
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
لله عز وجل مائة رحمة وإنه أنزل منها رحمة واحدة إلى الأرض فقسمها بين خلقه
فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده
يوم القيامة وفي رواية إن الله يضيف هذه إلى تلك فيكملها مائة رحمة
ويرحم بها عباده يوم القيامة وفي رواية مسلم رحمة واحدة بين الجن
والإنس والبهائم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على
ولدها وفي طريق للبخاري فمن ذاك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس
حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه وقال الضحاك الرحمن بأهل السموات
حين أسكنهم السموات وألهمهم الطاعات وجنبهم الآفات وقطع عنهم
الشهوات وأنطق ألسنتهم بأنواع التسبيح والدعوات وأكرمهم بقربه
وأتمنهم على وحيه وكتبه وكساهم ملابس النور وعصمهم من الآثام والذنوب

الرؤوف الرحمن بغفران السيئات وإن كن عظيمات والرحيم بقبول الطاعات
وإن كن غير صافيات وقال أبو بكر الوراق الرحمن بمن يجحده والرحيم
بمن يوحده. الرحمن بمن كفره والرحيم بمن شكره. الرحمن بمن قال ندا
والرحيم بمن قال فردا وقال مقاتل بن سليمان الرحمن العطوف على
كل عباده بفضله والرحيم الرفيق بأهل طاعته ووصله إذ لم يكلفهم ما لا
يطيقون وأوجب لهم من الرحمة ما لا يستحقون وقال الشريف الرحمن
العاطف على عباده برزقهم من حيث لا يحتسبون ويدفع عنهم من حيث
لا يرتقبون والرحيم بالمؤمنين يغفر لهم ما يذنبون ويصرف عنهم ما منه
يرهبون وقيل الرحمن بالفطرة والرحيم بالدعوة وروى الكلبي عن أبي
صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال الرحمن الرحيم اسمان رقيقان
أحدهما أرق من الآخر وقال الحسين بن الفضل البجلي هذا وهم من
الراوي لأن الرقة ليست من صفات الله تعالى لأن صفات الله تعالى
توقيفية ولم يرد النص بها لأن الرقة الشفقة الناشئة من رقة القلب
والله تعالى منزه عن الجوارح ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وإنما
هما اسمان رفيقان والرفق من صفات الله تعالى قال النبي صلى الله عليه

وفسروا الرقة باللطف وكمال العطف مجازا أخذا من رقة قلوب العباد
على أجنبيهم وهو كمال عطفهم ورحمتهم. واختلفوا بعد ذلك من المراد بهذا
الحديث على أربعة أقوال فقال بعضهم معناه أن أحد الاسمين أدل على زيادة
لطف لأنهم ذلك من الاسم الآخر. وقالوا لا نعرف ذلك الاسم على التعيين
لوجود الإبهام وعدم التبيين. وقال شعبة بن جبير هذا الاسم الذي يدل على
زيادة لطف هو الرحمن لأنه يعم المؤمن والكافر جميعا. قال الله تعالى ورحمتي
وسعت كل شيء. وقال ومن كفر فأمتعه قليلا. وقال وكيع بن الجراح هو الرحيم
لأنه يشمل المؤمن من الدنيا والآخرة. أما من الدنيا فظاهر. وأما من الآخرة
فغفران ذنوبه وإدخاله الجنة. قال الله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما. وقال
وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا. وقال آخرون معناه أن كل واحد
منهما أرق من الآخر على معنى أن في كل واحد من الاسمين معنى ليس منه لأنهم
ذلك من الآخر بحيث لا يمكن تفضيل أحدهما على الآخر. وذلك فيما حكينا
من الأقوال. وقال ثعلب الرحمن أمدح من الرحيم. والرحيم أرق من الرحمن.
وقال أبو عبيدة. الرحمن ذو الرحمة. كالعطشان ذو العطش. والريان
ذو الري. والرحيم الراحم. كالقدير هو القادر. والعليم هو العالم. فالأول

الذي وجدت منه الرحمة. وقيل الرحمن من له الرحمة. كالغضبان
من له الغضب. والرحيم من يرحم. كالشبيع من يشبع. قال الغزالي.
فالرحيم المطلق هو الله تعالى. فإن غير الله تعالى وإن أطلق عليه اسم
الرحيم. لكن باعتبار رقة مؤلمة بالحنة. لضعف نفسه. فتحركه لرفع
ما يؤلم غيرها. توهما أن ذلك لائق بها. فكأنه نظر لنفسه. وسعى
في تحصيل غرضه. لما هناك من رقة الجنس الحيوان. ورحمة الله
تعالى إفاضة خيره على المرحوم. لأجل المرحوم. لا لنا لأنه تعالى
إذ يتقدس. ويتعالى عن الآلام. والأوهام. والأغراض العائدة لذاته
الغنية المطلقة عن جميع خلقه. ولا يبعد أن يكون المفهوم من الرحمن
نوعا من الرحمة. هي أبعد من مقدورات العباد. وهو ما يتعلق بالسعادة
الأخروية. فالرحمن هو العطوف على العباد. بالإيجاد أولا. وبالهداية
إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانيا. والإسعاد في الآخرة ثالثا.
وبزيادة الإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعا. وهذه الوجوه
الأربعة. راجعة إلى السعادة الأخروية. فمن ذا الذي يقوم بهذا
التكريم غير الكريم. ومن ذا الذي يجود بهذا الجود العميم غير الرحمن

فاتكلم بما تقول فانت محكم ۝ لا تطلبن سواه واقصد ها هنا. إن كنت تدري
ما تقول وتفهم ۝ انشد بعض اللبيب بيتا نادرا. قد جاز فيه عاشق ومتيم ۝
وقع الهوى بي حيث انت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم ۝ أجد الملامة
في هواك لذيذة. حبا لذكرك فليلمني اللوم ۝ أشبهت أعدائي فصرت
أحبهم. إذ كان حظي منك حظي منهم ۝ وأهنتني فأهنت نفسي صاغرا.
ما من يهون عليك ممن يكرم وقيل لما أبعد إبليس وطرد. ونزل إلى الأرض
هو وآدم. قال يا رب أبعدتني وطردتني وإلى الأرض أنزلتني. وجعلتني
شيطانا مريدا. وسلطت على آدم وذريته. فاجعل لي سلطانا. فقال
الله تعالى له. إنه لا يولد له ولد. إلا ولد لك اثنان. قال يا رب زدني. قال
أجلب عليهم بخيلك ورجلك. وشاركهم في الأموال والأولاد. قال يا رب
زدني. قال صدورهم لك مساكن. قال يا رب زدني. قال تجري منهم مجرى
الدم في العروق. قال يا رب اجعل لي طعاما. قال ما لم يذكر اسمي عليه.
قال فاجعل لي شرابا. قال كل مسكر. قال فاجعل لي بيتا. قال الحمام. قال
فاجعل لي مجلسا. قال الطرق والأسواق. قال فاجعل لي مصايد. قال
مصايدك النساء. قال فاجعل لي مؤذنا. قال المزمار. قال فاجعل لي قرآنا.

أو أعفو. قال يا رب زدني. قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد
روح وقيل يوقف عبد بين يدي الله عز وجل يوم القيامة. فقد أدركه
الخوف وداخله الذهول فيحاسبه على ذنوبه فيطلب منه حجة يأتي بها
أو عذرا يعتذر به. فلا يهتدي إليه لكثرة خوفه. فيقول يا ابن آدم ما
غرك بربك الكريم. فيقول عند ذلك غرني كرمك فيغفر له شعر
من المعز ۝ الأحد نوني يا رجاي به يتوب فذلك أشهى لي من المن والسلوى ۝
ورب عليل جاء من طيبه يشتكي فخفف عنه من حينه الشكوى ۝ أيا جاهلا
يشكو إلى الناس ما به. ويرجوهم من الشر منه ومن الخوف ۝ ويترك من
يعطيه قبل سؤاله. ويصرف ما يخشى ويأتي بما يهوى ۝ فيحسن مولاك الظنون
ولذ به. فإن رجاء الله أفضل ما يرجى ۝ وحسبك منه أن يلقى عبده. متالا
به يتخوف من الضر والبلوى ۝ يقول له ما دعاك إلى الهوى وغرك بالمولى
الكريم الذي يتوب ۝ فيهتف يا مولاي فضلك غرني فخذ بيدي إني على
النار لا أقوى ۝ فينجيه من نار الجحيم بفضله ويجعل جنات النعيم له مثوى ۝
ويبدو له فيها فينظر وجهه. ورؤيته مولاه هي الغاية القصوى وقيل
إن السيد إذا أحب عبدا من عبيده وأراد أن يزيل طمع الغير منه.

ليزول عجبه. ويتقطع طمع الغير منه. الأثر: أن الخضر عليه السلام لما أراد إبغا
السفينة من يد أهلها خرقها. ويوسف الصديق عليه السلام لما أراد إمساك أخيه
معه رماه بالسرقة. ومن قوله تعالى: قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل.
أقوال منها: أن يوسف عليه السلام كان له جد. وكان يعبد صنما من دون الله.
وكانت راحيل تكره ذلك فكانت تقول ليوسف: اسرق صنم جدك. ليدع الشيخ
عبث فعله. ومنها: أنه كان من صغره. كلما وضعت المائدة بين يدي يعقوب
عليه السلام وقعد إخوة يوسف معه عليها للأكل أخذ رغيفا وجعل عليه
من الإدام وجعله تحت طرف المائدة. فإذا فرغوا من الأكل خرج وتصدق به.
فعيروه بذلك. شعر: يا قلب لا تطمح تساقطك كله جزعا وإن بان العقيق وبانه
لا غرو إن تجن على فضائل شبه أحداق المدل دعانه. قال: فلما خرج
إليهم أمر بالصواع فأحضر بين يديه فنقره نقرة سمعوا طنينها. فقال: أتسمعون
ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول إنكم خنتم أباكم في ولده الأول فما تعرفت
قرائبهم. وقالوا: يا أيها العزيز استر علينا ما ستره الله. وإنا نسألك بالذي
فضلك على العالمين إلا ما رحمتنا ورحمت شيبة أبينا وأزلت كرب يعقوب
ووحشته من بعدنا. فلما ذكروا يعقوب قال لهم: لولا حق يعقوب ونسبه.

تسلايحك

من أسر عينه من صرف أبيه. وإن حبسته تضاعف عليه بلاؤه.
ويتزايد حزنه وبكاؤه. وإن كان ولا بد فخذ أحدنا مكانه إنا نراك
من المحسنين. وجعلوا يتلونون بين يدي حاجبه. ويظهرون التملق
لوزرائه. فقال: عجبا منكم! أنتم تقولون إنكم أولاد الأنبياء وإنكم
الأسباط. أفي شرع واحد من آبائكم الأكرمين أن يؤخذ البريء
ويسترح الفاعل. معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا
إذا لظالمون. فقالوا له: يا أيها العزيز لا يمكننا أن نرجع إلى كنعان
دونه. وقد عهد إلينا أبونا عهدا وأعطيناه ميثاقا. لا يمكننا حيلة
ولكن انظر إلينا. فقال: اخرجوا عني أما أخوكم فمحبوس من جنيته
ومأخوذ بجريمته. فضجوا لذلك وضاقت عليهم المسالك وخرجوا
يتشاورون وينظرون كيف يصنعون وبماذا يرجعون فتشاوروا
فلم يروا وجها أصوب من الرجوع إليه والتملق بين يديه. فدخلوا عليه
وقالوا: يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا وهو هالك لا محالة إلا
أن ترحمه وترحمنا برده. شعر: رقوا علينا فإنا أهل مسكنة
رفقا فلا تقتلونا مع البلاء جدا بأنفسنا من حبكم طمعا. هذا

بفضلكم حاشا لفضلكم مثل أخينا قالوا أيها العزيز إن الشيخ إن فقده بعد
فقد أخيه فهو هالك لا محالة. وأنت قد أحسنت إلينا ورأينا منك أفعال
الملوك الصالحين وإن أحببت استعبدت أحدنا مكانه. فرد عليهم مثل قوله
الأول معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده. يعني صواعه. ومع
ذلك كله بينا بين من قصر عظيم. ومجلس كريم. وخدم وحول. وسرر وكلل
وثياب وحلل فلذلك لم يكن على الصديق من ذلك عتاب لأن الله عز وجل
قدره من أتم الكتاب قال تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين
الملك إلا أن يشاء الله. وإنما أضاف سبحانه الكيد إليه. لأنه لم يكن أحدا أن
يعتب عليه. وما كان قصد الصديق تعذيبا بل كان تهذيبا. حتى يطهر سرائرهم
مما كان فيها. ويرفع الله درجاتهم بالتوبة الصادقة. وبعد فيها شعر وقالوا
تسلوا عن جميل وداده. فهاتيك مجروح بنبل عناده ۝ فقلت لهم والطرف
تجري دموعه. ولبست له وجها لنيل رقاده ۝ وما صدعني إنه لم يبغض
ولا كان قتل من الهوى بمراده ۝ ولكن رأيت الوصال يزيد في جنونا
فأحببت هجري ببعاده ۝ كذاك ينعم الصب عن حبيبه. ويسكنه في صدره
وفؤاده قال فخرجوا عنه. وقد داخلهم اليأس منه. ونالهم القنوط

على أن يأتوا بمثلها لم يقدروا. وقوله. قال كبيرهم. يعني في السن وقيل
في العلم والنبوة. وهو يهوذا. ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا
من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف. يعني أن يعقوب قد أخذ عليكم
العهود والمواثيق ومن قبل ذلك أخذها علينا في يوسف. فقطعنا
رحمنا وظلمنا أخانا. وقد ذقنا وبال ذلك. وقد أطلع الله هذا الملك
على أسرارنا. ولست أظنكم تجهلون ما قد وقع منه. فلن أبرح الأرض
حتى يأذن لي أبي في الرجوع إليه. ويتبين عذري لديه. أو يحكم الله
لي. بالأخ فأرجع به إليه. وأقدم به عليه. وهو خير الحاكمين. يعني
هو خير من حكم من الأمور. ثم قالوا ندخل على الملك مرة أخرى فإن
سمح لنا بأخينا فذلك البغية والمراد. وإن أبطأ علينا. وأبى عن صرفه
إلينا. جاهدناه بالقوة التي ركب الله فينا. فإنه حسبنا وكافينا.
وذلك أن الواحد من أولاد يعقوب كان إذا غضب انتفخ واقشعر
جلده. وخرج شعره من ثيابه. فيخرج من كل شعرة قطرة دم فيضرب
بقدمه الأرض فتتزلزل. ثم يزعق زعقة فلا تسمعه حامل إلا وضعت ما
في بطنها. ولا يسمعه أحد إلا غشي عليه. فإذا مسه أحد من أولاد يعقوب

قوة. فقال يهوذا يا إخوتي أتكفون أهل مصر أكفكم الملك ومن معه. أو
أتكفون الملك ومن معه أكفكم أهل مصر قال ابن عباس رضي الله عنهما. وجه
يهوذا أحد إخوته. وقال انظر كم هي أسواق مصر. فقال هي تسعة. قال
يا إخوتي ليقم كل واحد منكم بسوق وأقوم أنا بالملك ومن معه. قالوا إذا
فتقدم أنت للملك ومن معه. فدخل يهوذا مغضبا على الملك وقال أيها الملك
رد علينا أخانا وإلا صحت الآن من قصرك صيحة. فلا تبقى حامل إلا وضعت ما
في بطنها دما عبيطا. ومات كل من يسمع صيحتي. وكان له شعرات بين كتفيه
إذا غضب قامت وخرجت من الثياب. فلا تسكن غضبه حتى يسفك دما أو
يمسه أحد من أولاد يعقوب أو من عقبه. فقامت الشعرات ونظر إليها يوسف
فقال لولده الأكبر. ثم خذ بيد ذلك الرجل وأتني به. فقام الصبي إليه
وأخذ بيده وأتى به يقوده. وقد زالت حدته. وخمدت قوته. ولانت
شعرته. فالتفت يهوذا يمينا وشمالا. ليرى أحدا من إخوته. فلم ير أحدا. فقال
والله لقد مسني أحد من أولاد يعقوب ثم خرج. وقد طأطأ رأسه. وارفض
عرقا. فأتى إخوته. فقال من حضرني منكم. قالوا والله ما حضرك منا أحد.
قال وأين أخي شمعون. قالوا مضى إلى الجبل ليأتي بصخرة يشدخ بها رؤوس

شعر: في الحرب لقد كنت قبل اليوم أحسب أنني جليد على حرب العداة
صبور. وإني إذا أغضبت صحت بشدة فعادت أكباد الرجال
تطير. فها أنا أغضبت بأتي وبلطفه. وصرت كأني إذ لمست
جرير. فما أحد من آل يعقوب مثلنا أعيوا أتاني للجواب فقير.
وإن تغضبوا عزا فحلوه وحلمه. فمثل كبدات الرجال تطير. فذا لك
ثم شد الله أزره. وخصه بالأكبر وهو معتبر. إلا ما خضعوا المرأة
ونة للوا. فملكم في راحته أسير. فقالوا ليهوذا ما شر علينا. فقال
ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله الآية. وذكر أبو صالح
قال لما علم يوسف أن غضب يهوذا قد سكن. قام إلى حجر من أحجار
الطاحونة. وكان من قيمة ضرره. فوكزه برجله فرماه خلف
الحيطان ثم صوت يهوذا صوتا كاد أن يلقيه. ثم قال يا معشر
الكنعانيين تظنون أنه ليس لأحد مثل قوتكم. فعند هذا أظهروا
الولوع وأظهروا الخضوع. فلما رأى ذلك قال قد عفوت عنكم إنما
أردت أن أريكم فضل قوتنا وما عندنا. ثم نقر الصواع. وقال
يخبرني هذا الصواع. أنكم طرحتم أخاكم في البئر ثم أخرجتموه وبعتموه

في خطوطهم. وقال هذه الكتابات وجدته في خزائن ومنه مكتوب بالعبرانية. فبعث

فأقرؤوه وفسروه لنا. قال فأخذه يهوذا فنظر فيه ثم قال يا روبيل أتعرف

خطك. فلما نظر إليه روبيل ذهب أكلهم الجزع وبهتت أبصارهم وخرست

ألسنتهم شعر من الغين ه وكل جبينه عرق لا أبوح به أخشى فضيحة وجهي

حين التلاه ه أغالطه أكتم أعطي عن عيب. ومن الأغاليط أغرق معناه ه

أوبهم أنزع من غير … ولئن يعلم ما التلاه الأمه. فقال لهم يوسف ما لكم

صمتم. فقالوا له أيها الملك هذا كتاب كتبناه فيه كان لنا بعناه. قال فأخبروني

ما فيه. فقرأه عليه روبيل كما تقدم. فقال يوسف فقبحكم لقد جئتم بالأمر بالحمير

فلو كنتم كما تقولون ما أن تكلتم من صغيركم المذنب. ثم نقر الصواع وأصغى

بأذنه إليه وقال إن هذا الصواع يخبرني أن الحاكم الذئب تزهوق موته

حرة. وأنه سيرجع بخبر الناس بصنيعكم نعم ثم نقر الصواع وقال يقول

الصواع إنكم فرطتم في أخيكم وكذبتم لأبيكم. ثم نقر الصواع وقال يقول

هذا كلما دخل على أبيكم من الهم والحزن من أجلكم وأنتم منتبه. ثم نقر

الصواع وقال يقول هذا إنكم أخبئتم هذا الذئب مما دلتم عليه مصر بين

لم تتوبوا ولم تستغفروا الله عز وجل لأصيبنكم نكالا للعالمين ولأذبحنكم

ما فعلتم. وقلت لكم إن الله عز وجل بالمرصاد. ولا يترك ظلم العباد.

فكيف يكون حال ذلك الشيخ الضعيف إذا وصله فقد أولاده جميعا.

وقد أصابه ما أصابه لفقد واحد. فتوبوا إلى ربكم واخضعوا الذنبة.

واعترفوا بين يديه. واشهدوا هذا الملك الجليل قدره بالتوبة والعصمة.

فلعل الله أن يجعل لكم من قلبه شفقة ورحمة. فإن الله أرحم الراحمين

وأكرم الأكرمين. شعر من المعره ه هل إلى التوبة النصوح طريق إن

نفس لما جنته تضيق ه دنت دين القضاة سرا وجهرا لم يكن إلى من

الجار صديق ه أنا من قبضة الذنوب أسير لست من وثاقهن طليق ه

على … وحمل ثقيل والذي أرتجيه رب شفوق ه ذلك الله سيدي

ومولاي فهو الملجأ وركني ورشيق. قال فبكوا جميعا واعترفوا ما جنوه.

وقالوا اعترفنا بذنوبنا وأقررنا بعيوبنا. ورضينا بالإسلام دينا. وتبنا

مما كسبت أيدينا. ولئن من الله علينا برد أخينا يوسف إلينا. لنكونن

برا بالقدمين. ولنقبلن رأسه ويديه. فلما سمع يوسف مقالهم ورأى حالهم.

فاضت عيناه بالدموع. واحترق كبده بين الضلوع. وقال إلى من أقلقل

قلوب إخوتي ولا أعاملهم بموذاتي. إنما كان حرصي على توبتهم من ذنوبهم

وقال لهم أما أنا فلا أبرح لكم أخاكم بوجه ولا على حال. فلما استيأسوا منه
وتشاوروا. قال لهم يهوذا أما أنا فبأي وجه ألقى به والدي. فلن أبرح الأرض
حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين. فبقي بمصر يهوذا
وشمعون وبنيامين ويوسف ورجع الثمانية إلى أبيهم. فلما وصلوا إليه
ووقفوا بين يديه. فقال ما لي أراكم ثمانية. فقالوا يا أبانا إن بنيامين
سرق صواع الملك فحبسه واستعبده. وأما يهوذا وشمعون فإنهما
تخلفا حياء منك. وقالا لا نبرح من هاهنا. حتى يأذن لنا أبونا أو يحكم الله
لنا. فلما قالوا ذلك تباطأ بهم. وقويت تهمتهم عنده. وقال كلما توجهتم
ذهب واحد منكم. يوشك أن لا يبقى منكم أحد. ثم تضاعف حزنه وحرقه
وتزايد همه وقلقه. حيث كان بمصر منهم يوسف لما أصحبه ما أخذوا. فصار
بمصر منهم يوسف وبنيامين وشمعون ويهوذا. شعر من الطويل. لقد صرفت
بي الظنون الكواذب. ونال الذي يبغي العدى والمحارب. وأبعد منهم البين والبعد
منزلي. وضاقت لما ألقى علي المذاهب. وفرقت من قومي كرام أحبتي.
فمنهم أسير في الوثاق وغائب. ومنهم طريد قد تمادى غيابه. ومنهم شريد
ضيعته المذاهب. وإن ضياء العين ونجمي فقدته. فساعات يومي كلهن

الملك بعتابه وعقبه عنا. وأردنا محاربته فإذا هو أشد قوة منا.
ولقد أراد قتلنا. لكن صرفه الله عنا ببركة دعائك. ونحن لا ندري
أسرق أخونا أم لا. واسأل القرية التي كنا فيها. إن واسأل أهل القرية.
والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون. وقد وصفنا لك الأمر على
جليته. والعناء الذي على أصله. وقد لقينا من الذل والهوان
والتردد والامتحان. ما لو اطلعت عليه لساءك. وهيج بكاءك. وقد علم
الآن حالنا كيف كنا. وشاهدوا ما كان منا. فلم يزد على أن قال ما قاله الله
بقيل. بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل. عسى الله أن يأتيني بهم
جميعا إنه هو العليم الحكيم. أي زينت لكم أنفسكم تغريبي قبل من
ولدي يوسف. ولعلكم فعلتم في بنيامين ما فعلتم بيوسف. فلا أصدقكم
ولا أكذبكم. بل أرد أمري إلى الله. وأصبر صبرا جميلا لا أجزع فيه ولا
أشكو إلى أحد من المخلوقين. وهكذا يكون المؤمن يتمسك بالصبر
عند الشدائد. والشكر عند النعم. وقوله عسى الله أن يأتيني بهم جميعا
وذلك لما عظم بلاؤه. وازداد رجاؤه. وأعرض عنهم. وتباعد منهم. وخلا
بنفسه وتهجده. في بيت تعبده. شعر من المعرب. يا واحدا أحدا قد جل

إني لا أنظر عن يسرى ويميني. فلا أرى غير ذي عذل وذي فند. هذا اليوم
وهذا البين يعقوبي كأن يا بني قد حسنته بدنه. يا رب قد حل بابي أن
أعتبره. أنت العليم بحزنا بشيري بدنه. يا من لا يصغي إلى قول النصيح. ويصح
من الكذب ويصيح. ولا يفهم المعنى الصريح. حل التدبير لمن خلقك تستريح.
تكثر النحيب والعويل. وتنسى الحساب الطويل. وتعرج عن سواء السبيل. ولا
تذكر ما سلف من الفعل الوبيل. لو رجعت إلى عقلك. لعجل لك بتفريج كربك.
لو صح بقلبك ما أسلك معتبك. لو صحت المعرفة. لزالت العلل المخيفة.
أنت أصل دائك. أنت المعرض عن دوائك. أنت الزاهد في رشادك.
أنت العامل على بعادك. أنت الجالب لهلاكك. أنت الجامع لأنكالك. أنت الفات
من نعمتك. الطالب لرقوبك وحجبك. توق أسباب حجبك. يوم لا ينفعك عتاب
صديقك. ولا أقرب حميمك. ولذ بجناب رحيم ما أرحمه. وحليم ما أحلمه. من ذا الذي
لاذ به فأسلمه. من ذا الذي أطاعه فما أكرمه. شعر ولو أنهم عند حل العقود
ونبذ الوداد وبدو الصدود. وخلعهم لثياب الحيا. ونقضهم لصحيح العهود
أناخوا بأبوابنا ساعة. وأجروا مدامعهم في الخدود. لعدنا سراعا إلى وصلهم
وقلنا القلب المحبين يعود. كان في بني إسرائيل رجل من خيارهم. وكان كثير
المال. وكان له ولد صالح مبارك. فجاء الرجل الموت. فقعد الولد عند رأسه وقال يا أبت أين الوصية. فقال يا

بني لا تحلف بالله برا ولا حانثا. ثم مات الرجل وبقي الولد بعد أبيه. وتسامع به فساق بني إسرائيل فكان
الرجل منهم يأتي إليه. ويقول له لي عند والدك كذا وكذا. وأنت تعلم ذلك
فأعطني مالي قبله. وإلا فاحلف. قال فيقف الولد مع الوصية. فيعطيه ما
يطلب منه. إلى أن فني ماله. واشتد إقلاله. وكانت له زوجة صالحة.
وولدان صغيران. فقال لها إن الناس قد أكثروا وأظلموني. وأطالوا الطلب
على علمي. وكان معي ما أدفع به عن نفسي بذلته. والآن لم يبق لنا شيء. إلا
اعتقالي وحبسي. فإن الطالبين طالب. أنجيت أنا وأنت فلنفر بأنفسنا
إلى موضع لا نعرف فيه. فنعيش بين أظهر الناس. فركب البحر بها
وبولديه الصغيرين لا يعرفان إلى أين. وهم معتمدون على كرم الله
وحلمه. والله يحكم لا معقب لحكمه. شعر من المعز يا جارحا خوف
العدى من داره. والله قد وافاه عند قراره. لا تجزعن من البعاد فربما
عز الغريب لطول بعد مزاره. ولو قد أقام الدر في أصدافه. ما كان
تاج الملك بيت قراره. قال فتكسرت السفينة. وخرج الرجل على لوح
وخرجت المرأة على لوح. وخرج كل واحد من الأولاد على لوح فحصلت
المرأة في بلد. والولد الواحد في قرية. والولد الآخر حصل في سفينة
التقطتها من البحر. وأما الرجل فقذفته الأمواج إلى جزيرة منقطعة.
حصل فيها. فتوضأ من البحر. وأذن وأقام الصلوة. فإذا قد خرج من البحر أشخاص بألوان مختلفة.

فصلوا بصلوته. فلما فرغ. قام الى شجرة في الجزيرة. فاكل من ثمرها. فزال
عنه جوعه. ثم وجد عينا من الماء. فشرب وحمد الله. فبقي ثلاثة ايام يصلي
ويخرج من البحر اقوام يصلون بصلاته. فلما كان بعد ثلاثة ايام اذا بمناد
يناديه. يا ايها الرجل الصالح التائب. احمل قدر النية. لا تحزن فان
الله يخلف عليك اضعاف ما خرج من يديك. ان في هذه الجزيرة كنوزا
واموالا. ومنافع ترفع اهوالا. يريد الله ان تكون بها اميرا وآمرا. ولها وارثا
وفيها عامرا. وهي في موضع كذا وكذا من الجزيرة فاكشف عنها. وانا سنسوق
اليك السفن لتعرف الاخبار منها. فاحسن الى الناس وادعهم اليك. فان
الله تعالى يقبل بقلوبهم عليك. فقصد تلك المواضع من الجزيرة. وكشف الله
له عن تلك الكنوز الغزيرة. وصارت السفن تاتي اليه. فيحسن احسانا عظيما.
ويقول لعلكم تدلون على العمال والصناع. والفقراء والمساكين الجياع. فاني
اعطيهم كذا. واجعل لهم كذا. وصار الناس ياتونه من الاقطار. والاماكن بعد
ركوب الاخطار. فيقضي لهم الاوطار. فلم يات عليه عشر سنين الا والجزيرة
قد عمرت. والرجل ملكها والناس بعطاياه غمرت. لا ياتيه احد الا يقبل عليه.
ويبالغ في الاحسان اليه. وكان ولده الاكبر قد من الله عليه ووهبه. ان وقع عند

في السفينة الى البلاد. ومعه من الاموال الطريف والتلاد. فسمع الولد
الكبير عن ذلك الملك كثرة خيره وبره. فقصد اليه وهو لا يعلم من
هو فاستكتبه وائتمنه على سره. وسمع به الولد الآخر ورغبة في نيل
اجوره. فقصد اليه فوكله على النظر في اموره. وبقيا برهة من الدهر
في خدمته. وكل واحد منهم لا يعرف صاحبه مع علو همته. قال وسمع
الرجل التاجر عن الملك واحسانه. فانتقى من الثياب الفاخرة وما
يستظرف من تحف البلاد في زمانه. واتى بالسفينة والمراة معه
حتى ارسى بساحل المدينة. ثم نزل الى الملك وقدم له هديته. فاستظرفها
الملك وسر بها سرورا كبيرا وامر للرجل بجائزة سنية. وكان في هديته
عقاقير اراد الملك من التاجر. ان يعرفه باسمائها وخواصها ومصالحها
ومنافعها في الدياجر. فقال له تبيت الليلة عندنا لنعرف تبيين وتشاهد
خبرتي. فقال له ايها الملك ان لي في السفينة وديعة عاهدتها ان لا
اكل امرها الى غيري. وهي امراة صالحة تباركت بدعائها وظهرت
لي البركة من آرائها. فقال له الملك اني ابعث اليها امناء يبيتون
عندها ويحرسون ما لديها. فاجابه التاجر الى ذلك. وبقي عند الملك

إن شاء الله تعالى فقصد السفينة ونفسهم لا تموت الا بنته . وجلس هذا
في مؤخرها وهذا في مقدمها . فعكرا الله تعالى بن هذين الليل كما هو حال النوم
ثم قال أحدهما للآخر يا فلان إن الملك قد أمرنا بالحراسة ونخاف النوم . فتعال
نتحدث بأخبار الزمان وما رأينا من الخير والامتحان . فقال الآخر يا أخي
أنا أنا من امتحان أن فرق الدهر بيني وبين أمي وأبي . ولي أخ كان اسمه
كاسمك . ركب والدنا البحر من بلد كذا وكذا . فتكسرت السفينة وفرق
الله شملنا . فلما سمع الآخر ذلك قال وما كان اسم والديك . فقال فلان وأمي
فلانة . فضمه إليه وقال أنت أخي ورب الكعبة . فجعل كل واحد منهما يحدث
أخاه بما جرى له من صغره . والأم تسمع كلامهما . فكتمت المرأة أمرها . فلما
طلع الفجر قال الواحد للآخر سر يا أخي نتحدث في منزلي قال نعم . قال
وأما التاجر فوجد المرأة في كرب عظيم . فقال ما لك قالت قد سمعت الى من
أذان وبت منهما في كرب شديد . فغضب التاجر وندا الى الملك فأخبره .
فأمر بإحضارهما اليه وكان الملك يحقق أمانتهما ويعرف ديانتهما . ثم قال
على بالمرأة حتى تذكر ما كان منهما . فجي بالمرأة فلما مثلت بين يديه قال
لها أيتها المرأة ما رأيت من هاذين فقالت أيها الملك أسألك بالله العظيم

الا انا اتهمتهما بعد ان سمعت كلامهما الذي كانا يتكلمان به الا رحمة . فقال الملك قولا ما قلتما ولا تكتما منه شيئا . فأعادا

كلامهما فجاء الى الملك فقد طار عن سريره . وصاح صيحة وترامى عليهما وقال أنتما والله ولداي وقالت

المرأة أنا والله أمهما . فسبحان من إذا قصده العبد نجاه ولم يخيب
فيه رجاه . شعر لكل شيء من الأشياء ميقات . وللأمور فيه أجر ومحو
وإثبات . لا تجزعن لعسر قد دهيت به . فالبسر ان تداجا تك
آيات . ورب خير كرهت بانت مضرتها . له وبالطافه المسرات . وكم
نهاري عيون الناس تنظره من الهوان تغشته المبرات . هو الذي بالا فتقر
وكابره ضر وحلت به من الوقت آفات . وفرق الشمل منه بعد الفته
فلمه بعد طول الجمع أشتات . أعطاه مولاه خيرا ثم جابهم له ومن الجمع
لو تدرين إشارات . سبحان من عمت الأكوان قدرته . والخوف من بدايته
الدلالات . فهو القريب بلا حد يكيفه . عقل ولا في بداية النهايات .

ثم المجلس السادس عشر وأسأل الله وأتوسل اليه بنبيه الشفيع أن يمن بدوام
العافية وتمام النعمة ومتابعة الكتاب والسنة . وتوبة من الذنوب عاصمة .
مقضية الى حسن الخاتمة . وأن يوفق الإمام ما بعده فإنه العدة في كل
شدة . والحمد لله وحده . وصلى الله على نبيه محمد النبي الخليل والحبيب
والخليل وعلى آله وصحبه في كل بكرة وأصيل فإن الله تعالى بالنجاح
الأوفى لمن اعتمد على كرمه بجميل وهو حسبي ونعم الوكيل .

علقه لنفسه ولمن شاء الله من بعده أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحضرمي
الحنفي عامله الله بجميل لطفه الخفي وغفر له ولوالديه وذويه وأقربيه
ولمن نظر فيه ودعا لهم بالمغفرة والرحمة والستر يوم الفضيحة
ولجميع المسلمين أجمعين بتاريخ نهار الاثنين عاشر جمادى الآخرة سنة أربع
وخمسين وثمان مائة أحسن الله خاتمتها بمنه وكرمه

لبعضهم قل للذي زعم الأصول تخالفت بين الأئمة سادة العلماء لا تكذبن
على الأئمة سادتي فالصدق أحسن شيمة العقلاء كل الأئمة من معين واحد
أخذوا وما أخذوا عن الأهواء يتبوعهم دين النبي محمد لما أتى بالملة
البيضاء وفروعهم للناس منها راحة وخلافهم حق بلا استهزاء
فأبو حنيفة ذو العلا ومالك وكذلك أحمد سيد الصلحاء والشافعي
جميعهم أهل الهدى والصدق في السراء والضراء فافزع إلى من
شئت منهم واقتبس درر العلوم تقف على الغرباء شتى الشريعة واحد
وشعاعهم متفرق في سائر الأنحاء القرآن العظيم ستة آلاف آية
وستمائة آية وست وستون آية منها ألف آية وعد وألف وعيد وألف أمر
وألف نهي وألف قصص وأخبار وألف عبر وأمثال وخمسمائة حلال وحرام

[illegible] ناسخ ومنسوخ والله سبحانه وتعالى أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **المجلس التاسع عشر** في قوله تعالى واصبر
وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إلى محسنون
الحمد لله ناشر كل طين وممسك كل حين الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون
خلق الإنسان من تراب ثم من نطفة أمشاج كاللعاب وكتب على جبينه ما قضاه
عليه من أم الكتاب وتعالى عما يقول الأفكون رفع السماء وزينها بالنجوم ودحى
الأرض ومدها بالرقوم وأوتدها بالجبال الراسيات فاستقرت على التخوم وإذا
أراد أمرا فإنما يقول له كن فيكون أجرى الأنهار بالماء المعين وأخرج الأقوات
وقدرها بالتقدير وأنبت الحبوب والفواكه والثمار وتنزه عن النظير فلكل
واحد منها مطعم يعرفه الكبير والصغير وجعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا
أنتم منه توقدون جعل الدنيا دار شتات وزوال وامتحن فيها الأنبياء والأولياء
والأرسال والأبدال وأوصاهم على الامتحان ومكابدة الأهوال واختلاف
الشدائد وتغير الأحوال وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم من أصدق الأقوال
واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون
إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون **أحمده** على ما يوليه من نعمه وأشكره
على إحسانه وكرمه حمدا يحمده ويشكره المؤمنون وأقر ببقائه وقدمه وأومن

بوجوب

بوجوب وجوده وامتناع عدمه وأنزهه عن إدراك اللحظات وخطرات
الظنون وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها عند
المنون وفي يوم تشخص فيه الأبصار وتذهل الألباب فتطيش الأفهام
ويشتد الإبلاس ويخسر المبطلون وتظهر الأسرار ويتناوب الغبن والأحزان
ويحبط الأوزار ويعدم الأعوان ويتبع المفرطون وأشهد أن محمدا صلى الله
عليه وسلم عبده ورسوله وحبيبه وخليله وأمينه ودليله ذو المعجزة
الباهرة والحجة القاهرة وكم نص عن أصحابه الذين والأخلاق
الطاهرة والحجة المبينة الظاهرة الذي لم يزل صادعا بما قلد من أمانة
اليقين وغاب عن العيون صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين
وصحابته الأقربين وعترته أجمعين والتابعين وتابعي التابعين ما
تعاقبت السنون واختلفت الفنون ولزمت الظن المفتون صلاة
تحرس قائلها مما يحذرون وسلم كثيرا **شعر** من الغرض ٥ صبر المحب عن المحبوب
مذموم وقلبه بسهام الشوق مكلوم ٥ أيحسن الصبر عن ملكه خلدي
ومهجتي بطلوعه فالكل مجلوم ٥ إن علت إنما دريا فمنا شرف له وإن
نكث فسر النثر مطلوم ٥ بلذ عذب نقضه بره وبعد لين وما أنا في الذين

بنيه من ظلمهم ۞ فالصبر يحسن الأمر ويجلي . إن الصبر عون للأحباب
يحوطهم ۞ فيعصمهم به من كل أذية . حتى يثبتوا ومن أهوائهم يقيهم ۞ وآية
الحبس عن الأحباب مخافة . وزمر طرقها بابه ومن شؤمه ۞ لو تطلع النجم من
مرصاته بطلعتها . ما خلت لم أنه من جملتهم ۞ يا من تتعاش العابدون
بأمنه على حبس الصبر مقومهم ۞ لا كان الصبر من الشدائد . يجلب
المنن والفوائد . ويورث العلو على كل غاية . ويهد كل مصاعب . أمر الله
به رسوله عليه الصلاة والسلام . وأخبر به أصحابه الكرام . ليبلغوا المرام وأمر
العلماء الأعلام . أن يبلغوها كل من دخل في دين الإسلام . قال أبو فاطمة .
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم . عليك بالهجرة فإنه لا مثل لها . وعليك
بالصبر فإنه لا مثل له . وعليك بالسجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا
رفعك الله بها درجة . وحط عنك بها خطيئة . ذكره النسائي . وقال عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لي يا غلام أو قال يا بني ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن احفظ الله
يحفظك . احفظ الله تجده أمامك . تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في
الشدة . إذا سألت فاسأل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله . فقد جف

القلم

القلم . فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك
لم يقدروا عليه . ولو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن يضروك بشيء لم
يقضه الله عليك لم يقدروا عليه . واعمل لله بالشكر واليقين . واعلم أن
في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا . وأن النصر مع الصبر . وأن مع العسر
يسرا . ذكره مسلم . قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن المعونة تأتي من الله على قدر المؤنة . وإن الصبر يأتي من
الله على قدر البلاء . ذكره البزار . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضي بالقليل من الرزق رضي
الله منه بالقليل من العمل . وانتظار الفرج بالصبر من الله عبادة .
ذكره ابن عبد البر . وقال خباب بن الأرت رضي الله عنه شكونا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نلقاه وهو متوسد بردة له في ظل
الكعبة . وقلنا له ألا تدعو الله لنا . ألا تستنصر لنا فقال كان الرجل
ممن كان قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه ثم يجاء بالمنشار فيجعل
على رأسه فيشق باثنين وما يصده ذلك عن دينه . ويمشط لحمه
بأمشاط الحديد . وما يصده ذلك عن دينه . والله ليتمن الله هذا الأمر

حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل
أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون. ذكره البخاري. وقال أنس
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عظم الجزاء مع عظم
البلاء وإذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط
فله السخط. ذكره الترمذي. وقال سعد رضي الله عنه قلت يا رسول الله
أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل
على قدر دينه فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه
رقة أصيب على حسب دينه فلا يبرح البلاء على العبد حتى يتركه
يمشي على الأرض وما عليه خطيئة. ذكره الترمذي. وقال ابن عباس
رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات له فرطان
من أمتي أدخله الله الجنة فقالت عائشة رضي الله عنها ومن مات له
فرط واحد من أمتك قال ومن مات له فرط واحد يا موفقة. كذلك
قالت فمن لم يكن له فرط من أمتك قال فأنا فرط أمتي لن يصابوا بمثلي.
ذكره الترمذي. وقال أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات
ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول قبضتم
ثمرة

ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون يا رب
حمدك واسترجع فيقول ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد.
ذكره الترمذي. وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ما لعبدي
المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا
الجنة. ذكره البخاري. سئل مالك بن دينار عن سبب توبته فقال
كنت شرطيا وكنت منهمكا على شرب الخمر فاشتريت جارية فوقع لها
في قلبي موقعا أحبها فولدت بنتا فأحببتها حبا شديدا فلما دبت
ازداد لها في قلبي حبا حتى لما كنت أضع الشراب بين يدي تجذبه من
يدي فتريقه على ثيابي فلما كمل لها من العمر سنتان توفيت فحزنت
لأجلها حزنا شديدا فلما كانت ليلة جمعة شربت ونمت ثملا من الخمر ولم
أكن صليت العشاء الآخرة فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت
فهالني ما رأيت فإذا أنا بتنين عظيم قصدني ففررت منه فتبعني وأنا أعدو
خوفا منه حتى أتيت على شيخ جالس فقلت له أجرني من هذا التنين
فقال كيف أجيرك منه وأنا ضعيف وهو أقوى مني ولكن أسرع عسى
تنجو فأسرعت وهو ورائي حتى أشرفت على شرف من شرف القيامة

فاطلعت منه على النار وما فيها من ألوان العذاب فنوديت ارجع فلست من
أهلها فرجعت والتنين ورائي يتبعني حتى وقفت على الشيخ فقلت له أستجير
بك من هذا التنين فلم يجرني فبكى الشيخ وقال كيف أجيرك وأنا ضعيف
وهو أقوى مني لا أطيقه فقلت له دلني على ما أنجو به فقال إن هاهنا جبلا وفيه
للناس ودائع فاصعد فإن كان لك فيه وديعة فإنك تنجو قال
فقصدت الجبل فلما وصلت إليه إذا في ذلك الجبل كوى لكل كوة مصراعا ن
من الذهب مكوكب بالجواهر فهتف هاتف من الملائكة أشرفوا على هذا
المسكين لعل أن يكون له بينكم وديعة فينجو بها مما هو فيه فانفتحت
الكوى فاطلع منها أطفال فقال بعضهم لبعض اطلعوا جميعكم لهذا المسكين
لعل له بينكم من ينجو به مما هو فيه فاطلعوا فرأيت قد دلي من تلك
الكوى كفة تشبه كفة الميزان فإذا فيه ابنتي التي توفيت فقلت بنيتي والله
بنيتي فجلست ثم قامت فقعدت في حجري وقبضت على لحيتي ومسكتني
بيدها اليسرى وأومت بيدها اليمنى إلى التنين فذهب وقالت ألم يأن
للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فقلت بلى والله يا بنيتي قد
أن فقلت لها وأنتم تعرفون القرآن قالت نحن أعرف بالقرآن منكم
فقلت

فقلت لها أخبريني عن التنين ما هو قالت ذاك عملك السوء قويته
وأكثرت منه حتى صار إلى ما ترى قلت فالشيخ الجالس قالت ذاك عملك
الصالح أضعفته حتى صار إلى ما ترى واستجرت به على التنين فلم يطقه
لضعفه قلت وما هذا الجبل قالت إن الله خلق هذا الجبل ليسكن
فيه أطفال المؤمنين فنحن هاهنا في هذه الكوى ننتظركم إلى يوم
القيامة فإذا كان يوم القيامة نشفع فيكم شعر لولا أمل بأن ألقاكم
ما كنت أعيش من الهوى لولاكم ٥ القلب وحق حبكم يهواكم ما يعشق
غيركم ولا ينساكم ٥ وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ
الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض
والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك
أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها رواه مسلم
وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن
ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ثم سألوه
فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده ما يكون

النساء

عنه من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه
الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من
الصبر رواه البخاري ومسلم وعن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له
خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له
وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له رواه مسلم وعن أبي زيد أسامة
ابن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه وابن حبه
رضي الله عنهما قال أرسلت بنت النبي صلى الله عليه وسلم أن ابني قد احتضر
فاشهدنا فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ السلام ويقول إن لله ما أخذ
وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب فأرسلت إليه
تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن
كعب وزيد بن ثابت ورجال رضي الله عنهم فرفع إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصبي فأقعده في حجره ونفسه تقعقع ففاضت عيناه فقال
سعد يا رسول الله ما هذا فقال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده
وفي رواية في قلوب من شاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء
رواه

رواه البخاري ومسلم ومعنى تقعقع تتحرك وتضطرب وعن صهيب
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان
قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاما
أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه وكان في طريقه إذا سلك راهب
فقعد إليه وسمع كلامه وكلما أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا
أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل
حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو على
ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الساحر
أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان أمر الراهب
أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس
فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي
بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى
فإذا ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص
ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك وكان قد عمي فأتاه
بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك إن أنت شفيتني فقال إني لا أشفي

أحداً إنما يشفي الله عز وجل فإن آمنت بالله دعوت الله عز وجل
فشفاك فآمن بالله فشفاه الله تعالى فأتى الملك فجلس إليه كما كان
يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب
غيري قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام
فجيء بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه
والأبرص وتفعل وتفعل فقال إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى
فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع
عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه
ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار
فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام
فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا
به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع
عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم
اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك
فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله تعالى فدفعه إلى نفر

من

من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر
فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما
شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له
الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله تعالى فقال للملك إنك لست
بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال ما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد
وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس
ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارم فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني
فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته
ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع
السهم في صدغه فوضع يده في صدغه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام
فأتي الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك
قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم
فيها النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم
ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست فقال لها الغلام
يا أماه اصبري فإنك على الحق رواه مسلم. ذروة الجبل بكسر الذال

ومنها أعلاه. القرقور بضم القاف نوع من السفن. وانكفأت أي انقلبت
والصعيد هنا الأرض البارزة. والأخدود الشقوق من الأرض كالنهر
الصغير. وأضرم أوقد. وتقاعست توقفت وجبنت. وعن أنس
رضي الله عنه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال
اتقي الله واصبري فقالت إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه
فقيل لها إنه النبي صلى الله عليه وسلم فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم
فلم تجد عنده بوابين فقالت لم أعرفك فقال إنما الصبر عند الصدمة
الأولى رواه البخاري ومسلم. وفي رواية لمسلم تبكي على صبي لها وعن
عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الطاعون فأخبرها أنه كان عذابا يبعثه الله تعالى على من يشاء فجعله
رحمة للمؤمنين فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابرا
محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله تعالى له إلا كان له مثل أجر
الشهيد. رواه البخاري وعن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله شهيد
صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل قال إذا ابتليت عبدي
بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة. يريد عينيه. رواه البخاري وعن
عطاء

عطاء بن أبي رباح قال قال لي ابن عباس ألا أريك امرأة من أهل
الجنة فقلت بلى قال هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال إن
شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك
فقالت أصبر وقالت إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها
رواه البخاري ومسلم وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب
ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله
تعالى بها من خطاياه. رواه البخاري ومسلم. الوصب المرض وعن
ابن مسعود رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يوعك فمسسته بيدي فقلت يا رسول الله إنك توعك وعكا شديدا
قال أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك أن لك
أجرين قال أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها
إلا كفر الله تعالى بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها. رواه البخاري
ومسلم. الوعك مغث الحمى وقيل الحمى وعن أبي هريرة رضي الله عنه

فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه
رواه البخاري وضبطوا يصب بفتح الصاد وكسرها وعن أنس رضي الله عنه
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه
فإن كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني
إذا كانت الوفاة خيرا لي رواه البخاري ومسلم وعن أنس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبده الخير عجل له
العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى
يوافي به يوم القيامة وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه
الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء
رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن وقال لما مات أبو طالب
عم النبي صلى الله عليه وسلم لج المشركون في أذيته فصار يعرض نفسه
على القبائل ويسألهم الدخول في دينه فلم يأته أحد من القبائل
إلا صده ورده وقال قومه الرجل أعلم به أتراه يصلحنا وقد أفسد
قومه فعمد إلى ثقيف بالطائف فقصد سادات ثقيف وهم إخوة ثلاثة

يعرض عليهم نفسه وشكا إليهم ما لقيه من الأذية فقال أحدهم أنا
أمرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط وقال الآخر أما وجد
أعجز الله أن يرسل غيرك وأما الآخر فقال لا أكلمك بعد مجلسك
هذا أبدا إن كنت رسولا كما تزعم فلأنت أعظم خطرا من أن أكلمك
وإن كنت كاذبا على الله لا ينبغي لي أن أكلمك وأفشوا في
ثقيف الذي قال لهم واجتمعوا يستهزؤون برسول الله صلى الله عليه
وسلم وقعدوا صفين على طريقه كلما رفع قدما أو وضعها رضخوه
بالحجارة فقطعوا من شماطيهم وقدماه يبتلان بالدماء فعمد إلى حائط
من كرومهم فجلس في ظلها مكروبا ثم قال اللهم إني أشكو إليك
غربتي وكربتي وضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس
يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني
إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري وإن لم يكن بك علي غضب
فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ برضاك من سخطك
وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما
أثنيت على نفسك وأعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات

وصلح عليه أمر الآخرة والأولى أن ينزل بي غضبك أو يحل علي عتابك
لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك وكان في الكرم عتبة
ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة فكره أن يأتيهما لما يعلم من عداوتهما
لله ولرسوله ويحرك لهما رحمهما فقالا لغلام لهما يقال له عداس
خذ قطفين من العنب وضعهما في الإناء ثم اذهب بها إلى ذلك الرجل
وانه شيئا ألك أجرة هو أم صدقة فإن قال له صدقة فلم يأكل
فقل له هدية فمضى عداس بما أمراه به إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوضعه بين يديه فقال أهدية أم صدقة قال هدية فمد
يده وقال بسم الله وكان عداس نصرانيا فلما سمع قوله تعجب منه
وصار ينظر إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين أنت
قال من أهل نينوى قال من مدينة الرجل الصالح أخي يونس بن متى
قال وما علمك به فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم قصته وما أوحي
إليه فخر عداس ساجدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل
يقبل قدميه وكان عتبة وشيبة ينظران إليه فقال أحدهما للآخر
أما غلامك فقد أفسده عليك فلما أتاهما قالا له ما شأنك سجدت

لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلت ذلك بأحد منا قال يا سيدي
ما على وجه الأرض أحد خير منه حدثني بشأن نبي بعثه الله إلينا
يقال له يونس بن متى فأخبرني أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالا له لا يفتننك عن دينك فقال والله هو نبي مرسل فقالا له
ويحك عزمت قريش على أنها تقتله وتستأصله فقال هو والله
يقتلهم ويغلبهم ويسودهم ويبشرهم باتباعه ويدخلهم الجنة
شعر من العز ٥ هداك الله عداسا إلى ذروة الحق فأبصر بدر التم
يلتاح من الأفق ٥ أتى ورسول الله من حال عسره وقد نال من أهل
الضلالة ما يشق ٥ فقدم للمختار ما جاء به فمد له كفا يزيد على
الودق ٥ ويسمي حبيبا لم يزل بوداده يترشح من كل الأحايين
للخلق ٥ فحن إلى ذاك السماع ولم يزل يناجيه عما قد أعاد من
النطق ٥ فقال له إني رسول إلى الورى حقيق وقومي الآن قد
جحدوا حقي ٥ فما قام إلا والعناية قد بدت عليه وعند الرق خص
بالعتق وقال أبو علي الدقاق الصبر الخروج من البلاء على
حسب الدخول فيه كأيوب عليه السلام حين حفظ أدب

الخطاب. فقال مسني الضر وأنت أرحم الراحمين. ولم يقل ارحمني. وقيل
لم يقل ذلك على وجه الشكوى. وإنما قال ذلك ليكون أسوة لضعفاء
المسلمين وسنة للمرضى والمضطرين. كقوله صلى الله عليه وسلم: إنما أسهو لأسن.
فكان سهوه من العمد. لاشتغاله بمراقبة الواحد الأحد الصمد. وقيل لم يقل
مسني الضر اعتراضا على الأقدار. إنما كان قوله إظهار الافتقار. وقيل إنما
قال مسني الضر تلونا لا ضجرا. أي مسني الضر الذي تبتلي به أنبياءك
وأصفياءك. وأنت أرحم الراحمين حيث رحمتني به. وقيل إن أيوب عليه
السلام لم يقل مسني الضر حقيقة. لأن البلاء استغاث من أيوب
حيث لم تكن له به طاقة. وقيل أكل الدود جسده كله إلا قلبه ولسانه.
فقصدت دودة قلبه وأخرى لسانه. فقال لم يبق لي إلا لسان به أذكرك
وقلب به أعرفك. فإذا أكلا ذهبت من الفوائد. مسني الضر. وقيل كان
الدود عنده بمنزلة الأضياف فراها لحمه. فلما فني اللحم نقص لحصة
أضيافه. فقال مسني الضر. لا جرم جاء في الخبر أن الذي كان من دود الدود م
المحنة على بدن أيوب لما وقع في الماء الذي اغتسل فيه نبتت له أجنحة
وارتفع طائرا فجعله الله ذهبا وورده نثارا على أيوب عليه السلام.

وقيل استعجم أمره عليه. فلم يدر أبلاؤه تخصيص أم تمحيص أم تهذيب
أم تعذيب. فقال مسني الضر. وقيل إن الله تعالى أوحى إليه إن هذا
البلاء الذي أصابك اختصصت به سبعين نبيا قبلك. فلما اختبر
بكشفه قال مسني الضر. وقيل حبس الله عنه الوحي أربعين يوما.
فقال مسني الضر. وقيل ضعف عن القيام بأوراده. فقال مسني الضر.
وقيل مر به رجلان فقال أحدهما لصاحبه. رب جريمة ضيعها هذا
فعوقب بها. فاستشعر من الحيف على ألسنة الخلق. فقال مسني الضر.
وقيل إن قوله مسني الضر خبر يتضمن الدعاء. لا الشكوى. يدل
عليه قوله سبحانه. فاستجبنا له. وقيل إن زوجته كان لها قرون شعر
من ذوائبها. وكانت تخدم النساء. وتسوق له ما يقوته. إلى أن عرفها
إبليس النساء. وقال تغسل قذر المبتلى وتعجن عجينكن وتصنع
طعامكن. وإني لا آمن أن يصيبكن ما أصاب زوجها. فطردنها عنهن
وغلقن في وجهها أبوابهن. وبقي أيوب عليه السلام لم يأكل طعاما.
فأدركه الضعف. فأشفقت عليه وخرجت تطلب له شيئا. فإذا امرأة
ببابها واقفة. وقد جاءها خبزها. فسألتها منه. فقالت لا إلا أن تعطيني

ضفيرة من ضفائرك أشتري بها. فقالت لها هي عون نبي الله أيوب
إذا قام لحاجته. قالت فإذا لا أعطيك شيئا. فتذكرت جوعه
واحتياجه. فجزت ضفيرتها ودفعتها إليها. فدفعت لها من ذلك الخبز.
فأتت به أيوب عليه السلام شعر من العز ۝ فلت لعذرك يا زمان كما ترى
ورميت بالنهم العتول الصائب ۝ غيرتني وذللتني وأنا التي كنت
المطاعة في بنات أقاربي ۝ لكنني أرضى بما قد قلته وألذ بالبلوى
لنعم صاحبي ۝ فقد صرت بعد العز أسأل جارتي ولطالما سحبت
سحبات مواهبي ۝ ويهون بالعز وإن طال المدى ويقل من المحبوب
قطع ذوائبي فلما رأى أيوب الخبز سألها فأخبرته فقال سيدتي
ومولاتي عظمت بليتي صبرت أعيش من شعر حليلتي مسني الضر.
فوائد الإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر. أي فروع الإيمان
وشواهده. فالشكر على أقسام. فالصلوة شكر نعمة البدن والصوم
شكر نعمة الأكل والشرب والجائع طول السنة. والزكوة شكر نعمة المال.
والصبر على أقسام الصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي والصبر
على البلايا. وفي تفضيل بعض أقسام الصبر على بعض خلاف مشهور بين

العلماء. والصبر من أهم التكاليف الشرعية المأمور بها. قال الله تعالى مخاطبا
صفيه الكريم لديه ونبيه العزيز عليه. لعل أمته يذكرون وإذا أصابتهم
محنة يصبرون واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في
ضيق مما يمكرون. وسبب نزولها أن المشركين لما أجمعوا عليه.
وقصدوا بالمكر المكروه إليه. كما أخبر سبحانه بقوله لنبيه سيد الأولين
والآخرين. وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين. وكان رؤساء قريش قد اجتمعوا في
دار الندوة. وتشاوروا في أمر النبي صلى الله عليه وسلم. فأتاهم إبليس اللعين
في صورة شيخ أعرابي. فأرادوا إخراجه عنهم. فقال لهم أنتم في أمر تحتاج
إلى رأي وأنا من أهل الرأي ولا خوف عليكم مني ولا أغيب لكم عني. وقد بلغني
ما أجمعتم له. ولعلكم لا تعدمون من محضري خيرا. فأخذوا في تشاورهم.
فقال عتبة. أرى أن تخرجوه من بين أظهركم. فإن ظفر كان ظفره حظا لكم
وإن قتل كنتم قد كفيتم أمره. فقال إبليس ليس هذا برأي سديد. أما
تسمعون حلاوة منطقه. وتشاهدون حسن خلقه وخلقه. فلا تأمنوا أن يقع في حي
من أحياء العرب فيفتنهم بعقولهم وأهوائهم. ويستنفر بهم إليكم خيل يعرف

جمعكم. وقال آخر منهم أرى أن يوثق ويحبس حتى يأتيه أجله. وهو من جنس
فقال إبليس ولبئس هذا الرأي أيضا. أما علمتم أن له أهل بيت وعشيرة
وأتباعا لا يرضون منكم هذا. فيقع الحرب بينكم وبينهم. وقد تكون الدائرة
عليكم. فقال أبو جهل أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قبائل قريش رجلا
واحدا. ويكون شابا جلدا شديدا. ونعطي كل منهم سيفا ماضيا. ويأتونه
في مضجعه. ويضربونه ضربة رجل واحد. فلا يقدر أهله أن يطلبوا دمه
قبائل قريش إذا افترق دمه فيها. فقال إبليس لعنه الله. لقد أصاب الرأي
فتفرقوا على رأي أبي جهل لعنه الله. وبعثوا إلى القبائل. فأوحى الله سبحانه
إلى رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية. يعرفه مكرهم. ويأمره بالهجرة إلى
طيبة. وجاء الذين عينوهم من القبائل للفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى منزله من أول الليل. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه أن
يلبس بردة الأخضر. وينام على فراشه. وأعلمه أنه لا يصل إليه من
قريش مكروه. فالتحف ببرد النبي صلى الله عليه وسلم الأخضر. ونام على
فراشه. وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيته. والقوم على الباب
فقرأ أوائل سورة يس والقرآن الحكيم. وأخذ كفا من تراب وجعل

يذره على رءوس القوم. وهم لا يرونه. وانصرف صلى الله عليه وسلم متوجها
نحو الغار. وجعل المشركون ينظرون إلى علي رضي الله عنه. وهو في
مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعليه بردة الأخضر. فيقولون
هذا محمد نائم. فلا يلتفتون إلى القول حتى أصبحوا. وقام علي رضي الله
عنه. فنظروا إليه وقالوا له أين محمد. قال لا أدري أمرتموه بالخروج
فخرج فحبسوه ساعة في المسجد ثم تركوه قال النبي صلى الله عليه وسلم
العلم خليل المؤمن والحلم وزيره. والعقل دليله. والعمل قائده والرفق
والده. والبر أخوه. والصبر أمير جنوده. فناهيك بخصلة تتأمر على
هذه الخصال. وليس المراد تفضيل الصبر على هذه الخصال مع عدمها بل
الصبر أفضل منها مع وجودها في المرء. لأن معنى الصبر الثبات والحبس
والإمساك. فمن اتصف بشيء من هذه الخصال ولم يتصف بالصبر عليه والملازمة
له كان كمن لم يتصف به. فالصبر لهذه الخصال الخيرة ضابطا ضبط الأمير
جنوده منثور ومنظوم من الحكمة في الصبر روي أن عليا رضي الله عنه قال
الصبر مطية لا تكبو. وقيل إن مما كتب في الصحيفة الصفراء المعلقة في
أعلى هياكل الفرس كما أن الحديد يعشق المغناطيس فكذلك الظفر يعشق

الصبر ما ضمن الظفر. فالصبر على طلبك وغاية ذلك لمن ليس له حيلة. ولا
يشفى له غليل. الصبر روح يستريح من هم إلى الفرج. ويرتفع عنه الحرج
وإن أقل فوائد الصابر على البلية الشامتة أن ينقص لوثة عدوه المتشفي
الشامت. وهو صنوان صبر العامة وهو على أشياخ. وصبر الخاصة.
وهو على أدواخ قال بزرجمهر علامة الظفر بالأمور المستصعبة.
المحافظة على الصبر وملازمة الطلب وكتمان السر وأنشد بعضهم ٥
اصبر على تعب الإدلاج والسهر. وبالرواح على الحاجات والبكر ٥
إني وجدت وفي الأيام تجربة. للصبر عاقبة محمودة الأثر ٥ وقيل
من حق من أمر يطالبه. فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر ومن كلام
الحسن البصري جربنا وجربت من قبلنا فلم نر شيئا أنفع وجودا من
الصبر. ولا أضر من فقده به تداوى الأمور ولا يداوى هو بغيره وقال
عمر رضي الله عنه. وجدنا خير عيشنا بالصبر قال علي رضي الله عنه أوصيكم
بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل كانت لذلك أهلا. لا يرجون أحدكم إلا
ربه. ولا يخافن إلا ذنبه. ولا يستحيين أحد منكم إذا سئل عما لا يعلم
أن يقول لا أعلم. ولا يستحيين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه. وعليكم

بالصبر فإنه من الإيمان كالرأس للجسد. ولا خير في جسد لا رأس معه.
ولا في إيمان لا صبر معه. قال بعضهم ٥ على قدر فضل المرء تأتي خطوبه.
ويعرف عند الصبر فيما يصيبه ٥ ومن قل فيما يتقيه اصطباره. فقد قل
فيما يرتجيه نصيبه ٥ وقال غيره ٥ الصبر أولى بوقار الفتى. من قلق
يهتك ستر الوقار ٥ من لزم الصبر على حالة. كان على أيامه بالخيار ٥
وقالت عائشة رضي الله عنها. لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال
الحارث بن أسد المحاسبي لكل شيء جوهر. وجوهر الإنسان العقل.
وجوهر العقل الصبر ومن كلامهم. الصبر مر. لا يتجرعه إلا حر.
وما أحسن قول بعضهم ٥ إذا احتل بك الأمر. فكن بالصبر لواذا ٥ وإلا
فاتك الأجر. فلا هذا ولا هذا. قال أبو العيناء. كان لي خصوم ظلمة.
فشكوتهم إلى أحمد بن أبي داود القاضي. وقلت قد تظافروا علي وصاروا
يدا واحدة. فقال يد الله فوق أيديهم. فقلت إن لهم مكرا. فقال ولا
يحيق المكر السيء إلا بأهله. فقلت إنهم كثير. فقال كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين. وقيل إن قول أيوب
عليه السلام مسني الضر لم يقدح في صبره. لأن الحكم للغالب والغالب

عليه الصبر فناداه تعالى لا يؤيسن من حاله وكذلك قول نبي الله يعقوب
عليه السلام إنما أشكو بثي وحزني إلى الله لا يخرج من صبره الجميل قال
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما كان يعقوب عليه السلام
حين أتاه خبر بنيامين يخرج وقائده يقوده فيقعد على الطريق فتمر به
الخادم فيقول لها من أنت فتقول فلانة خادم فلان فيقول لها معك
شيء قد حلبته فتقول نعم فيقول ضعيه في الأرض ثم يقول ألا ترين
ما فعل بي فقد ولدي فيذكر لها قصته فيبكي وتبكي معه ثم يمر
به الغلام على رأسه الحزمة فيفعل به ذلك فأوحى الله إليه كم تشكوني
إلى الخلق ولا يملكون لك ضرا ولا نفعا وعزتي وجلالي لو شكوتني
إلي لفرجت عنك فدخل بيته وأغلق بابه وتستر حائطه فبينما
هو قاعد إذا برجل قد دخل عليه من غير الباب في أحسن صورة
وأطيب رائحة فقال من أدخلك علي وقد أغلقت بابي وسترت
حائطي فقال أنا عبد من عبيد ربك أتيتك لتسألني فأخبرك
قال ومن أنت من عبيد ربي قال أنا ملك الموت قال سبحان الله
أتقبض روحي قبل رؤية حبيب قلبي يوسف قال لا أتيتك

لتسألني

لتسألني فأخبرك قال قبضت روح يوسف من الأرواح قال لا وإنه
حي وستلقاه عاجلا فعندها خرج لبنيه وقال يا بني اذهبوا
فتحسسوا من يوسف وأخيه الآية ثم دعا بقرطاس وقال لابنه
روبيل اكتب عني إلى هذا الملك كتابا أمليه عليك فكتب باسم إله
إبراهيم وإسحق ويعقوب إلى عزيز مصر أما بعد أيها الملك فإنا أهل
بيت موكل بنا البلاء أما جدي إبراهيم فألقي في النار فردها الله
بردا وسلاما وأما عمي إسمعيل فابتلي بالغربة على حداثة سنه
وبالعطش فصبر لأمر الله حتى أعطاه الله زمزم وأما والدي إسحق
فابتلي بالذبح فصبر لأمر الله حتى فداه الله بذبح عظيم وأما أنا فأضعفهم
ركنا وأقلهم حيلة وأعظمهم مصيبة كان لي ولد يسمى يوسف اختلس
من بين يدي فبكيت عليه حتى أذهب الله بصري وأما الولد الذي أخذته
سارقا فوالله ما مثلي من يلد سارقا ولكنه كان أخا شفيقا للمفقود
إذا خفت أن ينصدع قلبي ضممته إلى صدري وشممت فيه ريح أخيه فاتق
الله أيها الملك واردده إلي وارحم ترحم فوالله ما يسرق وما هو
بسارق فلا تحبسه عندك وارحم كبر سني وضعفي وقلة حيلتي واغتنم

جبرئيل الأجر من الله جل وعلا. فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.
والسلام عليك وتحياته ورحمة الله وبركاته. شعر: مثلك هل يكون
له إياب. وبعدك هل يكون له اقتراب. ترفق بالفؤاد فإن فيه
وكم يشتاق له الكتاب. أأرجو أن أحط عتاب وجدي. ووجهك
لا يحط له نقاب. إذا استرقت حديثك أذن قلبي فيتهتك من جوانبه
حجاب. فلا نوم يطيب ولا انتباه. ولا طعم يلذ ولا شراب. وقلبي
بين بابك والتداني كعصفور يخطفه عقاب. كتابي قد مضى بالشوق
مني ولا أدري بما يأتي الجواب. ثم قال لروبيل اذهب بالكتاب
وعجل برد الجواب. فذهب روبيل به. ودفعه إلى يوسف فأخذه
ووضعه بين يديه. وقال اسمعوا كلام جدكم. المغموم المكظوم. ثم كتب إليه
أما بعد فاصبر كما صبروا. تظفر كما ظفروا. فلما قرئ على يعقوب
قال والله ما هذه بكتابة الملوك. إنما هذا كلام الصديقين. اذهبوا
فتحسسوا من يوسف وأخيه. فرجعوا إلى مصر كلهم. ودخلوا على
يوسف خاشعين. وقد أزالوا بزاتهم. وتغيرت ألوانهم. وخضعت
رقابهم. فلما نظر إليهم رق لهم. وقال كيف تركتم أباكم. قالوا

تركنا

تركنا بأحزننا. قال على أي ابنيه أشد. قالوا أما الأول فقد يئس منه.
وأما حزنه على هذا المحبوس عندك. وقال لنا قولوا لولا هيبتك ومخافتك
لأخبرناك به. قال قولوا وأنتم آمنون. قالوا لم تحبسه من ولد حبسته
عندك. وقد كان يشم ريح المفقود فيه. ولا ترحم ضعفه. هذا لا يليق بكرمك.
ولا هو المشهور من شيمتك. فلما طرق ذلك سمعه. لم يملك نفسه ولا دمعه.
فبكى بأعلى صوته. حتى خافوا اقتراب موته. وصرفهم وزاد في احسان إليهم
وأكرم مثواهم. وبالغ في إكرامهم. فلما جن الليل قام إلى طاعة الله تعالى.
وصلى ما شاء الله أن يصلي. ثم دعا الله باسمه الأعظم. وقال لأخيه أمن
على دعائي. وسأل الله أن يرد بصر أبيه. وأن يجمع به شمله مع كل من
يليه. فهبط عليه جبرئيل الأمين. وقال يقرئك السلام رب العالمين.
ويقول لك وجه قميصك لأبيك. فإنه إذا ألقاه على وجهه ارتد بصيرا
بقدرة الله تعالى. شعر: فمن العين لا وجه إلى المغموم ثوبا. فإن به
يزيل الله كربا. ويصرف لحظه منا عليه. إلى داعاه العبد لبى.
وقبل وصوله يرتاح قلبي لنسمته إذا ما الريح هبا. وإن زمانا
بعدكم تقضى وأعقبه إلى العرش قربا. فحل العتب عن قوم اقترفوا.

وأبدوا من قبيح الفعل توبا قال فلما أصبح أذن لإخوته فدخلوا عليه
فقال قد حلت بكم تبيلكم كما تريدون فانصرفوا. فقالوا يا أيها العزيز
مسنا وأهلنا الضر. إلى قوله إن الله يجزي المتصدقين. وأخذوا في البكاء
والتضرع. فزاد رقة. وقال إلى كم أقلقل قلوب إخوتي. فعندها قال
لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون. قال بعض
أهل العلم معناه. بل أنتم جاهلون. ثم أمر برفع الحجاب الذي كان
على وجهه فكشفوه. فشاهدوه ونظروا إليه بالأبصار وعرفوه.
فقالوا كما أخبر الله تعالى عنهم لعباده المؤمنين. أئنك لأنت يوسف
قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن
الله لا يضيع أجر المحسنين شعر من العين الحجاب قد زال ولاح
الحبيب. وبدا الإقبال وولى العتب. عند ما لاح للمحيط عيانا صار
مصباحا لجنة بين جنان وسقى الراح من غير بيان فجلت أحزان.
وهامت قلوب وأتى الإدلال وعز الغريب. قال إن أقربت
من غير مسافة. ثم تبدل وأظلت فعندت الصبابة. وتلك كم تنوبت
ما ثم مخافة. أكثر الأقوال جاء بمحب واستجب الأدبار فالملك رحيب.

فعلا

فعلا قدري وجل مقامي. وانجلى فكري وزال غرامي. وبدا بدري من
غير ظلام. وتح الجنان فالعيش خصيب. بعشر العذال الحق قريب.
من بيرم وسل يفخر من سواي. من تجد مثل من داني ورآني. فأنا
المليك ومهدي شفائي. ولي الإحسان والصنع العجيب. يعمين نشات عمام
سكوب. اقصدوا بابي لطرا يا عبادي. وبح من بات لوي لعبادي. إن
أحبابي وأهلي ووادي أخلصوا الأعمال فالكل منيب. زالت الأوجال
ومرت كروب. قال فاكبوا على قدميه يقبلونها. ويقولون تالله لقد
آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين. قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر
الله لكم وهو أرحم الراحمين. ثم قال يا إخوتي قد ارتفعت الوحشة
من قلوبنا. وأزال الله تعالى ما نزل بنا. فلا بد من زوال الكربة عن أبينا.
ورفع الهموم عنه. اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت
بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين. فأخذ يهوذا القميص وعجل به. وكتبا
يوسف إخوته. وبعث إلى أبيه بكسوة هائلة. وماية راحلة.
الجهازه وجهاز أهله. وخرج يهوذا بالقميص حافيا راجلا. شكرا لله
تعالى تزوده سبعة أرغفة. فلم يأكل منها شيئا حتى قدم على أبيه. وقد

تقدم ذكر القميص وأنه كان من الجنة. فلما كان يهوذا من يعقوب على
ثمانية مراحل فك القصبة وأخرج القميص ونشره فهبت ريح الشمال
فوجد يعقوب رائحة القميص على ثمانين فرسخا شعر من العزه أحب
الشمال وأهوى الجنوبا لأنهما يسعدان الكئيبا. تهب الشمال بريح الحبيب
فتأخذ والله من نصيبا. وتأتي الجنوب برد الجواب فينفعل من القلب
شيئا عجيبا. أعلل نفسي بمر الرياح لأني غريب أحب الغريبا قال الله تعالى
ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون.
فأقبل عليه حفدته باللوم. وقالوا إنما أخبر الله عنهم تالله إنك لفي ضلالك
القديم. لا تزال تذكر يوسف ولا تنساه. وقيل إنما ابتلي يعقوب بفراق
يوسف لولد جارية اشتراها يعقوب ظئرا ليوسف كان لها ولد يسمى
بشيرا. فدخل عليها يوما فرآها جالسة في حجرها ويوسف على الأرض.
فغضب من ذلك فباع ولدها. وكان مباحا في شريعته. فوقع ذلك
الولد في مصر. ثم جرى حكم الله أن وقع يوسف في مصر. وآل الأمر إلى
أن صار ملك مصر. وصار ذلك البشير من خواص خدمه. فلما اتفق ليوسف
مع إخوته ما اتفق وحبس أخاه وكتب يعقوب إليه هذا الكتاب ورد يوسف

جوابه

جوابه. وقال اذهبوا بقميصي هذا. كان البشير وإنما من خدمته وهو
لا يعرفه. فقال البشير يا يوسف أنا أذهب بالقميص. فدفعه إليه
فسار يحمل إلى أرض يعقوب وكانت أمه خرجت من المصر واتخذت
عريشة تعبد الله تعالى فيها وتبكي شوقا إلى ابنها. كما كان يفعل يعقوب
على يوسف عليهما السلام. فجاء البشير فرأى عريشة. فمال إليها لطلب
الماء فرأى المرأة حزينة. فاستخبرها عن حزنها فقالت كان لي ابن
فارقني منذ زمان وأنا في بكاء وأنين ولا أتسلى من أكل ولا شرب
ولا رقاد. قال ما كان اسمه قالت بشيرا. قال يا أماه فأنا البشير.
فقام واعتنقها. قال الراوي والله لم ير يعقوب قرة عينه يوسف
حتى رأت أم البشير بشيرا. فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه
فارتد بصيرا. ووجد ريح يوسف فزال الكرب عنه وحيرته. ومولاه ورد
عليه بصره. ولولا شمه وصدره شعر من العزه لما جاءني بشير
وأبعدني أنفت منه بعضا أشابه. كمثل يعقوب بعد يوسف حين
إلى شم بعض أثوابه. وعلى الرواية الأولى قال يهوذا يا أبت إن الملك
الذي بمصر هو ولدك يوسف فالتفت إلى حيمنه وقال ألم

أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون. ثم قال ليهوذا أخو البشير لا أدري
ما أكافيك لكن أدعو الله أن يهون عليك سكرات الموت. فقال يهوذا
يا أبت إنه قد أمرنا أن نصل إليه بأهلينا ومن معنا أجمعين. وبعث
إليك بمائتي راحلة لجهازك وجهاز من بيت يوسف. فلما قدم عليه
الأولاد قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين. قال سوف
أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم. قيل لابن عباس بماذا عرفوه
حين أخوته. فقال كانت لهم علامة في قرنه وكان ليعقوب مثلها.
وكان لإسحق مثلها وكان لسارة مثلها. وهي شامة بيضاء مرفع التاج
عن رأسه. فنظروا إليها فعرفوه بها. وقال ابن عباس في قوله سوف
أستغفر لكم ربي يعني بالأسحار لأن دعوة الأسحار مستجابة. وقال
مجاهد أخر دعوته إلى الثلث الآخر من الليل. وقال طاوس أخرهم لكن
إلى السحر ليلة الجمعة ووافق ذلك ليلة عاشوراء. وقال سعيد بن جبير سوف
أستغفر لكم ربي يعني في الأيام البيض في الثالث عشر والرابع عشر
والخامس عشر لأن الدعاء فيها مستجاب. وقال ابن عباس وصار ريح
القميص على ثمانية أيام وقيل على ثلاثة أيام. شعر: ما للنسيم لدى الأصيل

عليلا

عليلا. أتراه يشكو لوعة وغليلا. حمل الذي يعلو على دار الحبيب فإنا
أحرى من السقام ذبولا. حتى النسيم إذا ألم بأرضهم. خلعوا عليه
زفرة ونحولا. رحلوا غداة أقام في القلب الأسى. والصبر مثلهم
أجد رحيلا. والنجم معقود بهدب جفونهم. والنسك من الطرافه
نحولا. مروا فمر فرق القلوب عليهم طيرا يظلل عيشهم تظليلا.
يحكين غربان العراق وإنها لقلوب قوم خبلت تخبيلا. قال فارتحلوا
من الشام حتى لم يبق منهم أحد. قال وهب كانوا اثنين وسبعين ذكرا
وامرأة. واستاقوا مواشيهم. فلما أن كانوا من مصر على مسيرة
يوم وليلة أرسل يعقوب يهوذا إلى يوسف يعرفه بقدومه. فخرج
يوسف إلى لقائه في مائة ألف من عظماء أهل مملكته. وكان على
يوسف حلة حمراء. وهو كالقمر بين الكواكب فنظر يعقوب فرأى
يوسف فكان يعقوب يقول يا يهوذا من هذا الذي عليه الحلة الحمراء
كالقمر بين الكواكب. فينظر يهوذا فلا يرى شيئا. شعر: من المعتزه
أراك على البعاد ولا تراني وكم ناب الخيال عن العيان. وأرضى من
وصالك بالتجني وأقنع من لقائك بالأماني. تحية من له في كل عضو.

فؤاد هائم بهواك عانيه يتهتك الغرام بلا فؤاد ويشغل الدعاء بلا
لسان فلما كان بينهما مقدار ميل نزل يوسف عن دابته ونزل يعقوب
عن ناقته وجعل كل واحد منهما يسعى الى صاحبه فضج الناس بالبكاء
واشرفت الملائكة من السماء فلما اعتنقا خر يعقوب مغشيا عليه ثم
افاق فجعل يلحس يوسف بلسانه كما تلحس البقرة عجلها وجعل يقول
يا بني اخبرني بما فعل اخوتك معك فقال يا ابت نحمد الله على نعمه
ونشكره على ما نحن فيه ولا نذكر ما مضى شعر من المعره تعالوا بنا
نطوي الحديث الذي جرى فلا سمع الواشي بذاك ولا دري تعالوا بنا حتى
نعود الى الرضى وحتى كأن العيش لم يتغيرا ولا نذكر الذنب الذي
كان بيننا على انه ما كان ذنب فيذكرا قال الله تعالى فلما دخلوا على
يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين
ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وكان تحية الناس في ذلك
الزمان السجود فلما جاء الله تعالى بالاسلام بدلنا من السجود بالتحية
والسلام ثم قال يوسف يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها
ربي حقا الى قوله الحكيم العليم وقال وهب عاودوا اباهم في
طلب

طلب الاستغفار فدعا لهم وهم خلفه عشرين سنة ثم استجاب الله له فيهم
ليلة الجمعة في الثلث الاخير من الليل وقال وهب دخلوا مصر وهم اثنان
وسبعون رجلا وامرأة فلما خرجوا مع فرعون كان المقاتلون منهم
ستمائة الف وخمسين الفا وقال وهب عاش ابوه وخالته بعد دخولهم مصر
اربعا وعشرين سنة في اغبط عيش وارغده وأتم سرور واسعده لا
يأتي عليهم يوم ولا ليلة الا احدث الله لهم سرورا وغبطة واستوفى كل منهم من
ذلك نصيبه وقسطه وقيل في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش هو
ابوه وخالته لان امه كانت ميتة والخالة ام وكذا الخال احد الابوين
وقال سعيد بن جبير عن الحسن لم تكن خالته ولكن الله احيا له امه
راحيل وسجدت له تحقيقا للرؤيا فلما حضر يعقوب الموت جمع ولده
وولد ولده وقال ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك
ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون فقالت
الاسباط يا ابانا انا نخاف من اجلنا ان تحقد علينا ما كان منا اليه
فأوصه بنا فقال يا بني لا تحقد على اخوتك ما كان منهم اليك فقال اولى
يقال هذا قد عفوت عنهم ووهبت لهم جرمهم رجاء ان يعفو الله عني

ثم أوصى يعقوب يوسف إذا مات أن يحمله من مصر ويقبره عند أبويه
إبراهيم وإسحق بالأرض المقدسة. وقال وهب مات يعقوب وأخوه
عيصو في يوم واحد ودفنا في قبر واحد كما كانا أول حالهما في بطن
واحد. فكان عمر يعقوب وعيصو مائة سنة وسبعة وأربعين سنة.
فلما جمع الله تعالى ليوسف شمله وأقر عينه بمراده تمنى الموت فقال رب
قد آتيتني من الملك. قيل أراد ملكه لنفسه حتى قهرها عن الشهوة. وعلمتني
من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا
والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما تمنى أحد من الأنبياء الموت إلا يوسف فلما حضر يوسف الموت
أوصى إخوته أن يحملوه إلى الشام ويدفنوه مع آبائه ثم استخلف من
بعده يهوذا ثم روبيل ثم زبالون ثم شمعون ثم يشجر ثم نفتاييل
ثم دان ثم لاوي وكان موسى وهارون من سبط لاوي بن يعقوب
وكان بين دخول يوسف مصر ودخول موسى أربع مائة سنة وثمانون
سنة. وولد ليوسف من زليخا افرائيم وميشا قال وهب بن منبه
ما أنزل الله كتابا من السماء إلا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هي

في القرآن وقيل عاش يوسف عليه السلام مائة عام وبضعة أعوام
وتوفاه الله طيبا مرضيا. ودفن في تابوت رخام في بطن النيل.
وذلك أن بني إسرائيل لما شاهدوا ما أعطى الله يوسف من الملك
والحكمة وآثر فضل إخوته. تمنت كل فرقة منهم أن يدفن في محلها
لبركاته. حتى هموا أن يقتتل بينهم القتال فاتفقوا على دفنه في
النيل لينال الكل من بركته شعر دفنوه في النيل المصون ثم كما قرأوا
جمعا فوق ما التلاوة فكأنه بدر تغيب وجهه تحت السحاب وضوؤه
لا يجهل فقدوه لكن لم تزل بركاته موجودة فيهم تروح وتقبل
والنيل يحكي كف يوسف في الجود والنعماء إذا ما يسأل لم يقتر عنه إذ
أتاه جاهه سلطانه وجماله والمسؤول وغدا دفينا تحت أطباق الثرى
والرمل يعلو جسمه والجندل هذا القضاء على الخلائق بالفنا فجميعنا
عما قليل يرحل والحكم للجبار جل ثناؤه ولا يكون رجوعنا والموئل
وعلى نبي الله يوسف رحمة وتحية أنوارها تتهلل ما لاح بدر أو نجم
طالع والليل يسري وفاح المندل لما أتت ساعة تقسم جمع الشمل فرق
وفرق سهم الفراق فانقطع عن العين فازداد حسرة فالتقى بالعين

ألم أقل لكم. فلجئوا من صريح توبيخه إلى الضوع. يا أبانا استغفر لنا.
فأخرهم إلى حين. سوف أستغفر لكم. لتحل بتة الأسف في
تناهيهم. فلما مروا إلى يوسف خروا له سجدا إخوان وعد. وكذلك
يجتبيك ربك. من بعد هذا إما وقبل رؤيا ان. فلما رأى يوسف بدر
التمام قد تم. خر ساجدا على دار الغرور. حين على بمزية بمثيه من كتف
الحاف. فاغتنم الإدلاج في الليالي البيض. وقال الغرور من معارة
الآفات. فقال متمول إنه ولتسائه. توفني مسلما وألحقني بالصالحين.
فالعجب لمن يحتقر الضعيف إمارة. ويبتسم قوته من خلقه وبراه. أما
علم الجهول الغبي. أن الله يصنع للضعيف ما يتعجب منه القوي. شعر
لا تحتقر قوة لم يبنها. واعلم بأنك نكرة يحكم ٥ وانظر بعينك
في الوجود فإنه. باد التأمل يصحف من قوم ٥ فلكم غني قد أصيب بفقره
فإذا به بين الأنام عديم ٥ ولرب محروم رفيع قدره. نزلت به الأغيار
فهو ضريم ٥ ومحجج جسيم قد كان سميطا. فمضت قواه فجسمه مستقوم ٥ لا شيء
يبقى بعد هذا كله. إلا الإله الواحد القيوم ٥ فهو الذي لا ينقضي سلطانه.
وله الثناء والمجد والتعظيم. قال شيخ المريدين والحجاج. أبو الحسين

الدراج. كنت كثيرا ما آتي مكة. زادها الله شرفا. فكان الناس يتبعونني
ليعرفني بالطريق وحفظ للمناهل. فلما كان في عام من الأعوام أردت
الوصول إلى بيت الله الحرام. وقلت آخذ طريق الشعب لأستريح من
الناس ولا يتبعني أحد. فأخذت طريق الشعب. فدخلت القادسية.
وأويت إلى المسجد. فإذا رجل مجذوم. قاعد في المحراب. فلما رآني
قال يا أبا الحسين الصحبة. فقلت في نفسي فررت من الأصحاب. وأصحب
المجذومين. فقلت له إني لا أصحب أحدا. فسكت عني. فلما كان من
الغد. دخلت الطريق وحدي. قال فوصلت العقبة. فلما دخلتها
أويت المسجد. فلما دخلته إذا بالرجل المجذوم قاعدا في المحراب.
فقلت سبحان الله وهل يسبقني هذا الرجل إلى هنا. فرفع رأسه إلي
وتبسم. وقال يا أبا الحسين يصنع الله بالضعيف ما يتعجب منه القوي.
قال فبت تلك الليلة متحيرا. فلما أصبح دخلت الطريق وحدي فوصلت
القرعا. ودخلت إلى المسجد. فإذا به في المحراب. فتراميت عليه. وقلت يا
سيدي الصحبة. وجعلت أقبل قدميه. فقال ليس إلى ذلك سبيل.
فجعلت أبكي وأنتحب لما حرمت منه. فقال لي مهلا عليك فإنه لا ينفعك

شعر أتبكي على نعمى وملكك بر النعم . وترغب ردا حين لا يمكن الرده
نظرت إلى ضعفي وظاهر حالتي . وقلت شقيا لا يروح ولا يغدو ه ولم تدر
أن الله جل جلاله . يتيح لطفا ما تخيله العبد ه لئن كنت من رأى العيان
تحاتون وبالجسم من فرط الزمانة ما بدوه ولبس معي زاد يوصلني إلى
محل به بائن إلى الشيخ الوعده فلي خالق الطاقة برحمته . فليس له
نه وما منه إن بدا ه فسرنا لأعتق ودعني وعن بين . فإن الغريب
الفرد يؤنسه الفرد قال فكنت بعد ذلك لا أتنهل إلا وجدته .
قد سبقني إليه . فلما وصلت المدينة غاب عني أثره . وعمي عني خبره
فلقيت أبا يزيد البسطامي وأبا بكر الشبلي وطوائف الشيوخ .
فذكرت لهم قصتي وشكوت غصتي فقالوا إن هيهات ذاك أبو جعفر
المجذوم بحرمته يستشفى وببركته يجاب الدعاء . قال فزاد شوقي
إلى لقائه وسألت الله أن يجمعني به . فبينما أنا واقف بعرفات إذا بجاذب
يجذبني من خلفي فالتفت فإذا هو . فصحت صيحة وغشي علي فلما
أفقت من غشيتي لم أجده فزاد وجدي لذلك وضاقت علي
المسالك فسألت الله رؤيته فلم يكن إلا أيام قلائل إذا به

يجذبني من خلفي فالتفت إليه فقلت له عزمت عليك بالله إلا ثبت
فسألته أن يدعو لي ثلاث دعوات . الواحدة أن يحبب الله إلي
الفقر والثانية أن لا أبيت على معلوم ولا يعوزني شيء والثالثة
أن يرزقني الله النظر إلى وجهه الكريم . فدعا لي وغاب عني قال
فحبب الله إلي الفقر فوالله ما في الدنيا شيء أحب إلي منه والثانية
أنا منذ كذا وكذا سنة ما بت على معلوم ولا يعوزني شيء وأنا لأرجو
الله أن يمن علي بالثالثة ويجيبه فيها كما أجابه في الاثنتين شعر
نعم المعين زين الفقير بتذلل وبوقار ولباسه الخلقان والأطمار ه
وحلاه من طول الصيام نحوله ودموعه من جفنه مدرار ه والاصفرار
يزينه ولربما بشرارها تتزين الأقمار ه فانتبه بنهاره يتذكاره .
وحليته في ليلة الجبار ه منه للامتداد لك في وقته . يمشي تراه وقلبه
طيار ه والفقر يبكي حين يفقد شخصه . وكذلك الأخيار ه ولأجله
يحيي الإله بلاده . ولفضله تتنزل الأمطار ه وإذا دعا يوما برفع ملمة
يوحي الظلوم ويقصم الجبار ه فالخلق أجمعهم مريض مدنف وهو
الطبيب المشفق الزوار ه يشاه تبدو وإن نظرت لوجهه صفت

القلوب ولا حجب الأنوار، يا طالبًا لهم ولبئس ما رام جهلك وبجهلك
الأوزار، تتوجه لحياتهم وأنت متحير، قد أخرتك عن الحق الأعذار
لو كنت تدري قدر ما جنيته لجرت أجرى من جفنك الأنهار، أنى
الى المزكوم شم أزاهر النور، بل يدري قدره المشتار، فاضرع
الى مولاك واسأل عطفه، عسى يتباعد من بابك الأقدار، فتراح
من فرط التباعد والقلق، وتنال ما تهوى وما تختاره، فجنابه رحب
لكل مؤمل، وهو الإله الواحد القهار. آخر المجلس السابع عشر وهو
آخر الكتاب، وكاتبه أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحيصي الحنفي عامله
الله بجميل لطفه الخفي، يسأل الله أن يمن عليه بصدق المتاب وبدوام
العافية وتمام المنة، ومتابعة الكتاب والسنة، وتوبة من الذنوب
عاصمة، مفضية الى حسن الخاتمة، وبتوفيقه للعمل الصالح، وللنظر في
المصالح، ويعينه على إتمام ما يشرع في نسخه بعده، فإنه العدة في
كل شدة، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الجليل والحبيب
والخليل، وعلى آله وصحبه صلوة تشفي العليل، وتروي الغليل، وتقوي
الذليل، وتكثر من الرزق القليل، فإن الله بالمنال الأوفى لمن اعتمد

على كرمه يتكل، وهو حسبي ونعم الوكيل، عليه لنفسه ولمن شاء
الله من بعده، أحمد الحيصي الحنفي، أجزل الله عليه جميل عوائد لطفه
الخفي، وغفر له ولوالديه، وذويه وأقربيه، ولمن نظر فيه، ودعا
لهم بالمغفرة والرحمة، والستر يوم الفضيحة، ولجميع المسلمين آمين
بتاريخ عشية الأحد ثالث عشرين جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين
وثمانمائة، أحسن الله خاتمتها بمنه وكرمه
لبعضهم: ستجدت النعم لا ترتجى، فعينه مملوءة فقرا، حزن به الدهر فقال
الغني يا ويحه ان عقل الدهر غيره ترج كرم الكف عند افتقاره، فما قليل
تموت بعلو مكانه، ويا بعد اذا استغنى اللئيم فإنه اذا فاض ماء البحر ماح
قال سقراط: ثلثة لا ينفك عنهم الكآبة: الحسود، والحقود، وحديث عهد بغنى
وغني تخشى الفقر، وطالب رتبة تقصر قدره عنها، وجليس لأهل العلم وليس منهم
مر عيسى بن مريم عليه السلام بعبد قد بالغ في حسبه الرحمن فرحمه، وقال يا
هذا ادعو الله ان يشفيك، فقال يا روح الله، أهذا الذي بي شيء أخترته
لنفسي ام شيء اختاره الله لي، قال بل شيء اختاره الله لك، قال يا روح
الله ما كنت بالذي أوثر اختياري على ما اختار الله لي، فقال له عيسى

ملكه العبد الفقير إلى الله تعالى
عمر بن محمد الحساني حامدا
لله ومصليا على
رسوله ه

الحمد لله
وكتب كاتبه العبد محمد بن عمر بن أبي بكر
بن أبي بكر بن عثمان بن عبد اللطيف الشهير
بابن
غفر الله ذنوبه وستر في الدارين
عيوبه

فإنّما ضرّ نفسه ونفعك، وما جزاء من سرّك أن تسوءه. قال بعض الحكماء: إياكم والمعاصي
فإنّ الشاهد هو الحاكم. قال الأحنف بن قيس: ما خان شريف قطّ، ولا كذب عاقل، ولا
اغتاب مؤمن. مرّ سقراط بمصلوب فقال: ما قصّته؟ فقيل له: قطع الطريق. فقال: من
منع هذا الفتح ركب هذا الجواد. ومرّ برجل قطعت يده فقال: ما قصّته؟ قالوا: سرق. فقال:
من أخذ ما ليس له أُخذ منه ما له. قال بعض الأدباء: سمعت أعرابيا يعظ ابنه ويقول:
أي بنيّ، لا الأيام تتذكرك، ولا الدهر يزجرك، ولا الحوادث تعظك، ولا المواعظ توقظك،
والساعات تعدّ عليك، والأنفاس تعدّ منك، وأحبّ أمريك إليك أقربهما للمضرّة عليك.
كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن: عظني وأوجز. فكتب إليه: أما بعد، فإنّ فيما أمر الله عزّ وجلّ
شغلا عمّا نهى عنه، والسلام. لقي أحد الزهّاد الحسن وهو لا يعرفه، فقال له: لولا أنّي مشغول
لأتيت الحسن فقد قيل إنّه فقيه. فقال له الحسن: ما شغلك؟ فقال: أنا عبد بين نعمة
وذنب، أحمد الله على النعمة، وأستغفره من الذنب، فما أكاد أتفرّغ. فقال له الحسن: الآن
أنت والله أفقه منه. مدح أعرابيّ قوما فقال: كأنّهم غيوث جدب، وليوث حرب، إن قاتلوا
أبلوا، وإن أعطوا أغنوا. فقدّم لهم الدهر ما أخّره لعدوّهم. شعر: ولو أنّ ما ألقاه بالأرض
هدّها، وبالنار أطفاها، وبالماء لم يجره، وبالناس لم يحيوا، وبالدهر لم يكن، وبالشمس لم تطلع
وبالبدر لم يسره، ولكن زجرت النفس عنك تكرّما، وأحسن ما جرّبت عاقبة الصبر. ثمّ اصبر

حتى يصاح الصبر وأنشبت على نائبات الدهر أظفارا من الغضب

Süleymaniye ... i
Fatih
3914